

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190238

UNIVERSAL
LIBRARY

Tirage à part des *Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque impé-
riale*, publiés par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres

PARIS — TYPOGRAPHIE DE FIRMIN DIDOT FRÈRES FILS ET C^{ie}.

IMPRIMEURS DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE

rue Jacob, 56

مقدمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES

D'EBN-KILALDOUN

TEXTE ARABE

PUBLIE, D'APRÈS LES MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE.

PAR M. QUATREMÈRE.

TOME PREMIER — PREMIÈRE PARTIE



PARIS.

BENJAMIN DUPRAT,

LIBRAIRE DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE
RUE DU COLOMBIER SAINT-ÉTIENNE, 7

M DCCC LVIII.

1858

مقدمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES
D'EBN-KHALDOUN.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

PROLÉGOMÈNES
D'EBN-KHALDOUN

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغنى بلطفه عبد الرحمن بن محمد
ابن خلدون الحضرمي وقد الله تعالى الحمد لله الذي له العزة
والجبروت وبيده الملك والملكوت ولد الاسماء الحسنى والنعوت
العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوم او يخفيه السكوت القادر فلا
يعجزه شيء في السموات والارض ولا يفوت انشاء من الارض نسما
واستعمرنا فيها احيالا وامما ويسر لنا منها ارزاقا وقسما تكنفنا
الارحام والبيوت ويكفلنا الرزق والقوت وتبلينا الايام والوقوت

وَنَعْتَوِرُنَا الْآجَالَ الَّتِي خُطَّ عَلَيْنَا كِتَابُهَا الْمَوْتُ وَلَهُ الْبَقَا وَالنَّبُوتُ
 وَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ
 الْعَرَبِيِّ الْمَكْتُوبِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي تَمَخَّصَ
 لِعَصَالَةِ الْكَوْنِ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْآحَادُ وَالسُّبُوتُ وَيَتَبَايَنَ زَحَلُ
 وَالْيَهُودُوتُ وَشَهِدَ بِصِدْقِهِ السَّحَابُ وَالْعَنُكَبُوتُ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ
 الَّذِينَ أَهْمَ فِي مَحَبَّتِهِ وَأَسَاءَ الْأَنْرَ الْبَعِيدَ وَالْحَصِيَّتَ وَالشَّجَلُ
 الْحَمِيعَ فِي مَظَاهِرَتِهِ وَلَعَدُوهُمْ الشَّجَلُ الشَّيْثِيَّتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ
 مَا أَتَصَلَ لِلْإِسْلَامِ جَذَّةُ السَّجُورِ وَانْقَطَعَ بِالْكَفْرِ حَبْلُهُ الْمَيِّتِ
 بِسَلَامٍ كَثِيرًا (أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّ فَنَ النَّارِ بَعْدَ مِنَ الْفَنُونِ الَّتِي تَسْتَدَاوِي
 الْأُمَمَ وَالْأَحْصَالَ وَتَسْتَدِ الْبَدَ الرُّكَّابِ وَالرَّحَالَ وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهِ
 السُّوْفَةَ وَالْإِفْخَالَ وَتَتَنَافَسُ فِيهِ الْمَلُوكُ وَالْأَقْيَالُ وَتَتَسَاوِي فِي فَهْمِهِ
 الْعُلَمَاءُ وَالْجَهْلَاءُ إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارِ عَنِ الْإِبَامِ
 وَالْأَدُولِ وَالسَّوَاتِقِ مِنَ الذُّرُوبِ الْأُولِ نَبِيْقُ لَهَا الْأَفْوَالُ وَتَصْرِفُ فِيهَا
 الْأَمْثَالَ وَتُظْهِرُ بِهَا الْأَنْدِمَةَ إِذَا غَضِبَهَا الْإِحْتِفَالُ وَتُودِي لَهَا سَانِ
 الْحَلْمَةِ كَتَبَتْ نَسَلَتْ بِهَا الْأَحْصَالَ وَتَسْجَعُ لِلدُّوَلِ النُّطَافِ فِيهَا
 بِالْمَحَالِ وَتَعْدُو الْأَرْضَ حَتَّى نَادَتْ بِهِنَّ الْأَرْحَالَ وَجَانِ مِنْهُنَّ الزُّوَالِ
 وَفِي بَاطِنِهَا نَدَامٌ وَتَحَنُّنٌ وَتَعَايِلُ لِلْمَكَانَاتِ وَمِبَادِيهَا دَفِيقٌ وَعَسَامُ
 بِكَيْفِيَّاتِ الْوَفَاجِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ فَهِيَ لَدَيْكَ أَصْلُ فِي السَّحْكَةِ عَرِيقُ
 وَحَدَسُهَا بَانَ بَعْدَ فِي عِلْمِهَا وَخَلِيقُ وَأَنْ فَحُولُ الْيُورُخِيِّينَ فِي الْإِسْلَامِ
 نَدَا تَوَعَّبُوا أَخْبَارَ الْأَيَّامِ وَجَمَعُوهَا وَسَطَرُوهَا فِي صَفْحَاتِ الدَّفَائِرِ

واودعوها وخاطبها الطفولون بدسائس من الباطل وهما فيها
وابندعوها وزخرف من الروايات المتعذرة لفقوها ووتعوها وافنتى
تلك الآثار الكثير ممن بعدهم وانبعوها وادوها اليها كما سيعونها
ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا رفضوا تراثات
الاحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل وطرف التنقيح فى الغالب
كليل والغاط والوهم نسيب للانخبار وتحليل والتقليد عربق فى
الادمين وسليل والتطفيل على النور عربض طوبسل ومروعى
السهيل بين الانام وسيل والحق لا يفارم سلائفه والباطل يقذف
بشهاب النظر شيطانه والنافل انما هو يدلى ونخل والبصرة نغد
الصحيح اذا تمفل والعلم يجعلونها صفحات الصواب ويصقل هذا
وقد دون الناس فى الانخبار واكثرنا وحدها نوارس الاحم والدول فى
العالم وسطروا والذين ذهبوا بنقل الشهرة والامامة المعبرة واستفرغوا
دواوين من قبلهم فى صحفهم الناعمة فهم فلياسون لا يكادون
سجاوزون عدد الانامل ولا حركات التوامل مثل ابن اسحق
والطبرى والمكابى ومحمد بن عمر الرازدى وسيف بن عمر الاسدى
والمسعودى وغيرهم من المشاهير والمتنبئين عن الجماهير وان
كان فى كتب المسعودى والرازدى من المطعن والمغتر ما هو
معروف عند الانبات ومشهور بين السخفة والفتات الا ان الكامة
اختصروهم بقبول اخبارهم واغنا سنهم فى التنقح واباع آناهم
والناقد البصير قسطاس نفسه فى ترسيخهم فيما بنفون او اعتبارهم

فالعمران طبائع فى احواله يرجع اليها الاخبار وتحمل عليها الروايات والآثار ثم ان اكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الاسلام فى الافاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات فى الهاخذ والمنازل ومن هؤلاء من اوعب ما قبل الهلة من الدول والامم والامر العيم كالمسعودى ومن نجا منجاء وحاء بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقييد ووقف فى العموم والاحاطة عن الشا والبعيد فقيده شوارد عصره واستوعب اخبار افقه وقطره واقتصر على احاديث دولته ومصره كما فعل ابن ابو حيان مؤرخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن الرقيق مؤرخ افريقيّة والدولة التى كانت بالقيروان لم يات من بعد هؤلاء الا مقلد وبليد الطبع والغفل او متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذى منه بالمثال وبذهل عما احالته الايام من الاحوال واستبدلت به من عوايد الامم والاجيال فيجلبون الاخبار عن الدول وحكايات الوقائع فى العصور الاول صورا قد تجردت عن موادها وصفاحا انتصيت من اغهاها ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلادها انها حى حوادث لم تعلم اصولها وانواع لم تعتبر اجناسها ولا تحققت فصولها يكررون فى موضوعاتها الاخبار المتداولة باعيانها انبا لمن عنى من المتقدمين بشانها ويغفلون امر الاجيال الناشئة فى ديوانها بيا اعوز عليهم من ترجمانها فتستعجم صحفهم (1) عن

(1) Manusc. B. ترجمهم, manusc. C. صحفهم.

بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقا محافظين على نقلها وهما او صدقا لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذى رفع من رايها واطهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد الى مبادئ الاحوال ومرايتها مفتشا عن اسباب تراجعها او تعاقبها باحثا عن المقنع فى تباينها او تناسبها حسبما نذكر ذلك كله فى مقدمة الكتاب ثم جاء اخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء باسماء الملوك والافتصار مقطوعة عن الانساب والاخبار موضوعة عليها اعداد ايامهم بحروف الغبار كما فعله ابن رشيق فى ميزان العمل ومن اقتفى هذا الاثر من الهمل وليس يعتبر لهؤلاء مقال ولا يعد لهم ثبوت ولا انتفال لما ذهبوا بالفوايد واخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعواید ولما طالعت كتب القوم وسيرت غور الامس واليوم نهيت عين القريحة من سنة الغفلة والنوم وسمت التصنيف من نفسى وانا المتأسل احسن السوم فانشأت فى التاريخ كتابا رفعت فيه عن احوال الناشئة من الاجيال حجابا وفصلته فى الاخبار والاعتبار بابا بابا وابديت فيه لاولية الدول والعمران عللا واسبابا وبنيته على اخبار الجيلين الذين عمرو المغرب فى هذه الاعصار وملؤا اكناف الضواحي منه والامصار وما كان لهم من الدول الطوال والقصور ومن سلف لهم من الملوك والامصار وهما العرب والبربر اذ هما الجيلان الذان عرف بالمغرب ما واهما وطال فيه على الاحقاب

مشاها حتى لا يكاد يتصور عنه (1) متشاهما (2) ولا يعرف اهله من
اجيال الادميين سواها فهذبت مباحثه تهذيبا وقربته لافهام
العلماء والخاصة تقريبا وسلكت في تبويبه وترتيبه مسلكا غربيا
واخترته من بين المناحي مذهبا عجيبا وطريقة مبتدعة واسلوبا
وشرحت فيه من احوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع
الانساني من الاعراض الذاتية ما يمتنع بعلم الكواين واسبابها
ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها حتى تنزع من
التقليد يدك وتنش على احوال ما قبلك من الايام والاجيال
وما بعدك ورتبته على مقدمة وثلاثة كتب (القدمة) في فضل علم
التاريخ وتحقيق مذاهبه والالهام بمغالط المؤرخين (الكتاب الاول)
في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك
والسلطان والكسب والمعاش والصنایع والعلوم وما لذلك من
العلل والاسباب (الكتاب الثاني) في اخبار العرب واجيالهم واولهم
منذ مبداء الخليفة الى هذا العهد وفيه الالهام ببعض من عاصروهم
من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبنی
اسرائيل والقبط ويونان والترك والروم (الكتاب الثالث) في اخبار
البربر ومواليهم من زنائة وذكر اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديار
المغرب خاصة من الملك والدول ثم لما كانت الرحلة الى

(1) Man. A. من.

(2) Man. C. متشاهما.

المشرق لاجتلاء أنواره وقضاء الفرض (١) والستة في مطافه ومزاره والوقوف على آثاره في دواوينه وأسفاره فافدت ما نقصنى من اخبار ملوك العجم بتلك الديار ودول الترك فيها ملكوه من الاقطار وانبعث بها ما كتبته في تلك الاسطر وادرجتها في ذكر المعاصرين لتلك الاجيال من امم النواحي وملوك الامصار منهم والضواحي سالكا سبيل الاختصار والتلخيص مفتديا بالمرام السهل من العويص داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على الخصوص فاستوعب (٢) اخبار الخليفة استيعابا وذل من الحكم النافذة صغابا واعطى لحوادث الدول عللا واسبابا واصبح للحكمة صَوَانًا وللبارئح جرابا ولها كان مشتملا على اخبار العرب والبربر من اهل المدر والور والالمام بهن عاصرهم من الدول الكبرى وافصح بالذكري والعبر في مبادئ الاحوال وما بعدها من الخبر (٣) سهيته كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ولم انرك شيئا في اولية الاجيال والدول وتعاصر الاسم الاول واسباب التصرف والتحول (٤) في القرون الخالية والهيل وما بعرض في العمران من دولة وملة ومدينة وحلة وعرة وذلة وكثرة وفلة وعلم وصناعة وكسب واضاعة واحوال منقلبة مشاعة وبدو وحضر

(١) Man. B. الفرض

(٣) Man. A. المحبر

(٢) Man. B. اسعوت

(٤) Man. B. التحول. C. الجول

وواقع ومنتظر الا واستوعبت جهله واوضحت برأيه وعلله فجاء هذا الكتاب فذاً بما ضمنته من العلوم العربية والحكم المحبوبة القريبة وانا من بعدها موقن بالقصور بين اهل العصور معترف بالعجز عن المضى فى مثل هذا القضا راغب من اهل اليد البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء فى النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتعبد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاغضا فالبضاعة بين اهل العلم مزجاة والاعتراف من اللوم منجاة والحسنى من الاخوان مرتجاة والله اسال ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه وهو حسبي ونعم الوكيل

(المقدمة) فى فصل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والالهاع بما يعرض للمؤرخين من المغالط والاهام وذكر شئ من اسبابها
اعلم ان فن التاريخ فن عزيز الذهب جم الفائدة شريف العائدة (1)
اذ هو يقفنا على احوال الهاضين من الامم فى اخلاقهم وكنبياء فى سيرهم والهلوكت فى دولهم وسياستهم حى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى ماخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبها الى الحق وينكبان به عن الهزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتد (2)
فيها مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال فى الاجتماع الانسانى ولا قيس الغايب منها

(1) Man. C. الغاية.

(2) Man. B. C. اعتد.

بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة
القدم والحيد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين
وايتة النقل المغالط في حكايات الوقائع لاعتمادهم فيها على
مجرد النقل غثا او سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها
باشباهها ولاسبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات
وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضللوا عن الحق وتاهوا في بيداء
الوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد والاموال والعساكر اذا عرضت
في الحكايات اذ هي مطنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها
الى الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير
من المؤرخين في جيوش بنى اسرائيل وان موسى عليه السلام
احصاهم في التيه بعد ان اجاز من يطبق حمل السلاح خاصة
من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة الف او يزيدون وبذهل
في ذلك عن تقدير مصر والشام وانساعهما لهتل هذا العدد
من الجيوش فلكل مملكة من الهالك حصه من الحامية
تتسع لها وتقوم بوظايفها وتضيق عما فوقها تشهد بذلك العوايد
المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش البالغة الى هذا
العدد يجب ان يقع بينها زحف او قتال لضيق ساحة الارض عنها
وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين وثلاثا او ازدد فكيف
يقتتل هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصفيين وشى من
جوانبه لا تشعر بالجانب الاخر والحاضر يشهد لذلك فالهاضى

اسبه بالآتى من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بنى اسرائيل بكثير يشهد بذلك ما كان من غلب بخت نصر لهم والتهامد بلادهم واستيلايه على اسرهم وتخریب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالك بالعراقين وخراسان وما وراء النهر ولايواب اوسع من ممالك بنى اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قربها منه واعظم ما كانت جموعهم بالفادسية مائة وعشرين الفا كلهم متبوع على ما نقله سيف فال وكانوا فى انباعهم اكثر من مابتنى الف وعن عايشة والزهرى ان جموع رستم التى زحف بها لسعد بالفادسية انها كانوا ستين الفا كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بمو اسرائيل مثل هذا العدد لآتسح نطاق ملكهم وانسح مدى دولتهم فان العمالات والممالك فى الدول على نسبة الحامية والعبيل القايبين بها فى قاشها وكشترها حسبما يتبين فى فصل الممالك من الكتاب (1) والقوم لم نتسح ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذى بين موسى واسرائيل انما هو ثلاثة آباء على ما ذكره المحققون فاند موسى بن عمران بن قاحت بنفج الها او كسرهما بن لاوى بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو

(1) Le man - C ajoute الاول

اسرائيل الله هكذا نسبته في التوراة والمدة بينهما على ما نقله
 اليسعودي قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين
 افوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بهصر الى ان خرجوا
 مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة يتداولهم
 ملوك القبط من الفراعنة وبعده ان يتشعب النسل في اربعة
 اجيال الى مثل ذلك العدد وان زعموا ان عدد تلك الجيوش
 انما كان في زمن سليمان عليه السلام ومن بعده فبعيد ايضا اذ
 ليس بين سليمان واسرائيل الا احد عشر ابا فانه سليمان بن
 داود بن ايشاي بن عويد ويقال عوفذ بن باعز ويقال بوعز بن
 سلمون بن نجشون بن عييناذاب ويقال حميناذب بن رام بن
 حضرون ويقال حسرون بن بارس ويقال ببرس بن يهودا بن
 يعقوب ولا يتشعب النسل في احد عشر من الولد الى مثل هذا
 العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والآلاف فربما يكون واما ان
 نجاوز الى ما بعدهما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في
 الحاضر الشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا
 والذي ثبت في الاسرايليات ان جنود سليمان كانت اثني عشر
 الفا خاصة وان مقربانه كانت الفا واربعماية فرس مرتبطة على
 ابرابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات
 العامة منهم وفي ايام سليمان عليه السلام كان غفوان دولتهم
 وانساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من اهل العصر اذا افاضوا في

الحديث عن عساكر الدول التي لهدمهم او قريبا منه وتفاوضوا
 فى الاحبار عن جيوش المسلمين والنصارى او اخذوا فى احصاء
 اموال الحبايات وخرج السلطان ونفقات المترفين وبضايغ الاغنياء
 الموسرين توغّلوا فى العدد وتجاوزوا حدود العوايد وطاوعوا وساءوا
 الاغراب فاذا استكشف اصحاب الدواوين عن عساكرهم
 واستبطلت احوال اهل الثروة فى بضايغهم وفوايدهم واستجلبت
 عوايد المترفين فى نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك
 الا لولوع النفس بالغرابة وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة عن
 الهعقب والمنقذ حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمى
 ولا يطالبها فى الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث
 وتفتيش فيرسل عنائه وبسيم فى مرائع الكذب لسانه وبشترى
 لهو الحديث ليضل عن سبيل الحق وحسبك بها صفقة خاسرة
 وقد يقال ان العوايد انها تمنع من نمو الذرية الى مثل (1) هذا العدد
 فى غير بنى اسرائيل لان ذلك كان معجزة على ما نقل انه كان
 فيما اوحى الى آبايهم من الانبياء ابراهيم واسحق ويعقوب صلوات
 الله عليهم ان الله يكثر ذريتهم حتى يكاثر نجوم السماء وحصى
 الارض وانجز الله لهم هذا الوعد كرامة لهم ومعجزة خارقة للعادة
 فى حقهم فلا تعترضه العوايد ولا يطعن فيه احد وان عارض احد
 بالطعن على خبر ذلك وانه انها ورد فى التوراة واليهود قد

(1) Man A. نسل.

بدلوها على ما هو معروف فالقول بهذا التبديل مرجوح عند المحققين وليس على ظاهره لان العادة مانعة من اعتماد اهل الاديان ذلك فى صحفهم الالهية كما ذكره البخارى فى صحيحه فيكون هذا النمو الكثير فى بنى اسرائيل معجزة خارقة للعادة وتبقى العادة مانعة من ذلك فى غيرهم على حكم دلالتها واما استبعاد الزحف بينهم فصحيح لكنه لم يقع ولم تدع اليد حاجة واختصاص كل مملكة بعددها من الحامية صحيح وينو اسرائيل لم يكونوا اولا حامية ولم يكن لهم دولة وانما نموا هذا النحو ليستولوا على ارض كنعان التى وعدهم الله بها وطهر لهم بقعتها وكل هذه معجزات والله الهادى الى الحق (ومن الاخبار الواهية للمؤرخين) ما ينقلونه كافة فى اخبار التابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب والى الترك وبلاد التبت من بلاد المشرق وان افريقس (1) بن قيس بن صيفى من اعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام اوقبله بقليل غزا افريقية واثنى فى البربر وانه الذى سماهم بهذا الاسم حين سيع رطانتهم وقال ما هذه البربرة فاخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من يومئذ وانه لما انصرف عن المغرب جهر هناك قبائل من حمير فاقاموا بها فاختلطوا باهلها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبرى والجرجاني

(1) Man. A. امرنفس. Man. B. امرنفس.

والمسعودى وابن الكلبي والبيهقي الى ان صنهاجة وكتامة من حمير وباباه نسبة (1) البربر وهو الصحيح وذكر المسعودى ايضا ان ذا لاداعار من ملوكهم بعد افريقس وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودّوّه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وانه بلغ وادى الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون فى تبع الآخر وهو اسعد ابو كرب وكان على عهد يستاسب من ملوك الفرس الكينية انه ملك الموصل واذربيجان ولقى الترك فهزمهم واثخن فيهم ثم غزاهم وثانية وثالثة كذلك وانه بعد ذلك اغزا ثلاثة من بنيّه الى بلاد فارس والى بلاد الصغد من امم الترك ورآه النهر والى بلاد الروم فملك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المفازة الى الصين فوجد اخاه الثانى الذى غزا الى الصغد قد سبقه اليهما فاتخنا فى بلاد الصين ورجعا جميعا بالغنايم وتركوا ببلاد التبت قبائل من حمير فهم بها لهذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فحاصرها ودّوّه بلاد الروم ورجع وهذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة فى الوهم والغلط واشبه باحاديث القصاص الموضوعة وذلك ان ملك التبابعة انما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه الى البصرة من

(1) Man. A. نسبة.

الشرق وبحر السويس الهابط منه ايضا الى السويس من اعمال مصر من جهة المغرب كما تراه فى مصوّر الجغرافيا فلا يجد السالك من اليمن الى المغرب طريقا من غير السويس والمسلك هناك ما بين بحر السوبس والبحر الشامى قدر مرحلتين فما دونها ويبعد ان يمر بهذا المسلك ملك عظيم فى عساكر موفورة من غير ان تصير من اعماله هذا ممتنع فى العادة وقد كان بتلك الاعمال العمالقة وكنعان بالشام والقطب بمصر ثم ملك العمالقة مصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم ينقل قط ان التابعة حاربوا احدا من هؤلاء الامم ولا ملكوا شيئا من تلك الاعمال وايضا فالشقّة من اليمن الى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعساكر كثيرة فاذا ساروا فى غير اعمالهم احناجوا الى انتساف الزرع والنعم وانتهاب البلاد فيما يمترون عليه ولا يكفى ذلك للازودة والعلوفة عادة وان نقلوا كفايتهم من ذلك من اعمالهم فلا تنفى لهم الرواحل بنقله فلا بد وان يهتروا فى طريقهم كلها باعمال قد ملكوها ودوّخوها لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العساكر تهتروا بهؤلاء الامم ولا تميجهم فتحصل لهم الميرة بالمسالمة فذلك ايضا ابعد واشد امتناعا فدل على ان هذه الاخبار واهية او موضوعة واما وادى الرمل الذى يعجز السالك فلم يسمع قط ذكره فى المغرب على كثرة سالكه ومن نفص طرقه من الركاب والغزى فى كل

عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من الغرابة ما تتوقر الدواعي على نقله وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك وإن كانت طريقه أوسع من مسلك السويس إلا أن الشقة هنا أبعد وأمم فارس والروم معترضون فيها دون الترك ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وإنما كانوا يحاربون أهل فارس على حدود أرض العراق وبلاد العرب ما بين البحرين والحيرة الهتاهمة بينهما في الأعمال وقد وقع ذلك بين ذى الأذعار منهم وكيفاوس من ملوك الكينية وبين تبع الأصغر أبو كرب ويستاسب منهم أيضا ومع ملوك الطوائف بعد الكينية والساسانية من بعدهم فمجازاة التبابعة أرض فارس بالغزو إلى بلاد الترك والتبت مهتنع عادة من أجل الأهم المعترضة دونهم والحاجة إلى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مرّ فالأخبار بذلك وأهية مدخولة وهى لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحا فيها فكيف وهى لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحق أن تبعا الآخر سار إلى المشرق محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم إليها بوجه بما تقرّر فلا تثقن بها يلقي اليك من ذلك وتأمل الأخبار وأعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه والله الهادى إلى الصواب (فصل) وأبعد من ذلك وأعرق منه فى الوهم ما يتناقله المفسرون فى تفسير سورة الفجر عند قوله تعالى ألم تركيف فعل

ربك بعاد ارم ذات العماد يجعلون لفتة ارم اسما لمدينة
وصفت بانها ذات العماد اى الاساطين وينقلون انه كان لعاد
ابن عوض بن ارم ابنان هما شديد وشداد ملكا من بعده وهلك
شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف
الجنة فقال لابنائه مثلها فبنى مدينة فى صحارى عدن فى ثلثمائة
سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب
والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الشجر
والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته حتى اذا
كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فهلكوا ذكر ذلك الطبرى والثعالبي والزمخشري وغيرهم من
المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج
فى طلب ابل له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره
الى معوية فاحضره وقص عليه فبعث الى كعب الاحبار وساله عن
ذلك فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين
فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وفى عنقه خال
يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال والله
هذا ذلك الرجل انتهى وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من
يوميذ فى شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التى زعموا انها
بنيت فيها هى فى وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والركاب
والادلاء تنفض طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر

ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست
 فيما درس من الآثار لكان اشبه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة
 وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهي
 الهذيان ببعضهم الى انها غايبة عن الحسن وانما يعثر عليها اهل
 الرياضة والسحرة مزاعم كلها شبيهة بالخرافات والذي حمل
 الفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظ ذات
 العماد من انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين يتعين ان
 يكون بناء ورشح لهم ذلك قرآنة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة
 من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات التي هي اشبه
 بالافاصيل الموضوععة واقرب لتفسير (١) سيفوية الهنقولة في عداد
 المتحركات والا فالعماد هي عماد الخيام وان اريد بها الاساطين
 فلا بدع بوصفهم بانهم اهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر
 من قوتهم لا انه بناء خاص في مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كما
 في قرآنة بن الزبير فعلى اضافة الفصلة الى القبيلة كما تقول
 قريش كنانة والياس مضر وربيعة نزار من غير ضرورة الى هذا
 المحمل البعيد الذي يجلب لتوجيه امثال هذه الحكايات الواهية
 التي تنزه كتاب الله عن مثلها لبعدها عن الصحة (ومن الحكايات
 الهدخولة للمؤرخين) ما ينقلونه كافة عن سبب نكبة الرشيد للبرامكة
 من قصة العباسة اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاة وانه

(١) Man. A. للتفسير.

لكلفه بمكانها من معاقرة اياها الخمر اذن لها في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما في مجلسه وآن العباسية تحببت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها في حالة سكر فحملت ووشى بذلك للرشد فاستغضب وهيبات ذلك من منصب العباسية في دينها وابوتها وجلالها وانها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماؤا الملة من بعده العباسية بنت محمد المهدي بن عبد الله ابي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي ابي الخلفاء بن عبد الله ترجمان القرآن بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم بنت خليفة اخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحة الرسول وعمومته وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من ساير جهاتها قربة عهد ببداءة العربية وسداجة الدين البعيدة من عوايد الترف ومراع الفواش فابن يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها واين توجد الطهارة والزكاء اذا فقد من بيتها وكيف تاحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بهولى من موالى العجم تملك جده من الفرس مولاة (1) جدها من عموممة الرسول واشراف فريش وغايته ان جذبت دولتهم بضعة وضبع ابيه واستخلصتهم ورقتهم الى منازل التشريف وكيف يسوع

(1) Mau. C. اتولاهها.

من الرشيد ان يصهر الى موالى العجم على بعد همته وعظم آبايه ولو نظر المتأمل فى ذلك نظر المنصف وقاس العباسه بابنه ملك من اعظم ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالى دولتها وفى سلطان قومها واستنكره ولج (١) فى تكذيبه واين قدر العباسه والرشيد من الناس وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم اموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشركوه فى سلطانه ولم يكن له معهم تصرف فى امور ملكه فعظمت انارهم وبعد صيتهم وعمرؤا مرانب الدولة وخططها بالروساء من ولدهم وصناعيهم واحتازوها عتق سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لكان ابيهم يحيى من كفالة هارون ولى عهد وخليفة حتى شب فى حجره ودرج من عتد وغلبه على امره وكان يدعوه يا ابنتى فتوجه الايثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرن عليهم الآمال وتحطت اليهم من اقصى الشحوم هدايا الملوك

(١) Man. A. لجا.

وتحرف الامراء وتسربت الى خزائهم في سبيل التزلف
ولاستهالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظما
القرابة العطاء وطوقوهم المنن وكسبوا (1) من بيوتات الاشراف
المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم واسنوا
لعفاتهم الجوايز والصلوات واستولوا على القرى والضياع من
الضواحي والامصار في سائر الممالك حتى اسفوا البطانة
واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت لهم وجوه
المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثيرة من الدولة عقارب
السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة (2) اخوال جعفر من اعظم
الساعين عليهم لم تعطفهم لها وقر في نفوسهم من الحسد
عواطف الرحمة ولا وزعتهم اوامر القرابة وقارن تلك عند
مخدومهم نواشئ (3) الغيرة ولاستنكاف من الحجر والانفة وكامن
الحقود (4) التي بعثتها منهم صغائر الدالة وانتهى بها الاصرار
على شانهم الى كباير المخالفة كقصتهم في يحيى بن عبد
الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب اخي
محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على الهنصور
ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد
الديلم على امان الرشيد بخطه وبذل الف الف درهم على

(1) Man. B. كسبوا .

(3) Man. A. مؤاشئ .

(2) Man. B. قحطبة .

(4) Man. A. الحقود .

ما ذكره الطبرى ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بدارة
والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخلية سبيله
والاستبداد بحل عقاله حرصا لدماء اهل البيت بزعمه وذالة
على السلطان فى حكمه وساله الرشيد عنه لما وشى به
عليه ففطن وقال اطلقته فابدى له وجه الاستحسان واسرها فى
نفسه فاوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى نل
عرشهم واكفيت عليهم سماوهم وخسفت الارض بهم وبدارهم
وذهبت سلفا ومثالا للاخرين ايامهم ومن تأمل اخبارهم
واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الانر ممهد
الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبد الله فى مفاوضة الرشيد عم
جده داوود بن على فى شأن نكبتهم وما ذكره فى باب
الشعراء من كتاب العقد فى محاورة الاصمعى للرشيد وللفضل
بن يحيى فى سمرهم تتفهم انه اتما قتلهم الغيرة والهنافسة
فى الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيل به
اعداؤهم (1) من البطانة فيها دسوه للمغنيين من الشعراء احتيالا
على اسماعه للخليفة وتحريك حفايظه لهم وهو قوله

لبت هند انجزتنا ما تعد وشفت انفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة انها العاجز من لا يسبد

وان الرشيد لما سمعها قال اى والله عاجز حتى بغوا بامثال

(1) Man. A. et B. اعدادهم.

هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال وأما ما تموه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا (1) لله ما علمنا عليه من سوء واين هذا من حال الرشيد وقيامه بها يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاورته للفضل بن عياض وابن السماك والعمرى ومكاتبته سفيان وبكاية من مواعظهم ودعايه بهكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والمحافظة على اوقات الصلوات وشهود الصبح باول (2) وقتها حكى الطبرى وغيره انه كان يصلى كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحج عاما ولقد زجر ابن ابي مریم مضحكة سهره حين تعرض له بهتل ذلك فى الصلاة لها سمعد يقرأ وما لى لا اعبد الذى فطرنى قال والله لا ادرى لم فما تمالك (3) الرشيد ان ضحك ثم النفث مغضبا وقال يا بن ابي مریم فى الصلاة ايضا اياك اياك والقران والدين ولك ما شئت بعدها وايضا فقد كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب (4) عهده من سلفه المتحليين لذلك ولم يكن بينه وبين جدّه ابي جعفر بعيد زمن اتما خلفه غلاما وقد كان

(1) Man. B. حاشى لله.

(3) Man. A. تهلك.

(2) Cod. B. لاول.

(4) Man. A. بقرب.

ابو جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافة وبعدها وهو
 القائل لهالك حين اشار عليه بتأليف الهوطا يا ابا عبد الله
 انه لم يبق على وجه الارض اعلم متى ومنك وانتى قد
 شغلتنى الخلافة فضع انت للناس كتابا ينتفعون به تجب فيه
 رخص ابن عباس وشدايد ابن عمر ووطيه للناس توطية فقال
 مالك فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ ولقد ادركه ابنه
 المهدي ابو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من
 بيت المال ودخل عليه يوما وهو بمجلسه يباشر الخياطيين
 فى ارقاع الخلقان من ثياب عياله فاستنكف المهدي من
 ذلك وقال يا امير المؤمنين على كسوة هذا العيال عامنا هذا
 من عطاءى فقال لك ذلك ولم يصده عنه ولا سمح
 بالانفاق من اموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب
 العهد من هذا الخليفة وابوته وما ربى عليه من امثال هذه
 السير فى اهل بيته والتخلق (1) بها ان يعاقر فى الخمر او يجاهر
 بها وقد كانت حال الاشراف من العرب الجاهلية فى
 اجتناب الخمر معلومة ولم تكن الكرم شجرتهم (2) وكان شربها
 مذمة عند الكبير منهم والرشيد وآباؤه كانوا على ثبج من
 اجتناب المذمومات فى دينهم ودنياهم والتخلق بالحامد
 واوصاف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبرى

(1) Man. A. النخلى.

(2) Man. A. شجرتهم.

والمسعودى فى قصة جبرئيل بن بختيشوع الطبيب حين احضر له السمك فى مايدته فحماء عنه ثم امر صاحب اليايدة بحمله الى منزله وطفن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فاعد ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك فى ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول واليوارد والحلوى وصبت على الثانية ماء مثالجا وعلى الثالثة خمر صرفا وقال فى الاول والثانى هذا طعام امير المؤمنين ان خلط السمك بغيره او لم يخلط وقال فى الثالثة هذا طعام ببختيشوع ودفعها الى صاحب اليايدة حتى اذا انتبه الرشيد واحضر للتوبيخ احضر الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت ووجد الآخرين قد فسدا وتغيرت رايحتهما فكانت له فى ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد فى اجتناب الخمر كانت معروفة عند بطانته واهل مايدته ولقد ثبت عنه انه عهد بحبس ابى نواس لىا بلغه من انهاكة فى المعاقرة (1) حتى تاب واقلع وانها كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وفتاويهم فيها معروفة واما الخمر الصرف من الغنبل فلا سبيل الى اتهامها بها ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرما من اكبر الكباير عند اهل الملة ولقد كان اوليك القوم كلهم بمنجاة

(1) Cod. A. المسافرة.

من خث السرف والترف فى ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسداجة الدين التى لم يفارقوها بعد فما ظنك بما يخرج عن الاباحة الى الحظر وعن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبرى والمسعودى وغيرهما على ان جميع من سلف من خلفاء بنى امية وبنى العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من القصة فى الهناطى والسيوف والالحج والسروج وان اول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضا فى ملابسهم فما ظنك فى مشاربهم ويتبين ذلك باتم من هذا اذا فهمت طبيعة الدولة فى اولها من البداوة والغضاضة كما نشرح فى مسابيل الكتاب الاول ان شاء الله تعالى (وبناسب هذا) او قريبا منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن اكثم قاضى المامون وصاحبه وانه كان يعاقر المامون الخمر وانه سكر ليلة مع شربه فدفن فى الریحان حتى افاق وينشدون على لسانه

يا سيدي وامير الناس كلهم فد جارفى حكمه من كان يسفنى
انى غفلت عن الساقى فصبرنى كما ترائى سلب العقل والدين

وحال ابن اكثم والمامون فى ذلك من حال الرشيد وشرابهم انما كان التبيذ ولم يكن محظورا عندهم واما السكر فليس من شأنهم وصحابته للمامون انما كانت خلة فى الدين ولقد ثبت

انه كان ينام معه في البيت ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته انه انتبه ذات ليلة فقام يتجسس وبلتمس الاناء مخافة ان يورط يحيى بن اكثم وثبت انهما كانا يصليان الصبح جميعا فاين هذا من المعافرة وايضا فيحيى بن اكثم كان من اهل الحديث وقد اثنى عليه الامام احمد بن حنبل والقاضي اسمعيل وخرج عنه الترمذى في كتابه الجامع ذكر الحافظ المزنى ان البخارى روى عنه في غير الجامع فالقدح فيه قدح في جميعهم (1) وكذلك ينزهه المتجان باليل الى الغلمان بهتاناً على الله وفرية على العلماء ويستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدائه فانه كان محسداً في كماله وخلته للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزهاً (2) عن مثل ذلك وقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر ذلك انكاراً شديداً واتى عليه وقيل لاسمعيل مما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله لتكذيب باغ وحاسد وقال يحيى بن اكثم ابراء الى الله من ان يكون فيه شئ مما كان يرمى به من امر الغلمان ولقد كنت افق على سرايره فاجده شديد الخوف لله لكنه كانت فيه دعاية وحسن خلق فرمى بها روى به وذكره ابن حبان في

(1) Man. A جميعهم

(2) Man B نبذة. A. ينزهة

الثقات وقال لا تشتغل (1) بما يحكى عنه لان اكثرها لا تصح عنه (ومن امثال) هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد من حديث الزنبيل فى سبب اصهار المامون الى الحسن بن سهل فى بنته بوران وانه عثر فى بعض الليالى فى تطوافه (2) بسكك بغداد بزنبيل مدلى (3) من بعض السطوح بمعلق وجدل مغارة القتل من الحرير فاقتعده وتناول المعالق فاهتزت وذهب به صعودا الى مجلس شانه كذا ووصف من زينة فرشه وتنصيد ابنته (4) وجمال روايه ما يستوقف الطرف ويملك النفس (5) وان امراة برزت من خلل الستور فى ذلك المجلس رايعة الجمال فتانة المحاسن فحيته ودعته الى المنادمة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حباً بعثه الى الاصهار الى ابيها واين هذا كله من حال المامون المعروفة فى دينه وعلمه واقتفايه سنن الخلفاء الراشدين من ابايه واخذة بسيرة الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته العلماء وحفظه لحدود الله فى صلواته واحكامه فكيف تصح عنه احوال الفساق المشتهرين (6) فى التطواف بالليل وطروق

(1) Man. A. et B. يشتغل

(4) Man. C. أنيته.

(2) Man. A. تطوفه.

(5) Man. A. النفوس.

(3) Man. A. يدل.

(6) Man. C. المستهزين. Je lis المستهزين.

المنازل وغشيان السمر سبيل عشاق الاعراب وايسن ذلك من منصب بنت الحسن بن سهل وشرفها وما كان بدار ابها من الصون والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك في اللذات المحرمة وهتك قناع المروءة وتعللون بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثيرا ما يلهجون باشباه هذه الاخبار وينقرون (1) عنها عند تصحيحهم لاوراق الدواوين ولو ائتمروا بهم في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللابقة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم لو كانوا يعلمون (ولقد) عدلت يوما بعض الامراء من اولاد الملوك في كلفه بتعلم الغنا وولوعه بالآوتار وقلت له ليس هذا من شانك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلا ترى الى ابراهيم ابن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المغنيين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا (2) تأسيت بابيه او اخيه او ما رايت كيف قعد ذلك بابراهيم عن مناصبهم فصم عن عدلى واعرض (ومن الاخبار الواهية) ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين في العبيديين خلفاء الشيعة بالقبروان والقاهرة من نفهم عن اهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم الى اسعيل الامام بن جعفر

(1) Man. A et B. يقرنون

(2) Man. A. هل

الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لقيت
 للمستضعفين من خلفاء بنى العباس تزلّفا اليهم بالقدح فيمن
 ناصبهم وتفتنا في الشّمتا بعدوهم حسبما نذكر بعض هذه
 الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن النّظن لشواهد الواقعات
 وادّلة الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب
 دعواهم والردّ عليهم فاتهم متفقون في حديثهم عن مبداء دولة
 الشيعة ان ابا عبد الله المحتسب لما دعى بكتامة للرضى من
 آل مجد واشتهر خبره وعلم تحويبه على عبيد الله المهدي
 وابنه ابي القاسم خشيا على انفسهما فهربا من المشرق محلّ
 الخلافة واجتازا ببصر وانهما خرجا من الاسكندرية في زى
 الشّجار واما خبرهما الى عيسى النوشزى عامل مصر
 والاسكندرية فشرح (1) في طلبهما الخيالة حتى اذا ادركا
 خفى حالهما على تابعيهما بما لبسوا به من الشارة والزى
 فافلتوا الى المغرب وان المعتضد اوغر الى الاغالبية امراء افريقية
 بالقيروان وبنى مدرار امراء سجلماسة باخذ الآفاق عليهما
 واذكاء العيون في طلبهما فعثر اليسع صاحب سجلماسة من
 آل مدرار على خفى مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاة للخليفة
 هذا قبل ان تظهر الشيعة على الاغالبية بالقيروان ثم كان بعد
 ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بافريقية والمغرب ثم باليمن ثم

(1) Man. A. فخرج.

بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بنى العباس في الممالك شقّ الابلية وكادوا يلجون عليهم مواطنهم ويديلون من امرهم ولقد اظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير البساسيري من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء بنى العباس في مغاضبة جرت بينه وبين امراء العجم وخطب لهم على منابرها حولا كرتيا وما زال بنو العباس يغصون بهكائهم ودولتهم وملوك بنى امية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم وكيف يقع هذا كله لدنّى بالنسب مكذب في انتحال الامر واعتبر حال القرمطى اذا كان دعيا في انتسابه كيف تلاشت دعوتهم وتفرق اتباعه وظهر سريعا على خبثهم ومكرهم فسأت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة

فهيها تكن عند امر من خليفة وان خالها نحفي على الناس تعلم

فقد اتصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم ومصلاة ومواطن الرسول ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الهلايكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على اسم ما كانوا عليه من الصاغية اليهم والحب فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل ابن جعفر الصادق وقد خرجوا مرارا بعد ذهاب الدولة ودروس اثرها داعبين الى بدعتهم هانفين باسماء صبيان من عقبهم يزعمون استحقاتهم للخلافة

وبذهبون الى تعيينهم بالوصية ممن (١) سلف قبلهم من الائمة ولو ارتابوا في نسبهم لها ركبوا اعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في امره ولا يشتهه في بدعته ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجب من القاضي ابي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة الهرجوحة ويرى هذا الراى الضعيف فان كان ذلك لها كانوا عليه من الاتحاد في الدين والتعمق في الرفضة فليس ذلك بدافع (١) في صدر بدعتهم وليس اثبات منتسبهم بالذى يغنى عنهم من الله شيا في كفرهم فقد قال الله تعالى لنوح عليه السلام في شان ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها يا فاطمة اعلمى فلن اغنى عنك من الله شيا ومتى عرف امره قضية او استيقن امرا وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيوعهم وانتشارهم في القاصية بدعوتهم وتكرر خروجهم مرة بعد اخرى فلاذت رجالاتهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل

فلو سئل لايلام ما اسمى ما درت واين مكانى ما عرفن مكانى

(١) Man. A. فحين.

(٢) Man. A. يدافع

حتى لقد سمى محمد بن اسمعيل الامام جدّ عبيد الله المهدى بالمكتوم سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من اخفايه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة آل العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلقوا بهذا الرأي الفاييل الى المستضعفين من خلفائهم واعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتاميين شيعة العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاة ببغداد بنفيهم عن هذا النسب وشهد بذلك من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضى واخوه المرتضى وابن البطحاوى ومن العلماء ابو حامد الاسفراينى والقدرى والصيمرى وابن الاكفانى والابوردى و ابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ثنتين واربعماية في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بنى العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه (1) والحق من وراءه وفي كتاب المعتضد في شان عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة

(1) Man. A. دعوة.

أصدق شاهد وأوضح دليل على صحّة نسبهم فالمعتضد أقعد
بنسب أهل البيت من كل أحد والدولة والسلطان سوق للعالم
يجلب إليه بضائع العلوم والصنایع وتلتبس فيه ضوأل الحكم
وتحدى إليه ركايب الروایات والأخبار وما نفق فيها نفق
عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل ولافسن
والفسلفة وسلكت النهج الأمّ ولم تجر عن قصد السبيل
نفق (1) في سوقها الأبريز الخالص واللجين الصافي (2) وان
ذهبت مع الأغراض والحقود وماجت بسماسرة البغي والباطل
نفق البهرج والزأيف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان بحته
وملتسمه (ومثل هذا) وابعده منه كثيرا ما يتناجى به الطاعنون
في نسب ادريس بن عبد الله بن حسن بن
الحسن بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين الامام
بعد ابيه بالمغرب الأقصى ويعرضون تعريض الحسد (3)
بالتظنن (4) في الحمل المخلف عن ادريس الاكبر انه لراشد
مولاهم قبحهم الله وابعدهم ما اجهلهم اما (5) يعلمون ان ادريس
الاكبر كان اصهاره في البربر وانه مذ دخل المغرب الى
ان توفاه الله عز وجل عريق في البدو وان حال البادية في

(1) Man. A. لفق.

(4) Man. A. بالنظن.

(2) Man. B. et C. المصفى

(5) Man. A. انها

(3) J'ai lu le hسد au lieu de الحد.

كل ذلك غير خافية اذ لا مكامن لهم يتأتى فيها الريب
واحوال حرُمهم اجمعين ببرأى من جاراتهن ومسمع من
جيرانهن لتلاصق الجدران وتطامن البناء وعدم الفواصل بين
المساكن (1) وقد كان راشد يتولى (2) خدمة الحرم اجمع
من بعد مولاه بمشهد من اوليايهم وشيعتهم ومراقبة من كافتهم
وقد اتفق برابرة المغرب الاقصى عامة على بيعة ادريس
الاصغر من بعد ابيه وآتوه طاعتهم عن رضى واصفاق وبايعوه
على الموت الاحمر وخاضوا دونه بحار النيايا فى حروبه
وغزواته ولو حدثوا انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت
اسماعهم ولو من عدو كاشح او منافق مراتب لتخلق عن
ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من
بنى العباس اقتالهم ومن بنى الاغلب عمالهم كانوا بافريقية
وولاتهم وذلك انه لما فر (3) ادريس الاكبر الى المغرب من
وقعة فح اوغر الهادى الى الاغالبة ان يقعدوا له بالهرصاد (4)
ويذكوا (5) عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب
فتم (6) امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك
على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من

(1) Man. المساكن.

(2) Man. A. يقول.

(3) Je lis قر au lieu de قر.

(4) Man. C. المرصاد.

(5) Man. B. يذكروا.

(6) Man. B. فنها.

دسياسة الشيع للعلوية وادهانه فى نجاة (1) ادريس الى المغرب
فقتله ودس الشماخ من موالى ابيه للتحيّل (2) على قتل
ادريس فاطهر السحاق به والبراءة من بنى العباس مواليه
فاشتمل عليه ادريس وخالطه بنفسه وناولته الشماخ فى بعض
خلواته سماً استهلكه به ووقع خبر مهلكه من بنى العباس
احسن المواقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية
بالمغرب واقتلاع جرثومتها ولم يتأذ اليهم خبر الحمل المخلف
لادريس فلم يكن الا كلا ولا واذا بالدعوة قد عادت والشيعه
بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس تجددت
فكان ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان الفشل والهرم
قد نزل بدولة العرب عن ان يسموا الى القاصية فلم يكن
منتهى قدرة الرشيد على ادريس الاكبر بمكانه من قاصية
المغرب واشتمال البربر عليه الا الشحيل فى اهلاكه بالسموم
فعند ذلك فرعوا الى اولياهم من الاغالبه بافريقية فى سدّ
تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من
قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل ان تشج منهم بخطابهم
بدلك المامون ومن بعدهم من خلفائهم فكان الاغالبه من برايرة
المغرب الاقصى اعجز ولمثلها من الزبون على ملوكهم احوج
لها طرق الخلافة من انتزاع الهاليك العجم على سدّتها

(1) Man. B. نجاة.

(2) Man. B. للتحيّل.

وامتطاهم صهوة الغلب عليها وتصريفهم احكامها طوع اغراضهم
فى رجالها وجبايتها واهل خططها وسائر نقضها وابرامها كما
قال شاعر عصرهم

خليفة فى قص بين وصيف وبعثا يقول ما قال له كما تقول الببغا

فخشى هؤلاء الامراء الاغلبة بوادر السعايات وتلّوا بالمعاذير
فطورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب بشأن ادريس
الخارج به ومن قام مقامه من اعقابه يخاطبونهم بتجاوزة
حدود الترخوم من عمله وينفذون (١) سكتة فى تحفهم وهداياهم
ومرتفع جبايانهم تعريضا باستفحاله وتهويلا باشتداد شوكته
وتعظيما لما دفعوا اليه من مطالبته ومراسه تهديدا بقلب الدعوة
ان الجيوا اليه وطورا يطعنون فى نسب ادريس بمثل ذلك
الطعن الكاذب تحقيضا لشانه لا يبالون بصدقه من كذبه لبعد
المسافة وافن عقول من خلف من صبية بنى العباس
ومالكهم العجم فى القبول من كل قاييل والتستع لكل ناعق
ولم يزل هذا دابهم حتى انقضى امر الاغلبة ففرعت هذه
الكلمة الشنعاء اسماع الغوغا وصر عليها بعض الطاعنين (٢) اذنه
واعتدها ذريعة الى النيل من خلفهم عند المنافسة وما لهم قبحهم
الله والعدول عن مقاصد الشريعة ولا تعارض فيها بين المقطوع
والمظنون وادرس ولد على فراش ابيه والولد للفراش على ان

(١) Man. C. ينقدون.

(٢) Man B الطاعنين et C. الطاعنين

تنزيه اهل البيت عن مثل هذا من عقايد الايمان فالله سبحانه قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ففراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القرآن ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء بائه وولج الكفر من بابه وانما اطنبت في هذا الرد سدا لا ابواب الرب ودفعنا في صدر الحاسد لما سمعته اذناى (1) من قايله المعتد عليهم به القادح في نسبهم بفريته (2) وينقله بزعمه عن بعض مورخى (3) المغرب ممن انحرف عن اهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا فالمحل منزّه عن ذلك معصوم منه ونفى العيب حيث يسحيل العيب عيب لكنى جادلت عنهم في الحياة الدنيا وارجو ان يجادلوا عنى يوم القيامة (وليعلم) ان اكثر الطاعين في نسبهم انما هم الحسدة لاعتقاب ادريس هذا من منتهم الى اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاء هذا النسب دعوى شرف عريض على الامم والاجيال من اهل الآفاق فتعرض التهمة فيه ولما كان نسب بنى ادريس هؤلاء بمواطنهم من فاس وسائر بلاد المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح (4) مبلغا لا يكاد يلاحق ولا يطمع احد في دركه اذ هو نقل الامة والجيل من الخلف عن الامة والجيل من السلف وببيت جدّهم ادريس مختطّ

(1) Man. A. اذنى

(2) Man. B. بفريته

(3) Man. A. مورخ

(4) Man. A et B. الوضوح.

فاس وموتسها بين بيوتهم ومسجده لصق محلّتهم ودورهم (1). وسيفه منتضى برأس المأذنة العظمى من قرار بلدهم وغير ذلك من آثاره التى جاوزت اخبارها حدود التواتر مرّات وكادت تلحق بالعيان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى ما اتاهم الله من امثالها وما عضد شرفهم النبوى من جلال الملك الذى كان لسلفهم بالمغرب واستيقن انه بمعزل عن ذلك وانه لا يبلغ مدّ احدهم ولا نصيفه وان غاية امر المنتميين الى البيت الكريم ممن لم تحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس مصدّقون فى انسابهم وبنون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وودّ كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء حسدا من عند انفسهم فيرجعون الى الغناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن الغايل والقول المكذوب تعلّلا بالمساواة فى الطّقة والمشابهة فى تطرّق الاحتمال وهيئات لهم ذلك فليس فى المغرب فيما نعلمه من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ فى صراحة نسبه ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبرآوهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولد يحيى الجوطى ابن محمد بن يحيى المعدام ابن القاسم بن ادريس بن

(1) Man. B. دورهم.

ادريس وهم بقايا اهل البيت هنالك والساكنون ببیت
جدهم ادريس ولهم السيادة على اهل المغرب كافة حسبما
نذكرهم عند ذكر الادارسة ان شاء الله وهم بنو عمران بن محمد
ابن الحسن بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن على بن
محمد بن يحيى بن ابراهيم ابن يحيى الجوطى والنقيب لهذا
العهد منهم محمد بن على (1) بن محمد بن عمران
(ويلاحظ) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفايلة ما يتناوله
ضعفة الراى من فقهاء المغرب من القدح فى الامام المهدي
صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشعوذة والتلبيس فيما اتاه
من القيام بالتوحيد الحق والنعى على اهل البغى قبله (2)
وتكذيبهم لجميع مدعياته فى ذلك حتى فيما يزعم
الموحدون اتباعه انتسابه فى اهل البيت وانما حمل الفقهاء
على تكذيبه ما كمن فى نفوسهم من حسده على شانه
فانهم لما (3) راوا من انفسهم مناهضته فى العلم والفتيا وفى
الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع الراى مسروع القول
موطوء العقب نفسوا ذلك عليه وعضوا (4) منه بالقدح فى مذاهبه
والتكذيب لهدعياته وايضا فكانوا يونسون من ملوك لمتونة
اعدايه تجلّة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لها كانوا عليه من

(1) Man. A. محمد.

(2) Man. A. مله

(3) Man. B. دلوا.

(4) Man. A. et B. عضوا. Jelis.

السذاجة وانتحال الديانة فكان لحملة (1) العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى كل فى بلده (2) وعلى قدره فى قومه واصبحوا بذلك شيعة لهم وحربا لعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتشريب عليهم والمناسبة لهم تشييعا للمتونة وبغضا لدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحاله (3) غير معتقداتهم وما ظنك برجل نقم على الدولة ما نقم من احوالهم وخالف اجتهاده فقهاوهم فنادى فى قومه ودعى الى جهادهم بنفسه فاقتلع الدولة من اصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة واعز (4) انصارا وحامية وتساقطت فى ذلك من اتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقها قد بايعوه على الهوت ووقوه بانفسهم من الهلكة وتقربوا الى الله باتلاف مهجهم فى اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم وادالت بالعدوتين من الدول وهو بحاله من التقشف والحصر والصبر على المكاره والنقل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على شئ عن الحظ والمتاع فى دنياه حتى الولد الذى رتبا تجنح اليه النفوس ويخادع عن تمتيه فليت شعري ما الذى قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من

(1) Man. C. بحيلة.

(3) Man. C. على.

(2) Man. B. فى كل بلدة.

(4) Man. A et B. اغز

الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تمّ امره وانفسحت دعوته سنة الله التي قد خلت في عباده وأما انكارهم نسبه في اهل البيت فلا يعصده حجة لهم مع ان (1) ثبت انه ادّعاء وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لان الناس مصدّقون في أنسابهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون على قوم في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبها ياتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قد رأس ساير المصامدة ودانوا (2) باتباعه والانقياد اليه والى عصابته من هرغه حتى تمّ امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب الفاطمي لم يكن امر المهدي يتوقف عليه ولا اتبعه الناس لنسبه (3) وأما كان اتباعهم له بعصبة الهرقية والمصمودية ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها (4) وكان ذلك النسب الفاطمي خفياً قد درس عند الناس وبقي عنده وعند (5) عشيرته يتناقلونهم بينهم فيكون النسب الاول كأنه انسلخ منه وليس جلدة هولاء وظهر (6) فيها فلا يضّرّه الانتساب الاول في عصبته اذ هو مجهول (7) عند اهل العصابة ومثل هذا وقع كثيراً اذا كان النسب الاول خفياً وانظر قصة عرفة (8)

(1) Le M. A. omet أن. Man. C. مع انه يثبت (5) Man. A. عنه.

(2) Man A. et B. أدانوا.

(6) Man. C. طور.

(3) Man. C. بسببه.

(7) Man. B. مجهول.

(4) Man A. منها.

(8) Man. B. عرفة.

وجرير في رياسة بجيلة (1) وكيف كان عرفة من الازد
وليس جلدة بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر
رضي الله عنه كما هو مذكور تفهم منه وجه الحق والله
الهادي الى الصواب (وقد) كدنا ان نخرج عن غرض الكتاب
بالاطناب في هذه المغالط فقد زلت اقدام كثير من الاثبات
والمؤرخين الحفّاط في مثل هذه الاحاديث والآراء وعلقت
بافكارهم ولقوها عنهم الكافة من ضعفة النظر والغفلة عن
القياس ولقوها هم ايضا كذلك من غير بحث ولا روية (2)
واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا
وناظره مرتبكا وعدّ من مناحي العامة فاذن يحتاج صاحب
هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبايع الوجودات واختلاف
الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوايد والنحل
والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك
ومماثلة ما بينه وبين الغايب من الوفاق او بون ما بينهما
من الخلاف وتعليل المتفق منه والمختلف والقيام على اصول
الدول والهلل ومبادئ ظهورها واسباب حدوثها ودواعي كونها
واحوال القايمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب
كل حادث واقفا على اصل كل خبر وحينئذ يعرض خبره
المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها جرى

(1) Man. A. بجيلة.

(2) Man. A. روية.

على مقتضاها كان صحيحا ولا زيفه واستغنى عنه وما استكبر
 القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انتحله الطبرى والبخارى
 وابن اسحق من قبلهما وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل (1)
 الكثير عن هذا السرفيه حتى صار انتحاله مجهلة واستحق
 العوام ومن لا رسوخ له فى المعارف مطالعته وحمله والنحوض
 فيه والتطفل عليه فاختلط المزعج بالهمل واللباب بالقشر
 والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور (ومن الغلط الخفى
 فى التاريخ) الذهول عن تبدل الاحوال فى الامم والاجيال
 بتبدل الاعصار ومرور الايام وهو داء دوى وشديد الخفاء اذ
 لا يقع الا بعد احقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من
 اهل الخليفة وذلك ان احوال العالم والامم وعوايدهم ونحلهم
 لا تدوم على تيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على
 الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك فى
 الاشخاص والافات والامصار فكذلك يقع فى الآفاق
 والاقطار والازمنة والدول ستة الله التى قد خلت فى عباده
 وقد كانت فى العالم امم الفرس الاولى والسريانيين والنسبط
 والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال خاصة بهم فى
 دولهم وممالكهم وسياستهم وصناعاتهم ولغاتهم واصطلاحاتهم
 وسائر مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واحوال اعتمادهم للعالم

تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب
والفرجة فتبدلت تلك (1) الاحوال وانقلبت بها العوايد الى
ما يجانسها ويشابهها والى ما يباينها ويباعدها ثم جاء
الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلابا
اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذ
الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب واياهم وذهب
الاسلاف الذين شيّدوا عزهم (2) ومهدوا ملكهم وصار الامر
فى ايدي سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر
بالمغرب والافرنجة بالشمال فذهبت بذهابهم امم وانقلبت
احوال وعوايد نسي شأنها واغفل امرها والسبب الشايع فى
تبدل الاحوال والعوايد ان عوايد كل جيل تابعة لعوايد سلطانه
كما يقال فى الامثال الحكيمية الناس على دين الملك واهل
الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد وان
ينزعوا الى عوايد من قبلهم وياخذون الكثير منها ولا يغفلون
عوايد جيلهم مع ذلك فيقع فى عوايد الدولة بعض المخالفة
لعوايد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم
ومزجت من عوايدهم وعوايدها خالفت ايضا بعض الشئ
وكانت الاولى اشدّ مخالفة ثم لا يزال التدريج فى المخالفة
حتى ينتهى الى المبينة بالجملة فما دامت الامم والاجيال

(1) Man. A. كل.

(2) Man. A. عزهم.

تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوايد
والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة
ومن الغلط غير مأمونة تخرجه مع الذهول والغلط عن قصده
وتعوج به عن مراده (1) فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار
الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجريها
لاول وهلة مع ما عرف ويقيسها بما شهد وقد يكون الفرق
بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط (فمن هذا الباب) ما
ينقله المؤرخون من احوال الحجاج وان اباه كان من المعلمين
مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنایع المعاشية البعيدة
من اعتزاز اهل العصبية (2) والمعلم مستضعف مستكين منقطع
الجذم (3) فيتشوف الكثير من المستضعفين اهل الحرف والصنایع
المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها باهل ويعدونها من
الممكنات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبها
من ايديهم فسقطوا في مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون
استحالتها في حقهم وانهم اهل حرف وصنایع للمعاش وان
التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن
العلم بالجملة صناعة انما كان نقلا لما سمع من الشارع
وتعلينا لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل
الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون

(1) Man. B. امر الله.

(2) Man. A. العصبية.

(3) Man. B. الخدم.

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn-Khaldoun.

كتاب الله وستة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ
الخبرى لا على وجه التعليم الصناعى اذ هو كتابهم المنزل على
الرسول منهم وبه هدايتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه قتلوا
واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرصون (1) على تعليم
ذلك وتفهمه للامة لاتصدهم عنه لايمة الكبر ولا يزعمهم (2)
عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبى صلى الله عليه وسلم
كبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام وما
جاء به من شرايع الدين بعث فى ذلك من اصحابه
العشرة (3) فمن بعدهم فلها استقر الاسلام ووشجت عروق
الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدى اهلها واستحالت
بمرور الايام احوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص
لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج الى قانون يحفظه من الخطا
وصار العلم ملكة تحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنایع
والحرف كما ياتى ذكره فى فصل العلم والتعليم واشتغل
اهل العصبية بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام
به من سواهم واصبح حرفة الهعاش وشمخت (4) انوف
المترفين واهل السلطان عن التصدى للتعليم واختص انتحاله
بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند اهل العصبية والملك

(1) Man. A. فيصرحون.

(3) Man. B. الغرة.

(2) Man. A. et B. يزعمهم; man. C. يزعمهم. (4) Mau A. سخمخة.

والحجاج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقيف وأشرافهم
ومكانهم من عصبية العرب ومناهضة قريش في الشرف ما
علمت (1) ولم يكن تعليقه للقران على ما هو الامر عليه لهذا
العهد من انه حرفة للمعاش وإنما كان على ما وصفناه من
الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب) ما يتوهمه المتصفحون
لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من
الرياسة في الحروب وقود العساكر فتترامى بهم وساس
الهمم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشأن في خطة
القضا لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بآبى
ابى عامر حاجب هشام الهستبة عليه وابن عباد من ملوك
الطوائف بأشبيلية اذا سمعوا ان آباهم كانوا قضاة انهم مثل
القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضا من
مخالفة العوايد كما نبينه في فصل القضا من الكتاب الاول
وابن ابى عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القاييين
بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها
معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرياسة والملك بخطة
القضا كما هي لهذا العهد بل انما كان القضا في الامر
القديم لاهل العصبيات من قبيل الدولة ومواليها كما هي
الوزارة لعهدنا بالغرّب وانظر خروجهم بالعساكر في

(1) Le man. A. ajoute.

الصوائف وتقليدهم عظيم الامور التي لا نقدر الا لمن له
الغنا فيها بالعصبية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الاحوال
الى غير ما هي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضعف البصائر
اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم
منذ اعصار بعيدة لفناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة
اهل العصبية من البربر بقيت انسابهم العربية محفوظة
والذريعة الى العز من العصبية والناصر مفقودة بل صاروا
من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورئوسا
للمذلة (1) يحسبون ان انسابهم مع مخالطة الدولة هي
التي يكون بها الغلب والتحكم فتجد اهل الحرف منهم
والصنائع متصدّين لذلك ساعين في نيله فاما (2) من باشر
احوال القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون
التغلب بين الامم والعشائر فقل ما يغلطون في ذلك او (3)
يخطئون في اعتباره (ومن هذا الباب) ايضا ما يسلكه
المؤرخون عند ذكر الدول ونسق ملوكهم فيذكرون اسمه ونسبه
واته واباه ونسائه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل
ذلك تقليدا لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم
والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون (4) تواريخهم لاهل

(1) Man. B. للمذلة.

(3) Man. A. ام.

(2) Man. A. فيها

(4) Man. B. يصنعون.

الدولة وابناوهم متشوقون الى سير سلفهم ومعرفة احوالهم
لبقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى فى اصطناع الرجال
من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لانباء صنايعهم
وذويهم والقضاة ايضا كانوا من اهل عصبة الدولة فى عداد
الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذكر ذلك كله
واما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ووقف
الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول
بعضها من بعض فى قوتها وغلبيتها ومن كان يناهضها من
الامم او يقصر عنها فما الفائدة للمصنف لهذا العهد فى ذكر
الانباء والنساء ونقش الخانم واللقب والفاضى والوزير والحاجب
من دولة قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم
انما حيلهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين
الاندلسيين والذهول عن تحررى الاغراض من التاريخ اللهم
الا ذكر الوزراء الذين عظم آثارهم وعقت على الملوك اخبارهم
كالهجاج وبنى المهلب والبرامكة وبنى سهل بن نوبخت
وكافور الانشىدى وابن ابى عامر وامثالهم فغير تكبير الالهة
بايامهم والاشارة الى احوالهم لانتظامهم فى عداد الملوك
(ولنذكر) هنا فائدة نختم كلامنا فى هذا الفصل بها وهى ان
التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل فاما ذكر
الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار فهو أس للمورخ يتبنا

عليه اكثر مقاصده ويتبين به اخباره وقد كان الناس يفردونه (1) بالتأليف كما فعله المسعودى فى كتاب مروج الذهب شرح فيه احوال الامم والآفاق لعده فى عصر الشدثين والثلاثماية غربا وشرقا وذكر نحلهم وعوايدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اما للمؤرخين يرجعون اليه واصلا يعولون فى تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكرى من بعده ففعل مثل ذلك فى المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الاحوال لان الامم والاجيال لعده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير واما لهذا العهد وهو آخر الماية الثامنة فقد انقلبت احوال المغرب التى نحن شاهده وتبدلت بالجملة واعتاض من اجيال البربر اهل على القديم بمن طراء فيه من لدن الماية الخامسة من اجيال العرب بما كثروهم وغلبوهم انتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فى شئ (2) من البلدان لملكتهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا فى منتصف هذه الماية الثامنة من الطاعون الجارف الذى تحقق الامم وذهب باهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلغ الغاية

(1) Man A. يفردونه

(2) Man C. فيها بقى من

من مداها ففلاص من ظلالها وفل (1) من حدها وأوهى (2) من سلطانها وتداعت الى التلاشى والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن (3) وكأني (4) بالمشرق وقد نزل به ما قد نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقدار عمرانها وكأنما نادى لسان الكون في لعالم بالخمول والانقباض فبادر الى الاجابة والله وارث الارض ومن عليها (واذا) تبدلت الاحوال جملة فكانما تبدل الخلق من اصله وتحول العالم بأسره وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون احوال الخليقة والآفاق واجيالها والعوايد والنحل التي تبدلت لاهلها ويقفو مسلك السعدى لعصره ليكون اصلا يقتدى به من ياتي من المؤرخين من بعده (وانا) ذاكر في كتابي هذا ما امكنى منه في هذا القطر المغربي اما صريحا او مندرجا في اخباره وتلويحا لاختصاص قصدي في التاليف بالمغرب واحوال اجياله واممه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعي على احوال المشرق واممه لان الاخبار المتناقلة لا توفي كنه

(1) Man. A. et B. قل.

(2) Man. C. اوهس.

(3) Man. B. الساكن.

(4) Man. A. كان.

PROLEGOMÈNES
J'Fbn Khaldoun.

ما اريده منه والمسدودى انما استوفى ذلك لبعده رحلته
وتقلبه فى البلاد كما ذكره فى كتابه مع انه لما ذكر
المغرب قصر فى استيفاء احواله وفوق كل ذى علم عليم
ومرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر ولاعتراف متعين
واجب ومن كان الله فى عونته تيسرت عليه المذاهب
وانجحت له المساعى والمطالب ونحن آخذون بعون الله
فيما (١) رماه من اغراض التأليف والله المسدد والمعين وعليه
التكلان (وقد) بقى علينا ان نقدم مقدمة فى كيفية وضع
الحروف التى ليست من لغة العرب اذا عرضت فى كتابنا
هذا (واعلم) ان الحروف فى النطق كما يانى شرحه بعد
هى كفيات للاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من
تقطع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحلق
والحنك والاضراس او بقرع الشفتين ايضا فتتغير كفيات
لاصوات بتغير ذلك القرع وتجي الحروف متمايزة فى
السع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما فى الضماير
وليست الامم كلها متساوية فى النطق بتلك الحروف (٢)
فقد تكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى
والحروف التى نطقت بها العرب هى ثمانية وعشرون حرفا
كما علمت ونجد للعبرانيين حروفا ليست فى لغتنا وفى

(١) Man. A. فيها.

(٢) Man. A. الحرف.

لغتنا ايضا حروفا ليست فى لغتهم وكذلك لافرنج
والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان اهل الكتاب
من العرب اصطاحوا فى الدلالة على حروفهم المسموعة
باوضاع حروف (1) مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف
وباء وجيم وراء وطا الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم
الحرف الذى ليس من حروف لغتهم بقى مهلا عن
الدلالة الكتابية (2) مغفلا عن البيان وربما يرسده بعض
الكتاب بشكل الحرف الذى يكتنفه (3) من لغتنا قبله او
بعده وليس ذلك بكافى فى الدلالة بل هو تغيير (4)
للحرف من اصله (ولها) كان كتابنا مشتملا على اخبار البربر
وبعض العجم وكانت تعرض لنا فى اسمائهم او بعض كلماتهم
حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا
الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذى يليه كما قلنا
لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه فاصطاحت فى كتابى
هذا على ان اضع ذلك الحرف العجيب بما يدل على
الحرفين الذين يكتنفانه ليتوسط القارى بالنطق به بين
مخرجى ذينك الحرفين فتحصل تاديته وانها اقتبست
ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط فى

(1) Man. A. حرف.

(2) Man. A. et B. الكتاب.

(3) Man. B. يكتنفهم Man. C. يكتنفه.

(4) Man. A. تغيير.

قراءة خلف فان النطق بصاده فيها مفخم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسوها في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك (I) رسمت انا كل حرف بتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم مثل اسم بلكيين فاضعها كافا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او ثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجي في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارى انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه و لو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبه لكننا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذى من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله سبحانه الموفق لا رب غيره

(I) Man. A. لذلك. Man. B. ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليما

الكتاب الاول فى طبيعه العمران فى الخليقة وما يعرض
فيها من البدو والحضر

والتغلب والكسب والمعاش والعلوم والصنایع ونحوها وما لذلك
من العلل والاسباب (اعلم) انه لما كانت حقيقة التاريخ انه
خبر عن الاجماع الانسانى الذى هو عمران العالم وما يعرض
لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس
والعصبية واصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض وما
ينشئ عن ذلك من الملك والدول ومرايها وما يتتحله
البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم
والصنایع وسایر ما يحدث فى ذلك العمران بطبيعة من
الاحوال ولما كان الكذب منطوقا للخبر بطبيعته وله الاسباب
تقتضيه (فنها) الشیعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت
على حال الاعتدال فى قبول الخبر اعطته حقه من التخصيص (١)
والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه واذا خامرها تشيع لرأى
او نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك

(١) Man. B. التخصيص.

الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتحصيل فيقع في قبول الكذب ونقله (1) (ومن) الاسباب المقتضية للكذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقلين وتحصيل ذلك يرجع الى التعديل والتجريح (2) (ومنها) الذهول عن الهقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عين او سعه وينقل الخبر على ما في ظنه وتحمينه فيقع في الكذب (ومنها) توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الواقع لاجل ما يداخلها من التلبس والتضع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتضع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فتستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاء او ثروة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل لا متنافسين في اهلها (ومن) الاسباب المقتضية له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطباع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان (3) او فعلا لا بد له من طبيعة تخصه (4) في ذاته وفيما يعرض من

(1) Man. A. نحوه.

(3) Les man. A. et B. omettent كان.

(2) Man. A. الترجيح.

(4) Man. C. تخلص له. Man. B. تخص.

أحواله فإذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا أبلغ في التمهيد من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما عدّنه دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية التي راها وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وعانيتها وتم له بناؤه في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت الزجاج ومصادمة البحر وامواجه بجرود ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على مثل هذا الغرور ومن اعتمدته منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتفاض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك نلافد لا ينتظرون (1) بد رجوعه من غروره ذلك طرفه عين ومن قبل ان الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هي قادرة على الشكل وما يذكر من كثرة الرؤس لها فانما المراد به البشاعة والتهويل لا انه حقيقة وهذه كلها قاذحة في تلك الحكاية والقادح المحمّل (2) لها

(1) Man. C. ينظرون.

(2) Man. A. المحمّل.

من طريق الوجود بابين من هذا كله ان المنغمس فى الماء ولو كان فى الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعى ويتسخن روحه بسرعة لقلته فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الربة والروح القلبى ويهلك مكانه وهذا هو السبب فى هلاك اهل الحمامات اذا اطبقت عليهم عن الهواء البارد والمتدلين فى الابار والمطامير العميقة الموهى اذا سخن هواؤها بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتدخلها فان الهتدى فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه فى تعديل رتبه اذ هو حار بافراط والماء الذى يعدله بارد والهواء الذى خرج اليد حار فيسولى الحر على روح الحيوانى ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك (ومن) الاخبار المستحيلة ما نقله المسعودى ايضا فى تمثال الزرزر الذى برومة تجتمع اليد الزرزر فى يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعد ذلك عن المجرا الطبيعى فى اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكرى فى بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب والهدن انما اتخذت للتحصن والاختصام كما يانى وهذه خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتم (كما) نقله المسعودى ايضا فى حديث

مدينة النحاس وانها مدينة كلها من نحاس بصحراء سجلماسة
 طرقها موسى ابن نصير في غزايه الى المغرب وانها مغلقة
 الابواب وان الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على
 الحائط صفق ورمى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث
 مستحيل من خرافات القصاص وصحراء سجلماسة قد نفصها
 الركاب والادلاء ولم يبقوا على هذه المدينة لخبر ثم ان هذه
 الاحوال التي ذكروا عنها كلها مستحيل عادة منافع للامور
 الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية الموجود
 منها ان يصرف في الآنية والحُرثي واما تشييد مدينة منها
 فكما تراه من الاستحالة والبعد وامثال ذلك كثير وتمحيصه
 انما هو بمعرفة طبائع العمران وهو احسن الوجوه واثقها في
 تمحيص الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على
 التمهيص بتعديل الرواة (1) ولا يرجع الى تعديل الرواة (2) حتى
 نعلم هل ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممتنع واما اذا كان
 مستحيلا فلا فائدة في النظر في التعديل او التجريح (3)
 ولقد عدّ اهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول
 اللفظ او تاويله ان يوؤل بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل
 والتجريح (4) هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها

(1) Man. A. et D. الرواية.

(3) Man. A. الترجيح.

(2) Man. A. et B. الرواية.

(4) Man. A. الترجيح.

تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها متى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة للعدالة والضبط واما الاخبار عن الوقعات فلا بدّ في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ننظر (1) فى امكان وقوعه وصار ذلك فيها اهمّ من التعديل ومقدّما عليه اذ فايده الانشاء مقتبسة منه فقط وفايدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة اذا كان ذلك فالقانون فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار بالامكان والاستحالة ان ننظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبه يقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتدّ به وما لا يمكن ان يعرض له واذا فعلنا ذلك كان لنا قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار والصدق والكذب بوجه برهانيّ لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذا سمعنا عن شئ من الاحوال الواقعة فى العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزيفه وكان لنا ذلك معيارا صحيحا يتحرى به المورخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول من تاليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الانسانى وذو مسايل وهى بيان ما يلحقه من الاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا

(1) Man. B. ننظر. Man. C. ينظر.

شأن كل علم من العلوم وضعيا كان او عقليا (واعلم ان الكلام فى هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غريب (1) الفائدة اعثر عليه البحث وادى اليه الغوص وليس من علم الخطابة (2) الذى هو احد الكتب المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقنعة النافعة فى استمالة الجمهور الى رأى او صدّهم عنه ولا هو ايضا من علم السياسة المدنية اذ السياسة المدنية هى تدبير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه (3) فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفئتين الذين رتبنا يشبهانه وكأند علم مستنبط النشأة ولعمري لم اقف على الكلام فى منحاها لاحد من الخليقة ما ادرى لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم او لعلمهم كتبوا فى هذا الغرض واستوفوه ولم يصل اليها فالعلوم كثيرة والحكماء فى اسم النوع الانسانى متعددون وما لم يصل اليها من العلوم اكثر مما وصل فايين علوم الفرس الذى امر عمر رضى الله عنه بمحوها عند الفتح وابين علوم الكلدانيين والسريانيين واهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونتائجها وابين علوم القبط من قبلهم وانما وصل اليها علوم امة واحدة وهم يونان خاصة ككفى الهامون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك

(1) Man. A. et B. عزيز.

(2) Man. الحكاية.

(3) Man. B. بناءه.

لكثرة المترجمين وبذل الاموال (1) فيها ولم نقف على شيء من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعلقة (2) طبيعية يصالح (3) ان يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يختصه لكن الحكماء لعلمهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالشمرات (4) وهذا انما ثمرته كما رايت في الاخبار فقط واذا كانت مسايله في ذاتها وباختصاصاتها شريفة لكن ثمرته تصحيح الاخبار وهي ضعيفة فلهذا هجره والله تعالى اعلم وما اوتيتم من العلم الا قليلا (وهذا) الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد منه مسايل تجرى بالعرض لاهل العلوم في براهيين علومهم وهي من جنس مسايله بالموضع والمطلب مثل ما بذكره الحكماء في اثبات النبوة من ان البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثلما يذكر في اصول الفقه في باب اثبات اللغات ان الناس محتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة (5) التعاون والاجتماع وشأن العبارات احق ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد في ان الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع والقتل ايضا مفسد للنوع وان الظلم مؤذن بخراب العمران

(1) Man. A. امالا. (2) Man. A. B. D. متعلقة. (3) Man. B. بحيث.

(4) Man. A. في الشمرات.

(5) Man. A. et B. بطبيعة.

المقتضى فساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية
 فى الاحكام وانها كلها مبنية على المحافظة على العمران
 فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا هذا فى
 هذه المسائل المثلة وكذلك ايضا يقع الينا القليل من
 مسائله فى كلمات متفرقة لحكماء الخليفة لكنهم لم يستوفوه (1)
 (فمن كلام الموبدان) لبهرام ابن بهرام فى حكاية اليوم التى
 نقلها المسعودى ايتها الملك ان الملك لا يتم عزه الا
 بالشرعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام
 للشرعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام
 للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل
 الى العمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنسوب بين الخليفة
 نصبه الرب وجعل له قتيما وهو الهلك (ومن كلام انوشروان) فى
 هذا المعنى بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج
 والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح الاعمال
 واصلاح الاعمال باستقامة الوزراء وراعى الكل بافتقاد الملك
 حال رعيته بنفسه واقتداره على ناصيتها (2) حتى يملكها
 ولا تملكه وفى الكتاب المنسوب لارسطو فى السياسة
 المتداول بين الناس جز صالح منه الا انه غير مستوفى ولا
 معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد اشار فى ذلك

(1) Man. A يستوفوا.

(2) Man. C تاديبها.

الكتاب الى هذه الكليات (1) التي نقلناها عن الموبدان وانوشروان وجعلها في الدائرة الغربية التي اعظم القول فيها وهي قول العالم بستان سياحه الدولة والدولة سلطان تحى بد الستة والستة سياسة يسوسها (2) الملك (3) الملك نظام يعضده الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق تجمعهم الرعية الرعية عبيد يكتفهم العدل العدل مألوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم يرجع الى اول الكلام فهذه ثمان كلمات حكيمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت اعجازها على صدورهم واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها فخر بعثوره عليها وعظم من فوايدها وانت اذا تأملت كلامنا في فصل الملك والدول واعطيته حقه من التصفح والتفهم عثرت في اثنايه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجمالها مستوفى مبينا باوعب بيان واوضح دليل وبرهان اطلعنا الله عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة (4) الموبدان وكذلك نجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسائله من ذكر السياسات الكثير (5) من مسایل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهناه انما يجلبها في الذكر على منحى الخطابة في اسلوب الترسيل وبلاغة الكلام وكذلك حوم (6) القاضي ابو بكر

(1) Man. B. الكلمات

(4) Man. B. فائدة.

(2) Man. B. بسوسها

(5) Man. A. et B. الكثيرة.

(3) Man. D. الامام راع الامام

(6) Man. D. جزم.

الطوطوشى فى كتاب سراج الملوك وبوّه على ابواب
تقرب من ابواب كتابنا ومسايله لكنه لم يصادف فيه
الرمية ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا اوضح
الادلة انما يبوّب الباب للمسئلة ثم يستكثر الاحاديث والآثار
وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بزرجمهر والهوبدان
وحكماء الهند والمائور عن دانيال وهرمس وغيرهم من اكابر
الخليقة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين
الطبيعية حجابا انما هو نقل وترغيب شبهه بالمواعظ وكأنه حوّم
على الغرض ولم يصادفه ولا تحقّق (1) قصده ولا استوفى
مسايله ونحن الهينا الله الى ذلك الهاما واعثرنا على علم
جعلنا سن بكرة وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسايله
وميزت عن ساير الصنایع انظاره وانحاء فتوفيق من الله
وهداية وان فاتى شئ فى احصايه واشتبهت بغيره مسايله
فللناظر المحقق اصلاحه ولى الفضل اتى نهجت له السبيل
واوضحت الطريق والله يهدى بنوره من يشاء (ونحن) لأن
نبين فى هذا الكتاب ما يعرض للبشر فى اجتماعهم من
احوال العمران فى الهلك والكسب والعلوم والصنایع بوجوه
برهانية يتضح بها التحقيق فى معارف الخاصة والعامة
وتندفع بها الاوهام وترتفع الشكوك (ونقول) لها كان الانسان

(1) Man. B. تحقيق.

متميِّزا عن ساير الحيوانات بخواصّ اختصّ بها فيها العلوم والصنایع التي هي نتيجة الفكر الذي تميِّز (١) به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وان كان لها مثل ذلك فبطريق الهامسى لا بفكر وروبة ومنها السعى فى المعاش والاعتمال فى تحصيله من وجوهه واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذاء فى حياته وبقائه وهداه الى التماسه وطلبه قال تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو الساكن والتنازل فى مصر او حلة للانس بالعمرة واقتضاء الحاجات لها فى طباعهم من التعاون على المعاش كما نبينه ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو الذى يكون فى الضواحي والجبال وفى الحلال المنتجة للفقار واطراف الرمال ومنه ما يكون حضريّا وهو الذى بالامصار والقرى والمدن والمداشر للاعتصام بها والتحصن بجدرانها وله فى كل هذه الاحوال امور تحدث من حيث الاجتماع عروضاً ذاتياً له فلاجرم انحصر الكلام فى هذا الكتاب فى ستة فصول (الاول) فى العمران البشرى

على الجملة واصنافه وقسطه من الارض (الثانى) فى العمران البدوى وذكر القبائل والامم الوحشية (الثالث) فى الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية (الرابع) فى العمران الحضرى والبلدان والامصار (الخامس) فى الصنایع والهاعش والكسب ووجوهه (السادس) فى العلوم واكتسابها وتعلمها وقدمت العمران البدوى لانه سابق على جميعها كما تبين لك بعد وكذا تقديم الملك على البلدان والامصار واما تقديم المعاش فلان المعاش ضرورى طبيعى وتعلم (١) العلم كالمى او حاجى والطبيعى اقدم من الكمالى وجعلت الصنایع مع الكسب لانتها مند ببعض الوجوه ومن حيث العمران كما يتبين بعد والله الموفق

الفصل الاول من الكتاب الاول فى العمران البشرى على الجملة وفيه مقدمات

(الاولى) فى ان الاجتماع للانسان ضرورى ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان مدنى بالطبع اى لا بد له من الاجتماع الذى هو المدينة فى اصطلاحهم وهو معنى العمران بيانه ان

(١) Man. A. et B. تعلم.

الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا نصح حياتها وبقاؤها الا بالغذاء وهده الى التماسه بفطرنه وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين والآلات لا تتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفخار هب انه ياكله (1) حبا من غير علاج فهو ايضا يحتاج في تحصيله حبا الى اعمال اخر (2) اكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدرس الذى يخرج الحب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصنایع كثيرة اكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان توفى بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من ابناء جنسه لتحصيل القوت له ولهم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا فى الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطبايع (3) الحيوانية كلها وقسم القدر بينها (4)

(1) Man. B. ياكل .

(3) Man. A. et C. الطبايع.

(2) Man C. اخرى

(4) Ce mot manque dans les man. A. et B.

جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدرة الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل اضعاى من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا فى الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بمدافعة ما يصل اليه من عادية غيرة وجعل للانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهتية للصنایع بخدمة الفكر والصنایع تحصل له الآلات التى تنوب له عن الجوارح المعدة فى ساير الحيوانات للدفاع مثل الرماح التى تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النايبة عن المخالب الجارحة والتراس النايبة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك وغيره مما ذكر جالينوس فى كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تقى قدرته ايضا باستعمال الآلات المعدة للمدافعة لكثرتها وكثرة الصنایع والمواعين المعدة لها فلا بد فى ذلك كله من التعاون عليه بانباء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حيانه لما ركب الله عليه من الحاجة الى الغذاء فى حيانه ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدها السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجله (1)

الهلاكات عن مدى حيانه وببطل نوع البشر وإذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للمدافعة وتمت حكمة الله في بقاءه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضرورى للنوع الانسانى وآلا لم يكمل وجودهم (1) وما ارادة الله من اعمار العالم بهم واستخلافه ايتاهم وهذا هو معنى العمران الذى جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في قند الذى هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر في الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس ايضا من الهموعات عندهم فيكون اثبانه من التبرعات والله الموفق بفضلہ (ثم) ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لها في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التى جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم بكافية في دفع العدوان بينهم لآنها موجودة لجميعهم فلا بد من شئ اخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لتصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهوماتهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان وهذا هو

معنى الملك وقد تبين لك بهذا انه خاصة للانسان
طبيعية لا بد لهم منها وقد توجد في بعض الحيوانات العجم
على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقرى فيها
من الحكم والانقياد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم
في خلقه وجثثانه لا ان ذلك موجود لغير الانسان بهقتضى
الطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شئ
خلقه ثم هدى ويزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث
يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلى وانها خاصة طبيعية
للانسان فيقررون هذا البرهان الى غايته وانه لا بد للبشر من
الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون
بشرع مفروض من عند الله ياتى به واحد من البشر يكون
متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم
له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار
ولا تنريب وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما ترى (1) اذ
الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه
الحاكم لنفسه او بالعصبية التى يقتدر بها على قهرهم
وحملهم على جادته فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون
بالنسبة الى المجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر
اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول (2) والآثار

(1) Man. B. et C. تراه.

(2) Man. B. الدولة.

فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد فى الأقاليم
المشرفة الى الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى
دون وازع البتة فانه ممتنع وبهذا يتبين لك غلطهم فى
وجوب النبوات وانه ليس بعقلى وانما مدركه الشرع كما هو
مذهب السلف من الامة والله ولى التوفيق والهداية

المقدمة الثانية فى قسط العمران من الارض

والاشارة الى بعض ما فيه من البحار والانهار والاقاليم انه قد
تبين فى كتب الحكماء الناظرين فى احوال العالم ان شكل
الارض كرى وانها محفوفة بعنصر الماء كاتها عنبة طافية عليه
فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما اراده الله تعالى من
تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشرى الذى له
الخلافة على سايرها وقد يتوهم من ذلك ان الماء تحت
الارض وليس بصحيح وانما التحت الطبيعى قلب الارض
ووسط كرنها الذى هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل
وما عدا ذلك من جوانبها والماء المحيط بها فهو فوق وان
فيل فى شئ منها انه تحت فبالاضافة الى جهة اخرى عنه
وهذا (1) الذى انحسر عنه الماء من الارض هو النصف من

(1) Mau. A. هو.

سطح كرتها في شكل دائرة احاط العنصر المائي بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى ايضا البلاية بتفخيم اللام الثانية ويسمى اوقيانوس اسماء اعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود (ثم) ان هذا المنكشف من الارض للعرمان فيه القفار والخلاء اكثر من عمرانها والخالي من جهة الجنوب منه اكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة اميل الى جانب الشمال على شكل سطح كرتي ينتهي من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرتي وراء الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري التي بينها سد ياجوج وماجوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب الى عنصر الماء ايضا بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة (١) او اقل والمعمور منه مقدار رعد وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض واكبر خط في كرتها كما ان منطقة البروج ودائرة معدل النهار اكبر خط في الفلك ومنطقة البروج منقسمة بثمانية وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثنا عشر الف ذراع في ثلاثة

(١) Man. A. الكرى.

اميال لان الميل اربعة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة ياحق بعضها الى بعض ظهراً لبطن وبين دائرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة لكن العبارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء اربعة وستون درجة والباقي منها خلاء لا عبارة فيه لشدة البرد والجمود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلها لشدة الحر كما نبين ذلك كله ان شاء الله تعالى (ثم) ان المخبرين عن هذا المعثور وحدوده وما فيه من الامصار والمدن والجبال والانهار والفقار والرمال مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب رجار من بعده قسموا هذا المعثور بسبعة اقسام يسمونها السبع الاقاليم بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالاقليم الاول اطول مما بعده وكذا الثاني الى آخرها فيكون السابع اقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحسار الماء عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة اجزاء من المغرب الى المشرق على التوالي وفي كل جزء الخبر عن احواله واحوال عيرانه وذكروا ان هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في الاقاليم الرابع البحر الرومي المعروف ببدا في خليج

متضايق في عرض اثنى (1) عشر ميلا او نحوها ما بين
طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقا وينفسخ الى
عرض ستماية ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من الاقليم
الرابع على الف فرسخ ومائة وستين فرسخا من مبداه وعليه
هناك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل
المغرب اولها طنجة عند الخليج ثم افريقية ثم برقة الى
الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية ثم البنادقة
ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق
قبالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومى والشامى وفيه جزر كثيرة
عامرة كبارها مثل اقريطس وقبرص وصقلية وميوقة وسردانية
ودانية (1) قالوا ويخرج منذ في جهة الشمال بحران احران من
خارجين احدهما مسامت للقسطنطينية يبدان هذا البحر متضايقا
في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة مجار فيتصل بالقسطنطينية
ثم ينفسخ في عرض اربعة اميال ويمر في جربه ستين ميلا
ويسمى خارج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة
اميال فيمد بحر نيطس وهو بحر ينحرف من هنالك في
مذهبه الى ناحية الشرق فيمر بارض هرقلية وينتهى الى
بلاد الخزرية على الف وثلاثماية ميل من فوهته وعليه من
الجانبين اسم من الروم والترك وبرجان والروس والبحر

(1) Man. A. et C. اثنا

(1) Ce mot est omis dans le man. B

الثانى من خاليج هذا البحر الرومى وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فاذا انتهى الى شنت انجل انحرف فى سمت الغرب الى بلاد البنادقة وينتهى الى بلاد انكلابة على الف ومائة ميل من مبدايه وعلى ضفتيه من البنادقة والروم وغيرهم امم ويسمى خاليج البنادقة قالوا وينساح من هذا البحر المحيط ايضا من الشرق وعلى ثلاث عشرة درجة فى الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر الى الجنوب قليلا حتى ينتهى الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغربا الى ان ينتهى فى الجزء الخامس منه الى بلاد الحبشة والزنج والى باب المندب منه على اربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ من مبدايه ويسمى البحر الصينى والهندي والحبشى وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد بربر التي ذكرها اسرو القيس فى شعره وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة وارض الواق واق وامم اخرى ليس بعدهم الا القفار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدايه ثم الهند ثم السند ثم سواحل الين من لاحتاف وزبيد وغيرها ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم البجة قالوا ويخرج من هذا البحر الحبشى بحران اخران يخرج احدهما من نهايته عند باب المندب فيبدء متضايقا ثم يمر مستبحرا الى ناحية الشمال

ومغربا قليلا الى ان ينتهى الى مدينة القلزم فى الجزء الخامس من الإقليم الثانى على ألف وأربعماية ميل من مبدايه وهو بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين فسطاط مصر من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدة ثم مدين وإيلة وفاران عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزيلع ثم بلاد البجة عند مبدايه وآخره عند القلزم يسامت البحر الرومى عند العرش وبينهما نحو ست مراحل وما زال الملوكة فى الاسلام وقبلد يرومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك والبحر الثانى من هذا البحر الحبشى ويسمى الخليج الأخضر يخرج ما بين بلاد السند والاحقاف من اليمن ويمر الى ناحية الشمال مغربا قليلا الى ان ينتهى الى الابلّة من سواحل البصرة فى الجزء السادس من الاقليم الثانى وعلى اربعماية فرسخ واربعين فرسخا من مبدايه ويسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابلّة عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل البحرين واليمامة والعبان والشحر والاحقاف عند مبدايه وفيما بين بحر فارس والقلزم هى جزيرة العرب كأنها دخلّة (1) من البحر فى البحر يحيط بها البحر الحبشى من الجنوب وبحر

القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضى الى العراق
فيما بين الشام والبصرة على الف وخمسمائة ميل بينهما
وهناك الكوفة والقادسية وبغداد وانوان كسرى والحيرة
ووراء ذلك امم الاعاجم من الترك والخزر وغيرهم وفي
جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد
اليامنة والبحرين وعمان في جهة الشرق منها وبلاد
اليمن في جهة الجنوب منها وسواحل على البحر الحبشي
(قالوا) وفي هذا المعمور بحر اخر منقطع عن ساير البحار
في ناحية الشمال وبارض الديلم يسمى بحر جرجان
وطبرستان طوله الف ميل في عرض ستماية ميل في غريبه
اذربيجان والديلم وفي شرقه ارض الترك وخوارزم وفي
جنوبه طبرستان وفي شماليه ارض الخزر واللان هذه جيلة
البحار المشهورة الى ذكرها اهل جغرافيا (قالوا) وفي هذا
الجزء المعمور انهار كثيرة اعطياها اربعة انهار وهي النيل
والفرات ودجلة ونهر باخ المسمى جيحون (فاما النيل)
فمبدأؤه من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشر درجة
وعلى سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل
القمير ولا يعلم في الارض جبل اعلا منه تخرج منه عين كثيرة
تصب بعضها في بحيرة هناك وبعض في اخرى ثم
تخرج انهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة

واحدة عند خط الاستواء وعلى عشرة مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب احدهما الى ناحية الشمال وعلى سته ويمر ببلاد النوبة ثم ببلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليجا وتصب كلها في البحر الرومى عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقيه والواحات من غريبه ويذهب الآخر منعطفا الى الغرب ثم يمر على ستمته الى ان يصب في البحر المحيط وهو (1) نيل السودان واممهم كلهم على صفتيه (واما الفرات) فمبدأؤه من بلاد ارمينية فى الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا فى ارض الروم ومطاية الى منبج ثم يمر بصفين ثم بالركة ثم بالكوفة الى ان ينتهى الى البطحاء التى بين البصرة وواسط ومن هنالك يصب في البحر الحبشى وتتجلب اليه فى طريقه انهار كثيرة ويخرج منه انهار اخرى تصب فى دجلة (واما دجلة) فمبدأؤها عيون ببلاد خلاط من ارمينية ايضا ويمر على سمت الجنوب بالموصل واذربيجان وبغداد الى واسط فينفرق فى خالجان تصب كلها فى بحيرة البصرة وتفضى الى بحر فارس وهو فى الشرق عن نهر الفرات وتتجلب اليه انهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات

(1) Man A. اهل.

ودجلة من اوله (1) جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوتى
 الفرات وقبالة اذربيجان من عدوتى دجلة (واما نهر
 جيحون) فهندوة من بلخ فى الجزء الثانى من الاقليم
 الثالث من عيون هناك كثيرة وتتجلب اليه انهار عظام
 ويذهب من الجنوب الى الشمال فيمر ببلاد خراسان ويخرج
 منها الى بلاد خوارزم فى الجزء الثامن من الاقليم الخامس
 فيصب فى بحيرة الجرجانية التى باسفل مدينتها وهى
 مسيرة شهر فى مثله واليها ينصب نهر فرغانة والشاش الآنى
 من (2) بلاد الترك وعلى غربى نهر جيحون بلاد خراسان
 وخوارزم وعلى شرقه بلاد بخارا والترمذ وسهرقند ومن
 هنالك الى ما وراء بلاد الترك وفرغانة والخرجسية وامم
 الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس فى كتابه الشريف
 فى كتاب رجار وصوّروا فى الجغرافيا جميع ما فى المعمور
 من الجبال والبحار والاودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة
 لنا به لطوله وان عنايتنا فى الاكثر انما هى بالمغرب الذى
 هو وطن البربر وبالاوطان التى للعرب من الشرق (3) والده
 واهب المعونة

(1) Le man. C. ajoute هى.

(2) Man. A. et B. فى.

(3) Man. D. التى فى المغرب والمشرق

تكملة لهذه الهقدمة الثانية

فى ان الربع الشمالى من الارض اكثر عمراناً من الربع الجنوبى وذكر السبب فى ذلك نحن نرى بالشاهدة والاحبار المتواترة ان الاول والثانى من الاقاليم المعمورة اقل عمراناً مما بعدهما وما وجد من عمرانها فيتخلله الخلاء والقفار والرمال والبحر الهندى الذى فى الشرق منها وامم هذيس الاقليمين واناسيتها ليست لهم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك فالقفار فيهما قليلة والرمال كذلك او معدومة واممها واناسيتها بحر زاهر من الكثرة وامصارهما ومدنهما تجاوز الحد عدداً والعمران فيهما متدرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير من الحكماء ان ذلك لافراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الرأس فلتوضح ذلك ببرهانها ويتبين منه سبب كثرة العمارات فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسابع فنقول ان قطبى الفلك الجنوبى والشمالى اذا كانا على الافق فهناك دائرة عظيمة نقسم الفلك بنصفين هى اعظم الدوائر الهامة من المغرب الى المشرق وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين فى موضعه من الهيئة ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى

المغرب حركة يومية يحرك بها ساير الافلاك التى فى جوفه قسرا وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان الكواكب فى افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهى من المغرب الى المشرق وتختلف آماها باختلاف حركات الكواكب فى السرعة والبطء وممرات هذه الكواكب فى افلاكها توازيها كلها دائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهى دائرة فلك البروج منقسمة باثنى عشر برجاً وهى على ما تبين فى موضعه مقاطعة لدائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما اول الحمل واول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف مايل عن معدل النهار الى الشمال وهو من اول الحمل الى آخر السنبلة ونصف مايل عنه الى الجنوب وهو من اول الميزان الى آخر الحوت فاذا وقع القطبان على الافق فى جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة معدل النهار يمر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا فى مبداء الاقليم الاول من الاقاليم السبعة والعمران كله فى الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالى يرتفع على آفاق هذا المعبور بالتدريج الى ان ينتهى ارتفاعه الى اربع وستين درجة وهناك ينقطع العمران وهو آخر الاقليم السابع واذا ارتفع على

الافق تسعين درجة وهى التى بين القطب ودائرة معدل
النهار صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل
النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق وهى
الشمالية وستة تحت الارض وهى الجنوبية والعمارة فيما
بين الاربعة والستين الى التسعين مهتعة لان الحر والبرد
حينئذ لا يحصلان ممتزجين لبعده الزمان بينهما فلا يحصل
تكوين فاذن الشمس تسامت الرأس على خط الاستواء فى
رأس الحمل والميزان ثم تميل عن المساكنة الى رأس السرطان
والى رأس الجدى وتكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار
اربعا وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالى عن الافق
مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه
وانخفض القطب الجنوبى كذلك بمقدار متساو فى الثلاثة
وهو الهسمى عند اهل المواقيت عرض البلد واذا مالت دائرة
معدل النهار عن سمت الرأس علت عليها البروج الشمالية
متدرجة فى مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج
الجنوبية عن الافق (١) كذلك الى رأس الجدى لانحرافها
الى الجانبين فى افق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق
الشمالى يرتفع حتى يصير ابعد الشمالية وهو رأس السرطان
فى سمت الرأس وذلك حيث يكون عرض البلد اربعا

(١) Man. A. et B. لذلك.

وعشرين في الحجاز وما يليه وهذا هو الهيل الذي مال
 رأس السرطان عن معدل النهار في افق الاستواء ارتفع بارتفاع
 القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب اكثر من
 اربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامطة ولا تزال في انخفاض
 الى ان يكون ارتفاع القطب اربعا وستين ويكون انخفاض الشمس
 عن المسامطة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن
 الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد والجمد وطول زمانه
 غير ممتزج بالحر ثم ان الشمس عند المسامطة وما يقاربها
 تبعث الاشعة على الارض على زوايا قائمة وفيما دون المسامطة
 على زوايا منفرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة عظم
 الضوء وانتشر بخلافه في الهفرجة والحادة فلهذا يكون الحر
 عند المسامطة وما قرب منها اكثر منه فيما بعد لان الضوء
 سبب الحر والتسخين ثم ان الهسامطة في خط الاستواء تكون
 مرتين في السنة عند نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير
 بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان
 والجدي الا وقد صعدت الى الهسامطة فتبقى الاشعة
 القايية الزوايا تاسخ على ذلك الاتق وبطول مكثها
 او يدوم فيشتعل الهواء حرارة ويفرط في شدتها
 وكذا ما دامت الشمس تسامت مرتين فيها بعد
 خط الاستواء الى عرض اربعة وعشرين فان الاشعة ماسحة على

الافق في ذلك الافق بقريب من المحاطها في خط الاستواء وافراط الحر يفعل في الهواء تحفيفا ويبسا يمنع من التكوين لانه اذا افراط الحر جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين في المعدن والنبات والحيوان اذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال راس السرطان عن سمت الرأس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامنة فيصير الحر الى الاعتدال او يميل عنه قليلا فيكون التكوين ويزيد على التدرج الى ان يفرط البرد في شدته بقلّة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد الا ان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من جهة شدة البرد لان الحر اسرع تأثيرا في التجفيف من تاثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لاعتدال الحر بنقصان الضوء وفي السادس والسابع كثيرا لنقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عند اولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر واوفر والله تعالى اعلم (ومن هنا) اخذ الحكماء خلا خط الاستواء وما وراءه واورد (1) عليهم أنه معهود بالشاهدة (2)

(1) Man. D. 5.

(2) Man. A. ajoute والخبر

والأخبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر أنهم لم يردوا امتناع العمران فيه بالكلية إنما اداهم البرهان إلى أن فساد التكوين فيه قوى بافراط الحرّ فالعمران فيه إما ممتنع أو ممكن أقلّي وهو كذلك لأنّ خط الاستواء والذى وراءه وإن كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جداً وقد زعم ابن رشد أن خط الاستواء معتدل وإن ما وراءه فى الجنوب فى مثابة ما وراءه فى الشمال فيعبر منه ما يمر من هذا والذى قاله غير ممتنع من جهة فساد التكوين وإنما امتنع فيما وراء خط الاستواء فى الجنوب من جهة أن العنصر المائى غمر (١) وجه الأرض هنالك إلى الحدّ الذى كان مقابله من الجهة الشماليّة قابلاً للتكوين ولما امتنع المعتدل لغلبة الهاء تبعه ما سواه لأنّ العمران متدرّج وبأخذ فى التدرّج من جهة الوجود لا من جهة الامتناع وإما القول بامتناعه فى خط الاستواء فيردّه النقل والله سبحانه أعلم (ولنرسم) بعد هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب رجارثم نأخذ فى تفصيل الكلام عليها إلى آخره

(١) Man. A. غير. Man. C. عمّ.

تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

وهو على نوعين مفصل ومجمل فالمفصل هو الكلام فى بلدان
 هذا المعمور وجباله وبحاره وانهاره واحدا واحدا وسيأتى فى
 الفصل بعد هذا وأما المجمل فالكلام فى انقسام المعمور
 بالاقليم السبعة وذكر عروضها وساعات نهارها وهو الذى
 تضمنه هذا الفصل فناخذ فى بيانه وقد تقدم لنا ان الارض
 طافية على الماء العصرى كالغربة فانكشف كذلك بعضها
 بحكمة الله فى العمران والتكوين العصرى فيقال ان هذا
 المنكشف هو النصف من سطح الارض فالمعمور منه ربعه
 والباقى خراب وقيل المعمور سدسه فقط فالحلاء من هذا
 المنكشف فى جهتي الجنوب والشمال والعمران بينهما
 متصل من الغرب الى الشرق وليس بينه وبين البحر من
 الجهتين خلاء قالوا وفيه خط وهمي يبر من المغرب الى
 المشرق مسامتا لدائرة معدل النهار حيث يكون قطبا الفلك
 على الافق هذا (١) اول العمران الى ما بعده من الشمال وقال
 بطليموس بل بعده فى جهة الجنوب عمران وقدره بعرض
 البلد كما ياتى وعند اسحق بن الحسن الخازنى ان وراء الاقليم
 السابع عمران اخر وقدره بعرض بلده كما نذكر وهو من اية

(١) Man. B هو.

هذه الصناعة (ثم) ان الحكماء قديما قسموا هذا المعمور فى
 جهة الشمال بالاقليم السبعة بخطوط وهىة آخذة من المغرب
 الى المشرق وعروضها مختلفة عندهم كما ياتى تفصيله
 فالاقليم الاول منها مآر مع خط الاستواء من جهة شماليه
 وليس فى جنوبه الا تلك العمارة التى اشار اليها بطليموس وبعدها
 القفار والرمال الى دائرة الماء الهسّاء بالبحر المحيط ويليّه من
 جهة شماليه الاقليم الثانى كذلك ثم الثالث ثم الرابع والخامس
 والسادس والسابع وهو آخر العمران فى جهة الشمال وليس
 وراءه الا الخلاء والقفار الى البحر المحيط ايضا لانّ الخلاء فى
 جهة الجنوب اكثر منه فى جهة الشمال بكثير (واتما عروض)
 هذه الاقاليم وساعات نهارها فاعلم ان قطبى الفلك
 يكونان فى خط الاستواء على الافق من غربه الى شرقه
 والشمس تسامت رؤس اهلها فاذا بعد العمران الى جهة
 الشمال ارتفع القطب الشمالى قليلا وانخفض الجنوبى مثله
 وبعدت الشمس عن دائرة معدل النهار الى سمتة بمثل ذلك
 وصارت هذه الابعاد الثلاثة متساوية يسمّى كل واحد منها
 عرض البلد كما هو معروف عند اهل المواقيت وقد اختلف
 الناس فى مقدار هذه العروض ومقدارها فى الاقاليم فالذى
 عند بطليموس ان عرض المعمور كله سبع وسبعون درجة
 ونصف فعرض المعمور خلق خط الاستواء الى الجنوب منها

أحدى عشر درجة وست وستون درجة ونصف هي عرض
الاقليم الشمالية الى آخرها فعرض الاقليم الاول منها عنده ست
عشر درجة والثاني عشرون والثالث سبع وعشرون والرابع
ثلاث وثلاثون والخامس ثمان وثلاثون درجة والسادس ثلاث
واربعون والسابع ثمان واربعون (ثم) قدر الدرجة في الفلك
بستة وستين ميلا وثلاثي ميل من مسافة الارض فيكون
اميال الاقليم الاول ما بين الجنوب والشمال الف ميل
وسبعة وستون ميلا واميال الاقليم الثاني معه الف ميل وثلثمائة
ميل وثلاثة وثلاثون ميلا واميال الثالث معها الف ميل
وسبعمائة وتسعين والرابع معها الفين ومائة وخمسة وثمانين
والخامس الفين وخمسمائة وعشرين والسادس الفين وثمانمائة
واربعين والسابع ثلاثة آلاف ومائة وخمسين (ثم) ان ازننة
الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقليم بسبب ميل الشمس
عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها
فيتفاوت قوس النهار او الليل لذلك وينتهي اطول الليل
والنهار في آخر الاقليم الاول عند حلول الشمس براءس
الحجدي وبراس السرطان للنهار كل واحد منهما عند بطليموس
الى اثنى عشرة ساعة ونصف وينتهيان في آخر الاقليم
الثاني الى ثلاث عشرة ساعة وفي آخر الاقليم الثالث الى
ثلاث عشرة ساعة ونصف وفي آخر الرابع الى اربع عشرة

ساعة وفي آخر الخامس بزيادة نصف ساعة وفي آخر السادس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السابع بزيادة نصف ساعة ويبقى للأقصر من النهار والليل ما يبقى بعد هذه الأعداد (1) من جملة أربعة وعشرين من الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة فيكون تفاوت هذه الأقاليم في الأطول من ليالها ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم تزيد من اوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على اجزاء هذا البعد وعند اسحق بن الحسن الخازني ان عرض المعموران الذي وراء خط الاستواء ست عشر درجة وخمسة وعشرون دقيقة وأطول ليله ونهاره ثلاث عشر ساعة وعرض الاقليم الاول وساعاته مثل الذي وراء خط الاستواء وعرض الاقليم الثاني اربع وعشرون درجة وساعاته عند آخره ثلاث عشرة ساعة ونصف وعرض الثالث ثلاثون درجة وساعاته اربع عشرة ساعة وعرض الرابع ستة وثلاثون درجة وساعاته اربع عشر ساعة ونصف وعرض الخامس احدى وأربعون درجة وساعاته خمس عشرة ساعة وعرض السادس خمس وأربعون درجة وساعاته خمس عشر ساعة ونصف وعرض السابع ثمان وأربعون درجة ونصف وساعاته ست عشرة ساعة ثم ينتهي عرض العمران وراء

(1) Man. C. et D. بعد الثلاثة عشر ونصف.

السابع من عند آخره الى ثلاث وستين درجة وساعاته الى عشرين ساعة وعند غير اسحق الخازنى من ايمة هذا الشأن ان عرض الذى وراء خط الاستواء ست عشر درجة وسبع وعشرون دقيقة وعرض الاقليم الاول عشرون درجة وخمس عشر دقيقة والثانى سبع وعشرون درجة وثلاث عشرة دقيقة والثالث ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة والرابع ثمان وثلاثون درجة ونصف درجة والخامس ثلاث واربعون درجة والسادس سبع واربعون درجة وثلاث وخمسون دقيقة وقيل فيه ست واربعون درجة وخمسون دقيقة والسابع احدى وخمسون درجة وثلاث وخمسون دقيقة والعمران وراء السابع سبع وسبعون درجة وعند ابى جعفر الخازنى من ايمتهم ايضا ان عرض الاقليم الاول من درجة الى عشرين وثلاث عشرة دقيقة والثانى الى سبع وعشرين وثلاث عشرة دقيقة والثالث الى ثلاث وثلاثين وتسع وثلاثين دقيقة والرابع الى ثمان وثلاثين وثلاث وعشرين دقيقة والخامس الى اثنين واربعين وثمان وخمسين دقيقة والسادس الى سبع واربعين ودقيقتين والسابع الى خمسين وخمس واربعين دقيقة هذا ما حضرنى من اختلافهم فى العروض والساعات والاميال لهذه الاقاليم والله خلق كل شئ فقدرة تقديرا (فصل) والمتكلمون على هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة فى

طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك باختصار ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحر في كل جزء منها ونحاذى (١) بذلك ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي ألفه العلوي الادريسي الحمودي لهلك صقلية من الافرنج وهو رجار بن رجار عند ما كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج سلفه عن امارة مالقة وكان تاليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له كتب حمة للمسعودي وابن خردادبه والحقوقي والعذري واسحق النجم وبطليموس وغيرهم ونبداء منها بالاقليم الاول الى آخرها

الاقليم الاول

وفيه من جهة غربيه الجزاير النحالادات التي منها بداء بطليموس باخذ اطوال البلاد وليست في بسيط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكترة اكبرها واشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سفارين من الافرنج مرت بها في اواسط هذه المائة وقاتلوهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض

(١) Man. A. نحزى B. نحزى

اسراهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربى اخبروا عن حال جزيرتهم وانهم يحتفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير وما شيتهم المعز وقتالهم بالجمارة يلوحونها (1) الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون ديننا ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزاير الا بالبحر ولا بالقصد اليها لان سفر السفن فى البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهايتها والى اين توصل اذا مرت على الاستقامة من البلاد التى فى ممر ذلك المهبّ واذا اختلف المهبّ وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذى به القلع محاذاة تحمل السفينة بها على قوانين فى ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذين هم رؤساء السفر فى البحر والبلاد التى حفا فى البحر الرومى وفى عدوتيه مكتوبة كلها فى صحيفة على شكل ما هى عليه فى الوجود وفى وضعها فى سواحل البحر على ترتيبها ومهابّ الرياح وممراتها على اختلافها مرسوم معها فى تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص (2) وعليها يعتمدون فى اسفارهم وهذا كد مفقود فى البحر المحيط فلذلك لاتاجح فيه السفن لانها ان غابت عن مرأى السواحل فقل ان تهتدى الى الرجوع

(1) Man. D. يرمونها.

(2) Man. A. الكنباص.

اليها مع ما ينعقد في جوّ هذا البحر وعلى صفح مايد (1) من
 لابلخرة الممانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تدركها
 اضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتحللها (2) فذلك
 عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على خبرها (واما الجزء
 الاول) من هذا الافليم ففيه مصبّ النيل الآتي من مبدأيه
 عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان وبذهب
 الى البحر المحيط فيصّب فيه عند جزيرة اوليل (3) وعلى هذا
 النيل مدينة سلمى وتكرور وغانة وكلها لهذا العهد في ملكة اهل
 مالى من اسم السودان والى بلاده يسافر تجّار المغرب الاقصى
 والقرب منها من شماليها بلاد لمتونة وسائر طوايف الملثمين
 مفاوز يجولون فيها وفي جنوبى هذا النيل قوم من السودان يقال
 لهم ليلم وهم كفار ويكتبون فى وجوههم واصداغهم واهل
 غانة والتكرور يغيرون عليهم وبسبونهم ويبيعونهم للتجّار
 فيجلبونهم الى المغرب ومنهم عامّة رقيقهم وليس وراءهم فى
 الجنوب عمران يعتبر آلا اناسى اقرب الى الجوان العجم
 من الناطق يسكنون الغياض والكهوف وياكلون العشب
 والحبوب غير مهيئة (4) ورتبا ياكلن بعضهم بعضا وليسوا فى
 اعداد البشر وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء

(1) Man. B. صفح

(2) Man. C. فحلّها.

(3) Man. C. اوليك

(4) Man. A. مهبّات

المغرب مثل توات وتيكرارين وواركلان (١) وكان فى غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلوية يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب رجار انه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا فى ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالى وفى شرقى هذه البلاد فى الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص فى رمال الجزء الثانى وكان ملك كوكو قايما بنفسه ثم اسنولى عليها سلطان مالى واصبحت فى ملكته وخربت لهذا العهد من اجل فتنة وقعت هنالك نذكرها عند ذكر دولة اهل مالى فى محلها من تاريخ البربر وفى جنوبى بلاد كوكو بلاد كانم من اعم السودان وبعدهم ونكارة (٢) على ضفة النيل من شماليه وفى شرقى بلاد ونكارة وكانم بلاد زغاي (٣) وتاجرة المتصلة بارض النوبة فى الجزء الرابع من هذا الاقليم (وفيهما) يمر نيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء الى البحر الرومى فى الشمالى ومخرج هذا النيل من جبل القمر الذى فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلفوا فى ضبط هذه اللفظة

(١) Man. A. فراركلان. B. مراركلان. (3) Man. C. د. زغانة, Z. زغاوة

(2) Man. C. et D. ونكارة.

فبعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى قمر السماء لشدة
بياضه وكثرة ضوئه وفي كتاب المشترك لياقوت بضمت
القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من اهل الهند وكذا ضبطه
ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون يجتمع كل
خمسة منها في بحيرة وبينها ستة اميال وتخرج من كل
واحدة من البحيرتين ثلاثة انهار تجتمع كلها في بطيحة
واحدة في اسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية
الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربى منه الى بلاد
السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرقى
منه ذاهبا الى الشمال في بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما
وينقسم في اعلا ارض مصر فيصبت ثلاثة من جداوله في
البحر الرومى عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصب واحد
في بحيرة ملحمة قبل ان يتصل بالبحر وفي وسط هذا
الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد
الواحات الى اسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهى
في غربى هذا النيل وبعدها علوة (1) وبلق (2) وبعدهما جبل
الجنادل على ستة مراحل من بلق في الشمال وهو جبل
على من جهة مصر منخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل
ويصب في مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلكه

(1) Man. A. et B. غلو.

(2) Man. A. et B. يلاق

المراكب بل يحول الوسق من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلاد اسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق الجنادل وبين الجنادل واسوان تنتهى عشر مرحلة والواحات فى غربها عدوة النيل وهى الآن خراب وبها آثار العمارة القديمة (وفى) وسط هذا الاقليم فى الجزء الخامس منه بلاد الحبشة على واد ياتى من وراء خط الاستواء وبمرقبة مقدشو التى فى جنوب البحر الهندى ذاهبا الى ارض النوبة فيصب هنالك فى النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا انه من نيل القمر وبطليموس ذكره فى كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من هذا النيل والى وسط هذا الاقليم من هذا الجزء الخامس ينتهى بحر الهند الذى يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الاقليم الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران آلا ما كان فى الجزاير التى فى داخله وهى متعددة يقال تنتهى الى الف جزيرة او فيما على سواحل الجنوبية وهى آخر المعهور فى الجنوب وفيما على سواحل من جهة الشمال وليس منها فى هذا الاقليم الا اول الاطراف من بلاد الصين فى جهة المشرق وبلاد اليمن فى الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا البحر الهندى الى جهة الشمال وهما بحر القلزم وبحر فارس وفيما

بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر
 فى شريقها على ساحل هذا البحر الهندى وعلى بلاد الحجاز
 واليامة وما يليهما كما نذكر فى الاقليم الثانى وما بعده
 فاما الذى على ساحل هذا البحر غربيه فبلد زالع من
 اطراف الحبشة ومجالات البجة فى شمالى الحبشة ما
 بين جبل العلاقى الذى فى اعلى الصعيد وبين بحر القلزم
 الهابط من البحر الهندى الى ارض مصر وتحت بلد زالع
 من جهة الشمال فى هذا البحر خليج باب الهند يضيق
 البحر الهابط هنالك بهزاحة جبل المندب الهائل (1) فى
 وسط البحر الهندى مهتداً مع ساحل اليمن الغربى من
 الجنوب الى الشمال فى طول اثنى عشر ميلا فيضيق البحر
 بسبب ذلك الى ان يصير فى عرض ثلاثة اميال او نحوها
 ويسمى باب الهند وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل
 السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن
 ودهلك وقبالته من غربيه مجالات البجة من اعم السودان
 كما ذكرنا ومن شريقه تهائم اليمن على ساحله ومنها بلد
 حلى بن يعقوب وفى جهة الجنوب من بلد زالع وعلى
 ساحل هذا البحر من غربيه قرى بربرا يتلو بعضها بعضا
 وتنعطف مع جنوبيه الى آخر الجزء السادس ويليهما هنالك

من جهة شرقها بلاد الزنج وبعدها مدينة مقدشو وهي مدينة مستبحرة العبارة بدوية لأحوال كثيرة التجار على ساحل البحر الهندي من جنوبه ثم يليها شرقا بلاد سفالة (1) على ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا الأقليم وفي شرقى بلاد سفالة من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق متصلة إلى آخر الجزء العاشر من هذا الأقليم وعند مدخل هذا البحر من البحر المحيط (وأمّا) جزاير هذا البحر فكثيرة ومن أعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الأرض أعلا منه وهي قبالة سفالة ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة أرض سفالة وتذهب إلى الشرق منحرفة بكثير إلى الشمال إلى أن تقرب من سواحل أعلى الصين وتحتق بها في هذا البحر من جنوبها جزاير الواق واق ومن شرفها جزاير السيل إلى جزاير أخرى في هذا البحر كثيرة العدد وفيها أنواع الطيوب والأفاوية (2) وفيما يقال معادن الذهب والزمرد وعامة أهلها على دين المجوسية وفيهم ملوك متعددون وبهذه الجزاير من أحوال العمران عجائب ذكرها أهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر وفي الجزء السادس من هذا الأقليم بلاد اليبين كلها فمن جهة بحر القلزم بلد زبيد والمهجم

(1) Man. A. et B. سفالة.

(2) Man. A. B. C. الأفاوية.

وتهامة اليهن وبعدها بلد صعدة مقر الأيمة الزيدية وهى بعيدة عن البحر الجنوبى وعن البحر الشرقى وفيما بعد ذلك مدينة عدن وفى شمالها صنعا وبعدهما الى الشرق ارض الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر ما بين البحر الجنوبى وبحر فارس وهذه القطعة من الجزء السادس هى التى انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من التاسع واكثر منه فى العاشر فيه اعلى بلاد الصين ومن مدنه الشهيرة مدينة خانكو وقبالتها من جهة المشرق جزاير السيلا وقد تقدم ذكرها وهذا آخر الكلام فى الاقليم الاول

الاقليم الثانى

وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه فى البحر المحيط جزيرتان من الجزاير المحاللات التى مر ذكرها فى الجزء الاول والثانى منه فى الجانب الاعلا منهما ارض قمورية وبعدها فى جهة المشرق اعلى ارض غانة ثم مجالات زغاي (1) من السودان وفى الجانب الاسفل منها صحراء نيسرة (2) متصلة من الغرب الى الشرق ذات مفاوز

(1) Man. C. زغاوة.

(2) Man. C. نيسر.

يسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملتئين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كدالة ولمتونة ومسوفة (1) ولمطة ووتريككة (2) وعلى سمت هذه المفاوز شرقا ارض قران (3) ثم مجالات ازكار من قبائل البربر ذاهبة الى اعالي الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من امم السودان ثم قطعة من ارض التاجوين وفي اسافل هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه بقية ودان (4) وعلى سمتها شرقا ارض سنترية وتسمى الواحات الداخلة وفي الجزء الرابع من اعلاه بقية ارض التاجوين اثم تعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حفا في النيل الذاهب من مبدائه في الافليم الاول الى مصبه في البحر فيمر في هذا الجزء بين الجبلين الحاجزين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل المقطم من شرقيه وعليه من اعلاه بلد اسنا وارمنت وتتصل كذلك حفا في الى اسبوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هنالك شعبتين ينتهي الايمن منهما في هذا الجزء عند اللاهون والايسر عند دلاص وفيها بينهما اعالي ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عيذاب وذاهة في الجزء الخامس

(1) Man. A et B. مسوفة.

(3) Man. A. B. C. قران.

(2) Man. C. وزيككة

(4) Man. A. السودان.

الى ان تنتهى الى ارض بحر السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندى فى الجنوب الى جهة الشمال وفى عدوته الشرقية من هذا الجزء ارض الحجاز من جبل يللم الى بلد يثرب وفى وسط الحجاز بلد مكة شرفها الله تعالى وفى ساحلها جدّة مقابل بلد عيذاب فى العدو الغربيّة من هذا البحر وفى الجزء السادس من غربيه بلاد نجد اعلاها فى الجنوب جرش وتباله الى عكاظ من الشمال وتحت بلاد نجد بقيّة ارض الحجاز وعلى سمتها فى الشرق بلاد نجران وجند وتحتهما ارض اليمامة وعلى سمت نجران فى الشرق ارض سبا ومارب ثم ارض الشحر وتنتهى الى بحر فارس وهو البحر الثانى الهابط من البحر الهندى الى الشمال كما مرّ ويذهب فى هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيغمر ما بين شرقه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من اعلاه مدينة قلّهات وهى ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها فى آخر الجزء وفى الجزء السابع ثم فى الاعلا من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الاخرى فى السادس ويغمر بحر الهند جانبه الاعلا كله وعليه هنالك بلاد السند الى بلاد مكران منه وتقابلها بلاد الطوبران وهى من السند ايضا فيتصل السند كله فى الجانب الغربى من هذا الجزء وتحول المفاوز بينه وبين

ارض الهند ويمر فيه نهرة الآتى من ناحية بلاد الهند ويصب
 فى البحر الهندى فى الجنوب وأول بلاد الهند على ساحل
 البحر الهندى وفى سمتها شرقا بلاد بلهرا (1) وتحتها
 الملتان بلد الصنم العظيم عندهم ثم اسفل من الهند اعلى
 بلاد سجستان وفى الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهرا
 من الهند وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منيبار فى
 الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندى وتحتها من
 الجانب الاسفل ارض كابل وبعدهما شرقا الى البحر المحيط
 بلاد القنوج وما بين قشمير الداخلة وقشمير الخارجة عند
 آخر الاقليم وفى الجزء التاسع ثم فى الجانب الغربى منه
 بلاد الهند الاقصى وتتصل فيه الى الجانب الشرقى فتتصل
 من اعلاه الى العاشر وتبقى فى اسفل ذلك الجانب
 قطعة من بلاد الصين فيها مدينة خيفون (2) ثم تتصل بلاد
 الصين فى الجزء العاشر كله الى البحر المحيط

(1) Man. A. بکھرا

(2) Man. A. خيفون.

الاقليم الثالث

هو متصل بالثاني من جهة الشمال ففي الجزء الاول وعلى نحو الثلث من اعلاه جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر امم لا يحصيهم الا خالقهم حسبما ياتي ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط منها رباط ماسة وتتصل به شرقا بلاد سوس ونول (1) وعلى سمتها شرقا بلاد درة ثم بلاد سجالهاسة ثم قطعة من صحراء نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطّل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو قليل الشاي والمسالك في هذه الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فتكثر ثناياه ومسالكه الى ان ينتهي وفي هذه الناحية منه امم المصامدة فسكسيوة (2) عند البحر المحيط ثم هتانة (3) ثم تينمل (4) ثم كدميوة ثم هسكورة وهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل صناكة وهم صنهاجة ثم في آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زنانة ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كتامة وبعد ذلك امم اخرى من البرابرة نذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من جهة

(1) Lisez .

(3) Man. C. هتانة.

(2) Man. A. فسكسيوة.

(4) Ibid. تينمل.

غريبه مظلّ على بلاد المغرب الاقصى وهى فى جوفيه ففى
 الناحية الجنوبية منها بلاد مراکش واعامت وتادلا وعلى البحر
 المحيط منها رباط اسفى ومدينة سلا وفى الشرق عن بلاد
 مراکش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامة وهذه هى التى
 نسمى المغرب الاقصى فى عرف اهلها وعلى ساحل البحر
 المحيط منها بلد ارضيلا والعرايش وفى سمت هذه البلاد
 شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وفى سواحلها
 على البحر الرومى بلد هنين ووهران والجزاير لان هذا البحر
 الرومى يخرج من البحر المحيط من خاييج طنجة فى
 الناحية الغربية من الجزء الرابع وبذهب مشرقا فينتهى الى
 بلاد الشام فاذا خرج من الخاييج المتضايق غير بعيد انفسح
 جنوبا وشمالا فدخل فى الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان
 على ساحله من هذا الاقليم الثالث الكثير من بلاده نبتدى
 من طنجة الى القصر الصغير ثم سبتة ثم بادس ثم غساسة ثم
 تتصل ببلد الجزاير من شرقيها بلد بجاية فى ساحل البحر
 ثم قسطنطينية (1) فى الشرق عنها وفى آخر الجزء الاول وعلى
 مرحلة من هذا البحر وفى جنوبى هذه البلاد مرتفعا الى
 جنوب المغرب الاوسط بلد شير بجبل تيطرى ثم بلد المسيلة
 ثم الزاب وقاعدتها بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن

(1) Man. A. قسطنطينية. Man. B. قسطنطينية. Man. C. قسطنطينية.

كما مرّ وذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء
الثانى من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول يمرّ جبل درن
على نحو الثلث من جنوبه ذاهبا فيه من غرب الى شرق
فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومى مسافة من شماله فالقطعة
الجنوبية عن جبل درن غربها كله مفاوز وفى الشرق منها بلد
غدامس وفى سمتها شرقا ارض ودان التى بقيتها بالاقليم
الثانى كما مرّ والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين
البحر الرومى فالغربى منها جبل اوراس وتبسة والاريس
وعلى ساحل هذا البحر بلد بونة ثم فى سمت هذه البلاد
شرقا بلاد افرقية فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة
ثم المهدية وفى جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد
الجريد توزر وقفصة ونفراوة وفيما بينها وبين السواحل مدينة
القيروان وجبل وشلات وسُيْطَلَة وعلى سمت هذه البلاد كلها
شرقا بلاد طرابلس على البحر الرومى وبازايها بالجنوب جبال
دمر ومقرة من قبائل هواره متصلة بجبل درن وفى مقابله
غدامس التى نذكرها فى آخر القطعة الجنوبية وآخر هذا
الجزء فى الشرق سويقة (١) ابن مشكود على البحر وفى
جنوبها مجالات العرب فى ارض ودان والجزء الثالث من
هذا الاقليم يمرّ فيه ايضا جبل درن الا انه ينطفى عند آخره

الى الشمال فيذهب على سمتة الى ان يدخل فى البحر الرومى
ويسمى هناك طرف اوثان والبحر الرومى من شماليه غمر
طايفة منه الى ان تضايق ما بيند وبين جبل درن فالذى
وراء الجبل فى الجنوب وفى الغرب منه بقية ارض ودان
ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم مال وقفار
الى آخر الجزء فى الشرق وفيما بين الجبل والبحر فى
الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفار تجول فيها
العرب ثم اجدابية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طليشة (1)
على البحر هناك ثم فى شرق المنعطف من الجبل مجالات
هيب ورواحة الى آخر الجزء وفى الجزء الرابع من هذا
الاقليم وفى الاعلا من غربه صحارى برنيق واسفل منها بلاد
هيب ورواحة ثم يدخل البحر الرومى فى هذا الجزء فيغمر طايفة
منه ذاهبا الى الجنوب حتى يراحم طرفه الاعلى ويبقى بيند
وبين آخر الجزء قفار يجول فيها العرب وعلى سمتها شرقا
بلاد الفيوم وهى على مصب احدى الشعبين من النيل
الذى يمر على اللاهون من بلد الصعيد فى الجزء الرابع من
الاقليم الثالث فيصب فى بحيرة الفيوم وعلى سمتة شرقا
ارض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثانى الذى يمر
بدلاص عند بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثانى ويفترق هذا

(1) Man. C. et D. طلسمه.

الشعب افتراقة ثانية من تحت مصر على شعبين آخرين من شطنوق (1) وزفنة وينقسم الايمن منهما من تروط (2) بشعبين آخرين ويصبّ جميعهما في البحر الرومي فعلى مصبّ الغربى من هذه الشعب بلاد اسكندرية وعلى مصبّ الوسط بلد رشيد وعلى مصبّ الشرقى بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية اسافل الديار المصرية كلها محشوة عمراناً وفالجا وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على ما اصف وذلك ان بحر القلزم ينتهى من الجنوب وفي المغرب منه عند السويس لانه في ممره من البحر الهندى الى الشمال ينعطف آخر الى جهة المغرب فتكون قطعة من انعطائه في هذا الجزء طويلة تنتهى في الطرف الغربى منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس جبل فاران ثم جبل الطور ثم ايلة بلد مدين ثم الحورا في آخره ومن هناك ينعطف ساحله الى الجنوب في ارض الحجاز كما مرّ في الاقليم الثانى في الجزء الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيرا من غربيه عليها الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فتضايق ما بينهما من هنالك وبقي شبه الباب مفصيا الى ارض الشام وفي غربى هذا الباب فحص التيه ارض

(1) Man. A. et B. سطنوق.

(2) Liséz تروط.

جرداء لا تثبت كانت مجالا لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم الى الشام اربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء طايفة من جزيرة قبرص وبقيتها في الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المضائق لبحر السوبس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذا البحر ثم تنحط هذه القطعة في انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس وعرقه وهنالك منتهى البحر الرومي في جهة الشرق على هذه القطعة اكثر السواحل الشامية (1) ففي شرق عسقلان وبانحراف يسير عنها الى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم صور ثم صيدا ثم عرقه ثم ينعطف البحر الى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم ويذهب في ناحية الشمال منحرفا الى الشرق الى ان يتجاوز (2) هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكأنه حاجز بين ارض مصر والشام ففي طرفه عند ايلة العقبة التي يمر عليها الحجاج من مصر الى مكة ثم بعدها في ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل الشراة يتصل من عند جبل اللكام المذكور

(1) Man. B. et C. سواحل الشام.

(2) Man. A. et B. يجاوز.

من شمال العقبة ذاهبا على سمت الشرق ثم ينعطف قليلا
 وفي شرقه هنالك بلد الحجر وديار ثمود وتيما ودومة الجندل
 وهي اسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في
 جهة الجنوب عنها وفيما بين جبل الشراة وبحر القلزم
 صحراء تبوك وفي شمالي جبل الشراة مدينة القدس عند جبل
 اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى ادرعات
 وحوارن وعلى سمتها شرقا دومة الجندل آخر هذا الجزء
 وهي آخر الحجاز وعند منطف جبل اللكام الى الشمال من
 آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبירות من
 القطعة البحرية وجبل اللكام يعترض بينهما وعلى سمت
 دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة
 الشمالية آخر الجزء وعند منقطع جبل اللكام وفي الشرق عن
 بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخر الجزء
 وفي الجزء السادس من اعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد
 نجد والبيامة ما بين جبل الفرج والضمهان الى البحرين
 ومجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء تحت المجالات
 بلد الحيرة والقادسية ومغايص الفرات وفيما بعدها شرقا مدينة
 البصرة وفي هذا الجزء ينتهى بحر فارس منه عبادان والابلة
 في اسافل الجزء من شماله وبصت فيه عند عبادان نهر
 دجلة بعد ان ينقسم بجداول كثيرة وتختلط به جداول اخر

من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصبّ في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة في اعلاه مضايقة لآخره في شقيه وصيقة عند منتهاه مضايقة للحدّ الشمالى منه وعلى عدوتها الغربية اسافل البحرين وهجر والاحساء وفى غربيها الخطّ والضحان وبقية ارض اليمامة وعلى عدوته الشرقية سواحل فارس فمن اعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قد امتدّ من هذا البحر مشرقا ووراء على الجنوب فى هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل بلد سيراف ونجيرم على ساحل هذا البحر وفى شقيه الى آخر الجزء وتحت هرمز بلاد فارس مثل سابور ودرابجرد وفسا (1) واصطخر والشاهجان وشيراز وهى قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال عند طرف البحر بلاد خورستان ومنها الاهواز وتستر وجندى سابور والسوس ورام هرمز وغيرها وارجان هى حدّ بين فارس وخورستان وفى شرقى بلاد خورستان جبل الاكراد متصلة الى نواحي اصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراها فى ارض فارس وتسمى الزموم وفى الجزء السابع ثم فى اعلى منه من (2) الغرب بقية جبال القفص ويليها من الجنوب

(1) Man. A. et B. نسا.

(2) Man. B. فى.

والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الروذان (1) والشيرجان (2) وجيرفت وتردشير (3) والفهرج وتحت ارض كرمان الى الشمال بقيّة بلاد فارس الى حدود اصبهان ومدينة اصبهان فى طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم فى الشرق عن عرض كرمان وبلاد فارس ارض سجستان فى الجنوب وارض كوهستان فى الشمال عنها وبتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان فى وسط هذا الجزء المفازة العظمى القليلة المسالك لصعوبتها ومن مدن سجستان بست والطاق واما كوهستان فهى من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وقوهستان آخر الجزء وفى الجزء الثامن من غربه وجنوبه مجالات الخارج من اعم الترك متصلة بارض سجستان من غربها وبارض كابل الهند من جنوبها وفى الشمال عن هذه المجالات جبل الغور وقاعدتها غزنة فرضة الهند وفى آخر الغور من الشمال بلد استراباذ ثم فى الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد هراة اوسط خراسان وبها اسفراين وقاشان وبوشنج ومروالود والطالقان والجوزجان وتنهى خراسان هنالك الى نهر جيحون وعلى هذا النهر من بلاد خراسان فى غربيه مدينة بلخ وفى

(1) السردان. Mau. B.

(3) نردشير. Man. A.

(2) الشرجان. Man. C.

شرقيه مدينة الترمذ ومدينة بلخ كانت كرسى ملك الترك وهذا النهر نهر جيحون مخرجه من بلاد وخان فى حدود بدخشان مما يلى الهند ويخرج من جنوب هذا الجزء وعند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء ويسمى هنالك نهر خربات (1) ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمتة الى ان يصب فى بحيرة خوارزم فى الاقليم الخامس كما نذكر ويمدّه عند انعطافه فى وسط الجزء من الجنوب والشمال خمسة انهار عظيمة من بلاد الجبل والوحد من شرقيه وانهار اخر من جبال البتم من شرقه ايضا وجوفى الجبل حتى يتسع ويعظم بما لا كفاء له ومن هذه الانهار الخمسة الممدّة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهى بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمر مغربا بانحراف الى الشمال ويعترضه فى طريقه جبل عظيم يمرّ فى وسط الجنوب فى هذا الجزء (2) ويذهب مشرقا بانحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيحوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الجبل وليس فيه الا مسلك واحد فى وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا

(1) Man. C. خرباب.

(2) Man. B. النهر.

وبنى له بابا كسدة ياجوج فاذا خرج نهر وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فنفذ تحته فى مدى بعيد الى ان يمر ببلاد الوحش ويصب فى نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر هابطا الى الترمذ فى الشمال الى بلاد الجوزجان وفى الشرق من بلاد الغور فيما بينه وبين نهر جيحون بلاد الباميان من خراسان وفى العدو الشرقية هنالك من النهر بلاد الجيل واكثرها جبال وبلاد الوحش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم تخرج من طرف خراسان غربى نهر جيحون وتذهب مشرقة الى ان يتصل طرفها بالجبل العظيم الذى خلفه بلاد التبت ويمر تحته نهر وخشاب كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار اخرى تصب فيه منها نهر بلاد الوحش يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخا يخرج من جبال البتم من مبدائه عند الجوزجان ويصب فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلد امل من خراسان وفى شرقى النهر من هنالك ارض الصغد واشروسنة من بلاد الترك وفى شرقها ارض فرغانة ايضا الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد الترك هذه تحوزها جبال البتم الى شمالها وفى الجزء التاسع من غربيه ارض التبت الى وسط الجزء وفى جنوبها بلاد الهند وفى

شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي اسفل هذا الجزء شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزلخية (1) من الترت الى آخر الجزء شمالا ويتصل بها من غربها ارض فرغانة ومن شرقها ارض البغرغر من الترت الى آخر الجزء شرقا وشمالا وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين واسافله وفي الشمال بقية بلاد البغرغر ثم شرقا عنهم بلاد خرخير (2) من الترت ايضا الى آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن ارض خرخير بلاد كيماك من الترت وقبالتها في البحر المحيط جزيرة الياقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى اعلاه من خارجه صعب في الغاية وبالجزيرة حيات قتالة وحصى من الياقوت كثير فيحتال اهل تلك الناحية في استخراجها بما يلهيهم الله اليه وهذه البلاد في الجزء التاسع والعاشر فيما وراء خراسان والجيل كلها مجالات للترت امم لا تحصى وهم طواعن ورجال اهل ابل وشاء وبقر وخيل للنناج والركوب والاكل وطوايفهم كثيرة لا يحصيهم الا حالقهم وفيهم مسلمون مما يلى بلاد النهر نهر جيحون يغزون الكفار منهم الداينين بالمجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يلهيهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق

(1) Lisez خرخير (2) الخزلخية, C, الخزلخية (1) Man. B et D

الاقليم الرابع

يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الاول منه فى غريبه
قطعة من البحر المحيط مستطيلة من اولد جنوبا الى آخره
شمالا وعليها فى الجنوب مدينة طنجة ويخرج من هذه
القطعة تحت طنجة من البحر المحيط البحر الرومى فى
خليج متصايق بمقدار اننى عشر ميلا بين طريف والجزيرة
الخضراء شمالا وقصر المجاز وستة جنوبا وبذهب مشرقا
الى ان ينتهى الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم
وينفسح فى ذهابه بتدرج الى ان يغمر الاربعة الاجزاء واكثر
الخامس ويغمر عن جانبه طرفا من الاقليم الثالث والخامس
كما نذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامى ايضا وفيه جزاير كثيرة
واعظمها فى جهة الغرب يابسة ثم ميوقرة ثم منقة ثم سردانية
ثم صقلية وهى اعظمها ثم بلبونس ثم اقريطش ثم قبرص كما
نذكرها كلها فى اجزائها التى وقعت فيها ويخرج من هذا
البحر الرومى عند آخر الجزء الثالث منه وفى الجزء الثالث
من الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال
ثم يعطف عند وسط الجزء من جوفيد ويمر مغربا الى ان
ينتهى فى الجزء الثانى من الخامس ويخرج منه ايضا فى
آخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم الخامس خليج القسطنطينية
يمر فى الشمال متصايقا فى عرض رمية السهم الى آخر الاقليم

ثم يفضى الى الجزء الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى بحر نيطش (1) ذاهبا الى الشرق فى الجزء الخامس كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما نذكر ذلك فى اماكنه وعند ما يخرج هذا البحر الرومى من البحر المحيط فى خليج طنجة وينفسح الى الاقليم الثالث ويبقى فى الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين بعدها سبنة على البحر الرومى ثم تيطاوين ثم بادس ثم يغمر البحر بقية هذا الجزء شرقا ويخرج الى الثالث واكثر العمارة فى هذا الجزء فى شماله وشمالى الخايج منه وهى كلها بلاد الاندلس فالغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومى اولها طريف عند مجمع البحرين وفى الشرق عنها على ساحل البحر الرومى الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم الهنكب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط غربا وعلى مقربة منه شريش ولبلة وقبالها فيه جزيرة قادس وفى الشرق عن شريش ولبلة اشبيلية ثم اسجة وقرطبة ومرتكة ثم غرناطة وجيان وابدة ثم وادياش وبسطة وتحت هذه شنتمرية وشاب على البحر المحيط غربا وفى الشرق عنها بظلبوس وماردة ويابرة ثم غافق وترجالة ثم قلعة رباح وتحت هذه اشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر تاجة

(1) بنطش. Lisez (1).

وفى الشرق عنها شنترين وقورية على النهر المذكور ثم
قنطرة السيف ويسامت اشبونة من جهة الشرق جبل
الشارت يبدأ من الغرب هناك ويذهب مشرقا مع آخر
الجزء من شماليه فينتهى الى مدينة سالم فيما بعد النصف
منه وتحت هذا الجبل طليطلة فى الشرق عن قورية ثم طليطلة
ثم وادى الحجارة ثم مدينة سالم وعند اول هذا الجبل فيما
بينه وبين اشبونة بلد قلمرية هذه غرب الاندلس واما شرق
الاندلس فعلى ساحل البحر الرومى منها من بعد المرسى
قرطاجنة ثم لقنت ثم دانية ثم بلنسية الى طركونة آخر الجزء
فى الشرق وتحتها شمالا لورقة وشقورة (1) يتاخمان بسطة
وقلعة رباح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة
تحت بلنسية شرقا ثم شقر ثم طرطوشة تحت طركونة آخر
الجزء ثم تحت هذه شمالا ايضا جنجالة ووبدة متاخمتان
لشقورة وطليطلة من الغرب ثم افراغة شرقا تحت طرطوشة
وشمالا عنها ثم فى الشرق عن مدينة سالم قلعة ايوب ثم
سرسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقا وشمالا والجزء الثانى من
هذا الاقليم غمر الماء جميعه الآقطة من غربيّه فى الشمال
فيها بقيّة جبل البرنات معناه جبل الشايا والمسالك يخرج
اليه من آخر الجزء الاول من الاقليم الخامس يبدأ من

الطرف المنتهى من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويترقى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج فى هذا الاقليم الرابع منحرفا عن الجزء الاول منه الى هذا الجزء الثانى فتقع فيه قطعة منه تفضى ثناياها الى البر المتصل وبسبب ارض غشكونية وفيه مدينة جرنده وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومى من هذه القطعة مدينة برشلونة ثم اربونة وفى هذا البحر الذى غمر الجزء جزاير كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغرهما وفى غريبه جزيرة سردانية وفى شرقه جزيرة صقلية متسعة الاقطار ويقال ان فى دورها سعماية ميل وبها مدن كثيرة من مشاهرها سرقوسة وبلرم وطرابنة ومازرومينى وهذه الجزيرة تقابل ارض افريقية وفيما بينهما جزيرتا غودش (1) ومالطة والجزء الثالث من هذا الجزء مغفور ايضا بالبحر الا نالط قطع من ناحية الشمال الغربية منها من ارض قلورية والوسطى من ارض انكبردة والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغفور ايضا بالبحر كما مرّ وجزايره كثيرة واكثرها غير مسكون كما فى الثالث والمعهور منها جزيرة بلبونس فى الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقريطش مستطيلة من وسط الجزء الى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا الاقليم

(1) Man. A. et B. جزيرة تانغودش. Man. D. جزيرة غودش.

غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهى الصلع الغربى منها الى آخر الجزء فى الشمال وينتهى الصلع الجنوبى منها الى نحو الثلاثين من الجزء ويبقى فى الجانب الشرقى من الجزء قطعة نحو الثلث يمر الشمالى منها الى الغرب منعطفًا مع البحر كما قلناه وفى النصف الجنوبى منها اسافل الشام ويمر فى وسطها جبل اللكام الى ان ينتهى الى آخر الشام فى الشمال فينعطف من هنالك ذاهبا الى القطر الشرقى الشمالى ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة ومن هنالك يخرج الى الاقليم الخامس ويحوز عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق وتقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصل بعضها ببعض الى ان تنتهى الى طرف خارج من البحر الرومى متاخم الى آخر الجزء من الشمالى وبين هذه الجبال ثنانيا تسمى الدروب وهى التى تفضى الى بلاد الارمن وفى هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة فاما الجهة الجنوبية التى قدمنا ان فيها اسافل الشام وان جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومى وآخر الجزء من الجنوب الى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلد انطرسوس فى اول الجزء من الجنوب متاخمة لعرقه وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفى

شمال انطرسوس جبلة ثم اللادقية ثم اسكندرية ثم سلوقية
وبعدها شمالا بلاد الروم واما جبل اللكام المعترض بين البحر
وآخر الجزء فحفافيه من بلاد الشام من اعلى الجزء جنوبا
حصن الخوابى من غربيه وهو للحشيشية لاسماعيلية
ويعرفون لهذا العهد بالنداوية ويسمى الحصن مصيات وهو
قبالة انطرسوس شرقا ويقابل هذا الحصن فى شرق الجبل
بلد سلهية فى الشمال عن حمص وفى الشمال عن مصيات
بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقابلها فى شرق الجبل
المعرة وفى شرقها المراغة وفى شمال انطاكية المصيصة ثم
ادنة ثم طرسوس آخر الشام ويحاذيها من غرب الجبل
قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين فى شرق الجبل
حلب ويقابل عين زربة منبع آخر الشام واما الدروب فعن
يمينها ما بينها وبين البحر الرومى بلاد الروم التى هى
لهذا العهد للتركماني وسلاطنتها ابن عثمان وفى ساحل البحر
الرومى منها بلد انطاكية (1) والعلايا واما بلاد الارمن التى
بين جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملاطية
وانقرة الى آخر الجزء شمالا ويخرج من الجزء الخامس فى
بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سيحان فى شرقيه فيمر نهر
جيحان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمر بطرسوس ثم

(1) Telle est la leçon des manuscrits ; mais il faut lire : انطاليه .

بالمصيصة ثم ينعطف هابطا الى الشمال ومغربا حتى يصبّ
 فى البحر الرومى جنوب سلوقية ويمرّ نهر سيحان موازيا
 لنهر جيحان فيحاذى انقرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب
 الى ارض الشام ثم يمرّ بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان
 ثم ينعطف الى الشمال مغربا فيختلط بنهر جيحان عند
 المصيصة ومن غربها واما بلاد الجزيرة التى يحيط بها
 منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففى جنوبها بلد
 الرافقة والرقّة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم
 شميساط وآمد تحت جبل السلسلة وآخر الجزء من شماله
 وهو ايضا آخر الجزء من شرقه ويمرّ فى وسط هذه القطعة نهر
 الفرات ونهر دجلة يخرجان من الاقليم الخامس ويمرّان
 فى بلاد الارمن جنوبا الى ان يتجاوزا جبل السلسلة فيمرّ
 نهر الفرات فى غربى شميساط وسروج ثم ينحرف الى
 الشرق فيمرّ بغرب الرافقة والرقّة ويخرج الى الجزء السادس
 ويمرّ دجلة فى شرق آمد وينعطف قريبا الى الشرق
 فيخرج قريبا الى الجزء السادس وفى الجزء السادس من
 هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفى الشرق عنها بلاد
 العراق متصلة بها تنتهى فى الشرق الى قرب آخر الجزء
 ويعترض آخر العراق هناك جبل اعبيهان هابطا من جنوب
 الجزء منحرفا الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من

آخرة فى الشمال يذهب مغربا الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على سمتة بجبل السلسلة فى الجزء الخامس فيقطع فى الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية فى الغربية من جنوبها مخرج الفرات من الخامس فى شمالها مخرج دجلة منه اما الفرات فاول ما يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج منه هنالك جدول الى الشمال ينساب فى ارض الجزيرة وبغوص فى نواحيها ويمر من قرقيسيا غير بعيد ثم يعطف الى الجنوب فيمر بغرب الخابور الى غرب الرحبة ويخرج منه جدول من هنالك يمر جنوبا ويتقى صفين فى غربه ثم يعطف شرقا وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة وبعض بقصر ابن هبيرة وبالجامعين ويخرج جميعها فى جنوب الجزء الى الاقليم الثالث فيغوص هنالك فى شرق الحيرة والقادسية ويمر الفرات من الرحبة مشرفا على سمتة الى هيت من شمالها ثم الى الزاب والانبار من جنوبها ثم يصب فى دجلة عند بغداد واما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء يمر مشرفا على سمتة ومحاذيا لجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمتة فيمر بجزيرة ابن عمر من شمالها ثم بالموصل كذلك وتكرت وينتهى الى الحديثة فينعطف جنوبا وتبقى الحديثة فى شرقه والزاب الكبير

والصغير كذلك ويمر على ستمته جنوبا وفى غرب القادسية الى ان ينتهى الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب جرجاريا الى ان يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث فتكثر هنالك شعوبه وجداوله ثم تجتمع وتصب هنالك فى بحر فارس عند عبادان وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجعهما ببغداد هى بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة والفرات بعد مفارقة بغداد نهر اخريانى من الجهة الشرقية الشمالية عنه وينتهى الى بلد النهروان قبالة بغداد شرقا ثم يعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلد جلولا وفى شرقها عند الجبل بلد حلاوان وصيمرة واما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يبداء من جبل الاعاجم مشرقا الى آخر الجزء ويسمى جبل شهرزور فيقسمها بقطعتين وفى الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلد خونجان فى الغرب والشمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد البهلوس وفى وسطها بلد نهاوند (1) وفى شمالها بلد شهرزور غربا عند ملتقى الجبلين والدينور شرقا عند آخر الجزء وفى القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة والذى يقابلها من جبل العراق

(1) Man. A. et B. الباهوس

يسمى جبل بارما وهو مساكن الاكراد والزاب الكبير والصغير
الذى على دجلة من ورايه فى آخر هذه القطعة من جهة
الشرق بلاد اذربايجان ومنها تبريز والبيلقان وفى الزاوية
الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نيطش وهو
بحر الخزر وفى الجزء السابع من هذا الاقليم فى غربيه
وجنوبه معظم بلاد البهلوس وفيها همدان وقزوين وبقيتها
فى الاقليم الثالث وفيها هنالك اصهبان ويحيط بها من
الجنوب جبل يخرج من غربيها ويمر بالاقليم الثالث ثم
ينعطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل
العراق فى شرقيه الذى مر ذكره هنالك وانه محيط ببلاد
البهلوس فى القطعة الشرقية وبهبط هذا الجبل المحيط
باصهبان من الاقليم الثالث الى حمة الشمال ويخرج الى
هذا الجزء السابع فمحيط ببلاد البهلوس من شرقيها وتحد
هنالك فاشان ثم قم ويعطف فى قرب النصف من
طريقه مغربا بعض الشئ ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا
ومنحرفا الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس
ويشتمل عند منعطفه واستدارته على باد الرى فى شرقيه
وبدء من منعطف اخر يمر غربا الى آخر الجزء ومن جنوبه
هنالك قزوين ومن جانبه الشمالى وجانب جبل الرى
المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء ثم

الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة من بحر طبرستان تدخل فى الاقليم الخامس فى هذا الجزء فى نحو النصف من غربه الى شرقه ويعترض عند جبل الرى وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر على سمتة مشرقا وبانحراف قليل الى الجنوب حتى يدخل فى الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل الرى وهذا الجبل من عند مبدائها بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المفازة التى بين فارس وخراسان وهى شرقى قاشان وفى آخرها عند هذا الجبل بلد استراباذ وحفاى هذا الجبل من شرقه الى آخر الجزء بلاد نيسابور من خراسان ففى جنوب الجبل وشرق المفازة بلد نيسابور ثم مرو الشاهجان آخر الجزء وفى شماله وشرق جرجان بلد مهرجان وخازرون وطوس آخر الجزء شرقا وكل هذه تحت الجبل وفى الشمال عنها بعيدا بلاد نسا ويحيط بها عند زاوية الجزء بين الشمال والشرق مفاوز معطلة وفى الجزء الثامن من هذا الاقليم فى غربيه نهر جيحون ذاهبا من الجنوب الى الشمال ففى عدويه الغربية زم وآمل من بلاد خراسان والظاهرة والجرجانية من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل استراباذ المعترض فى الجزء السابع قبله ويخرج من هذا

الجزء من غربيه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقيّة بلاد هراة وبمرّ الجبل فى الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى يتّصل بجبل البتم كما ذكرناه هنالك وفى شرق نهر جيحون من هذا الجزء فى الجنوب منه بلاد بخارا ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اشروسنة ومنها خجدة آخر الجزء شرقا وفى الشمال عن سمرقند واشروسنة ارض يلاق ثم فى الشمال عن يلاق ارض الشاش يمرّ الى آخر الجزء شرقا وناخذ قطعة من الجزء التاسع فى جنوب تلك القطعة بقية ارض فرغانة ويخرج من هذه القطعة التى فى الجزء التاسع نهر الشاش يمرّ معترضا فى الجزء الثامن الى ان يصبّ فى نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن فى شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه فى ارض يلاق نهر ياتى من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت وتختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جيراغون يبداء من الاقليم الخامس وينعطف مشرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطا بارض الشاش ثم ينعطف فى الجزء فيحيط بالشاش وفرغانة هنالك الى جنوبه فيدخل فى الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل فى وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين ارض

بخارا وخوارزم مفاوز معطلة وفي زاوية هذا الجزء بين الشمال والشرق ارض جندة وفيها بلاد اسيجاب وطراز (١) وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربه بعد فرغانة والشاش ارض الخرخية في الجنوب وارض الخاخلية في (٢) الشمال وفي شرق الجزء كله الى آخره ارض الكيمائية وتتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوفايا آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هناك وهو جبل ياجوج وماجوج وهذه الاسم كلها شعوب النرك

الاقليم الخامس

الجزء الاول منه اكثره مغبور بالماء الا قليلا من جنوبه وشرقه لان البحر المحيط من هذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فاما المنكشف من جنوبه قطعة على شكل المثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنهما ضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بقية ارض الاندلس منت ميور (٣) على البحر عند اول الجزء من الجنوب والغرب وشلنكة شرقا عنها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن شلنكة ابلة آخر الجنوب وارض

(١) Les man. A B C. طراز.

(٢) Man C. et D. الخاخية

(٣) Man A. منت منور B. مينة منور.

قشتالة شرقا عنها وفيها مدينة شقوبية وفي شمالها ارض
ليون وبرغشت (1) ثم وراها في الشمال ارض جليقية الى
زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الصلح
الغربي بلد شنتياقوب ومعناه يعقوب وفيها من بلاد شرق
الاندلس مدينة تطيلة (2) عند آخر الجزء في الجنوب وشرقا
عن قشتالة وفي شمالها وشرقها وشقة ثم بنبلونة على سمتها
شرقا وشمالا وفي غرب بنبلونة قسطالة ثم تاجرة فيما بينها
وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذيا
للبحر وللصلح الشمالى الشرقى منه وعلى قرب ويتصل به
وبطرف البحر من عند بنبلونة في جهة الشرق الذى ذكرنا
من قبل انه يتصل في الجنوب بالبحر الرومى في الاقليم
الرابع ويصير حجرا على الاندلس من جهة الشرق وثناياه
ابواب لها تفضى الى بلاد غشكونية من اعم الفرنج فمنها
في الاقليم الرابع برشلونة واربونة على ساحل البحر الرومى
وجرندة وقرقشونة وراهما في الشمال ومنها في الاقليم
الخامس طلوثة شمالا عن جرندة واما المنكشفي في هذا
الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل
زاويته الحادة وراء البُرّات شرقا وفيها على البحر المحيط

(1) Man. A. برغشت B. برغشت

(2) Man. A. et B. تطيلة.

على رأس القطعة التى يتصل بها جبل البرتات بلد بيونة
وفى آخر هذه القطعة فى الناحية الشرقية الشمالية من الجزء
ارض بيطو من الفرنج الى آخر الجزء وفى الجزء الثانى فى
الناحية الغربية من ارض غشكونية وفى شمالها ارض بيطو
وبرغش وقد ذكرناهما وفى شرق بلاد غشكونية قطعة من
البحر الرومى دخلت فى هذا الجزء كالأرس مايلسة الى
الشرق قليلا وصارت بلاد غشكونية فى غربها داخلية فى
جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى
سمتها فى الشمال جبل منت جون وفى شماله وعلى سمتة
ارض برغونة وفى الشرق عن طرف جنوة للخارج من البحر
الرومى طرف آخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل من
البر فى البحر فى غريه بيش وفى شرقه مدينة رومة العظيمة
كرسى ملك الافرنجة ومسكن البابة بتركهم الاعظم وفيها من
المباني الضخمة والهيكل المهيولة والكنائس العادية ما هو
معروف للاخبار ومن عجائبها النهر الجارى فى وسطها من
المشرق الى المغرب مفروش قاعد ببلاط النحاس وفيها
كنيسة بطرس وبولس من الحوارتين وهما مدفونان بها وفى
الشمال عن بلاد رومة بلاد انبرضية الى آخر الجزء وعلى هذا
الطرف من البحر الذى فى جونه (1) رومة بلد نابلس فى

الجانب الشرقى منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد السفرنج وفى شمالها طرف من خليج البنادقة دخل فى هذا الجزء من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء وانتهى فى نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلاية فى الاقليم السادس وفى الجزء الثالث من هذا الاقليم فى غربه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومى يدخل جانب من برها فى الاقليم الرابع فى البحر الرومى فى جون بين طرفين خرجا من البحر على سمت الشمال الى هذا الجزء وفى شرق بلاد قلورية بلاد انكبودة فى جون بين خليج البنادقة والبحر الرومى ويدخل طرف هذا الجون فى الاقليم الرابع وفى البحر الرومى ويحيط به من شرفه خليج البنادقة من البحر الرومى ذاهبا الى سمت الشمال ثم ينعطف الى المغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالى ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب معه فى الشمال ثم يغرب معه فى الاقليم السادس الى ان ينتهى قبالة الخليج فى شماله فى بلاد انكلاية من اسم اللمايين كما نذكر وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل ما دامنا ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبنا الى المغرب فبينهما بلاد جرواسيا ثم بلاد اللمايين عند طرف

PROLEGOMENES
d'Ibn-Khaldoun

الخليج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة في البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مضروسة كلها بقطع من البحر تخرج منها الى الشمال وبين كل ضرسين منهما طرف في البر في الجون بينهما وفي آخر الجزء شرقا خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر نيطن في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القياصرة وبها من آثار البناء والمنجامة ما كثرت عند الاحاديث والقطعة التي بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء فيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين (1) ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي هذا الخليج الى آخر الجزء قطعة من ارض باطوس واطتها لهذا المعهد محاللات للتركماني وبها ملك ابن عثمان وقاعدته برصا (2) وكانت من قبلهم للروم وغلبتهم عليها الاسم الى ان صارت للتركماني وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه ارض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد

(1) Man. A. et B. لليونانيين. C. اليونان. (2) Man. A. et B. برصة.

عمورية وفي شرق عمورية نهر قباقب الذى يمدّ الفرات
يخرج من جبل هنالك ويذهب فى الجنوب حتى
يخالط الفرات قبل فصوله من هذا الجزء الى ممرّه فى
الاقليم الرابع وهناك فى غربيه آخر الجزء مبداء نهر
سيحان ثم نهر جيحان غربيه الذاهبين على سمتة وقد مرّ
ذكرهما وفى شرقيه هنالك مبداء نهر دجلة الذاهب على
سمتة وفى موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفى الزاوية
التى بين الجنوب والشرق عن هذا الجزء وراء الجبل
الذى يبداء منه نهر دجلة بلد ميافارقين ونهر قباقب الذى
ذكرناه يقسم هذا الجزء بقطعتين احدهما غربية جنوبية وفيها
ارض باطوس كما قلناه واسفلها الى آخر الجزء شمالا ووراء
الجبل الذى يبداء منه نهر قباقب ارض عمورية كما قلناه
والقطعة الثانية شالية شرقية جنوبية على الثالث فى الجنوب
منها مبداء الدجلة والفرات وفى الشمال بلاد البيلقان متصلة
بارض عمورية من وراء جبل قباقب وهى عربضة وفى آخرها
عند مبداء الفرات بلد حرشنة (1) وفى الزاوية الشرقية
الشالية قطعة من بحر نيطاش الذى يمدّه خاليج القسطنطينية
وفى الجزء السادس من هذا الاقليم فى جنوبه وغربه بلاد
ارمنية متصلة الى ان يتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق

(1) Man. A. حرشنة. B. حرسنة.

وفيهما بلد ارزن فى الجنوب والمغرب وفى شهاها تفابلس
ودبيل وفى شرقى ارزن مدينة خلاط ثم برذعة وفى جنوبها
بانحراف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك يخرج بلاد
ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك بلد الهراغة فى شرقى
جبل (١) الاكراد المسى بارما وقد مر ذكره فى الجزء السادس
منه ويتأخم بلاد ارمينية فى هذا الجزء وفى الاقليم الرابع قبله
من جهة المشرق فيها بلاد اذربيجان وآخرها فى هذا الجزء
شرقا بلد اردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت فى
الناحية الشرقية من هذا الجزء من الجزء السابع ويسمى بحر
طبرستان وعليه من شماله فى هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر
وهم التركمان وببدء من عند هذه القطيعة البحرية فى
الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى
الجزء الخامس وتتر فيه منعطفة ومحيطة ببلاد ميافارقيس
ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة
فى اسافل الشام ومن هنالك يتصل بجبل اللكام كما مر
وبين هذه الجبال الشمالية فى هذا الجزء ثانيا كالأبواب
نفضى من الجانبين ففى جنوبها بلاد الأبواب متصلة فى
الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة باب
الأبواب وتتصل بلاد الأبواب فى الغرب من ناحية جنوبها

(١) Man. A. et B. جبلها.

ببلاد ارمينية وبينها فى الشرق وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الران متصلة الى بحر طبرستان وفى شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء فى غربها مملكة السرير وفى الزاوية الغربية الشمالية منها هى زاوية الجزء كله قطيعه ايضا من بحر نيطش الذى يمتد خايج القسطنطينية وقد مر ذكره وتحق بهذه القطعة من نيطش بلاد السرير وعليها منها بلاد طرابزنده وتتصل بلاد السرير بين جبال الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى ان تنتهى شرفا الى جبل حاجز بينها وبين ارض الخزر وعند آخرها مدينة صول ووراء هذا الحاجز قطعة من ارض الخزر تنتهى الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء بين بحر طبرستان وآخر الجزء شمالا والجزء السابع من هذا الاقليم غريبه كلد مغموه ببحر طبرستان وخرج من جنوبه فى الاقليم الرابع القطعة التى ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبل الدبلم الى قزوين وفى غربى تلك القطعة متصلة بها القطيعه التى فى الجزء السادس من الاقليم الرابع وتتصل بها من شمالها القطعة التى فى الجزء السادس من شرقه انفا وتنكشف من هذا الجزء قطعة عند زاويته الشمالية الغربية يصب فيها نهر ائل فى هذا البحر وتبقى من هذا الجزء فى ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هى مجالات

للغز من اعم الترتك ويقال لهم الخزر كانه عرب وصارت
خاوه غينا وشددت الزاى ويحيط بهذه القطعة جبل من
جهة الجنوب داخل فى الجزء الثامن ويذهب فى الغرب
الى ما دون وسطه فينعطف الى الشمال الى ان يلاقى بحمر
طبرستان فيحتمى به ذاهبا معه الى بقيته فى الاقليم السادس
ثم ينعطف مع طرفه ويفارقه ويسمى هنالك جبل شياى
ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم
يرجع جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا
الطرف منه هو الذى اعترض فى هذا الجزء بين ارض
السرب وارض الخزر واتصلت ارض الخزر فى الجزء
السادس والسابع حفافى هذا الجبل المسمى جبل شياى
كما يانى والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله
مجاالات للغز من اعم الترتك وفى الجهة الجنوبية الغربية
منه بحيرة خوارزم التى يصب فيها نهر جيحون دورها
ثلثماية ميل وبصب فيها انهار كثيرة من ارض هذه
المجاالات وفى الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة غرغون
دورها اربعماية ميل وماؤها حلو وفى الناحية الشمالية من هذا
الجزء جبل مرغار (١) ومعناه جبل الساج لانه لا يذوب فيه
وهو متصل باخر الجزء وفى الجنوب عن بحيرة غرغون

(١) Man, B. مرغان.

جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيا يسمى غرغون وبه
 سميت البحيرة وتتجلب منه ومن جبل مرغار شمال
 البحيرة انهار لا ينحصر عددها فتصب فيها من الجانبين
 وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم بلاد اذكش من ايم
 الشرك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيماكية ويحده من
 جهة الشرق آخر الجزء جبل قوفايا المحيط بياجوج وماجوج
 يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حين
 ينعطف اول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من
 آخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله احتق هنالك
 بالبحر المحيط الى آخر الجزء في الشمال ثم انعطف مغربا
 في الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى ما دون نصفه واحاط
 من اوله الى هنا ببلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء العاشر
 من الاقليم الخامس فذهب فيه مغربا الى آخره وبقيت في
 جنوبه قطعة من هذا الجزء مستطيلة الى الغرب فيها آخر
 بلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيه وفي
 الاعلى منه وانعطف قريبا الى الشمال وذهب الى سمته الى
 الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما
 نذكر وبقيت منه القطعة التي احاط بها جبل قوفايا عند
 الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب
 وهي من بلاد ياجوج وماجوج وفي الجزء العاشر من هذا

الأقليم ارض ياجوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفا في شرقيه من جنوبه الى شماله والا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوفايا حين مرفيه وما سوى ذلك فكله ارض ياجوج وماجوج

الأقليم السادس

فالجزء الاول منه غمر البحر اكثر من نصفه واستدار مشرقا مع الناحية الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فاندكشت قطعة من الارض في هذا الجزء داخله بين طرفين من البحر المحيط كالجون فيه وتنفسح طولاً وعرضاً وهي كلها ارض برطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزء بلاد صابس (١) متصلة بارض بيضو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الأقليم الخامس وشماله والجزء الثاني من هذا الأقليم دخل البحر المحيط من غربه فمن غربه في قطعة مستطيلة اكثر من النصف الشمالي من شرق ارض برطانية في الجزء الاول واتصلت بها القطعة الاخرى في الشمال من غربه الى شرقه وانفسحت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة

(١) Man. A. et B. ضاليس.

انكلطرة وهى جزيرة عظيمة متسعة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها فى الاقليم السابع وفى جنوب هذه القطعة وجزيرتها فى النصف الغربى من هذا الجزء بلاد برمندية وبلاد افلادنش متصلين بها ثم بلاد افرنسية جنوبا وغربا من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا وكلها لاسم الافرنجة وبلاد اللمايين فى النصف الشرقى من هذا الجزء فجنوبه بلاد انكلالية ثم بلاد برغونية شمالا ثم ارض لهرنكة وشصونية وعلى قطعة البحر المحيط فى الزاوية الشمالية الشرقية ارض افرندة وكلها لاسم اللمايين وفى الجزء الثالث من هذا الاقليم فى الناحية الغربية بلاد يوانية (1) فى الجنوب وبلاد شصونية فى الشمال وفى الناحية الشرقية بلاد انكرية فى الجنوب وبلاد بلونية فى الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخلا فى الجزء الرابع ويمر مغربا بانحراف الى الشمال الى ان يقف فى بلاد شصونية آخر النصف الغربى وفى الجزء الرابع فى ناحية الجنوب ارض جشولية وتحتها فى الشمال بلاد الروسية ويفصل بينهما جبل بلواط من اول الجزء غربا الى ان يقف فى النصف الشرقى وفى شرق ارض جشولية بلاد جرمانية وفى الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر

(1) Man. C. نوابية.

الرومى وعند مدفعه فى بحر نيطنش فيقع قطعة من بحر نيطنش فى اعلى الناحية الشرقية من هذا الجزء يمدّها الخليج وبينهما فى الزاوية بلد مسناة وفى الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم فى الناحية الجنوبية منه بحر نيطنش يتصل من الخليج آخر الجزء الرابع ويخرج على سمته شرقا فيمرّ فى هذا الجزء كله وفى بعض السادس على طول الف وثلاثماية ميل من مبدئه فى عرض ستماية ميل ويبقى وراء هذا البحر فى الناحية الجنوبية من هذا الجزء من غربها الى شرقها بر مستطيل فى غربه هرقلية على ساحل نيطنش متصلة بارض البيلتان من الاقليم الخامس وفى شرقه بلاد اللانية (١) وقاعدتها سنوبلى (٢) على بحر نيطنش وفى شمالى بحر نيطنش فى هذا الجزء غربا ارض برجان وشرقاً بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد برجان من شرقها فى هذا الجزء ومن شمالها فى الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها فى الجزء الرابع من هذا الاقليم وفى الجزء السادس من غربه بقية بحر نيطنش ويحرف قليلا الى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالا بلاد قمانية وفى جنوبه ومنفسها الى الشمال بما انحرف هو كذلك بقية اللانية التى كانت آخر

(١) Man. A. et B. لانية

(٢) Man. C. سوبلى

جنوبه فى الجزء الخامس وفى الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل ارض الخزر وفى شرقها ارض برطاس وفى الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفى الزاوية الجنوبية ارض بلنجر يحوزها هنالك قطعة من جبل شياه كوية (1) المنعطف مع بحر الخزر فى الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقه مغربا فيحوز (2) هذه القطعة ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هنالك ببجبال الابواب وعليه من ناحيته بلاد الخزر وفى الجزء السابع من هذا الاقليم فى الناحية الجنوبية ما حازه جبل شياه بعد مفارقه ببحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى آخر الجزء غربا وفى شرقها القطعة من بحر طبرستان التى يحوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل شياه فى الناحية الغربية الشمالية ارض برطاس وفى الناحية الشرقية من الجزء ارض بسجرت (3) وبجناك من امم الترك وفى الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض الخولج (4) من الترك وفى الناحية الشمالية غربا الارض المنتنة وشرقا الارض التى يقال ان ياجوج وماجوج خربوها قبل بناء السد وفى هذه الارض المنتنة مبداء نهر ائل من اعظم انهار العالم وممره

1) Man. A. شياه كويه

2) Man. A. B. et D. يحوز

3) Man. A. et B. سجرت

4) Lisez الخولج

في بلاد الترك ومصّبه في بحر طبرستان في الاقليم الخامس
وفي الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من
جبل في الارض المنته من ثلاثة ينابيع تجمع في نهر
واحد ويمرّ على سمت المغرب الى آخر السابع من هذا
الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء السابع من الاقليم السابع
فيمرّ على طرفه بين الجنوب والغرب فيخرج في الجزء
السادس من السابع وبذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف
ثانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من السادس
ويخرج منه جداول تذهب مغربا وتنصبّ في بحر نيّطش
في ذلك الجزء ويمرّ هو في قطعة بين الشمال والشرق في
بلاد بلغار (1) فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس
ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ في جبل شياه ويمرّ
في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجزء السابع
منه فصبّ هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي
انكشفت من الجزء عند الراونة الغربية الجنوبية وفي
الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد
خفتساح من الترك وهم قفجق وبلاد التركش (2) منهم ايضا
جبل قوفايا وفي الشرق منه بلاد ماجوج يفصل بينهما جبل
قوفايا المحيط وقد مرّ ذكره يبداء من البحر المحيط في

(1) Man. A. et B. برغار.

(2) Man. B. et C. وركش.

شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم فى الشمال
ويفارقه مغربا وبانحراف الى الشمال حتى يدخل فى الجزء
التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمتة الاول فى
الشمال حتى يدخل فى هذا الجزء التاسع من جنوبه الى
شمال وبانحراف الى المغرب وفى وسطه ههنا السد الذى
بناه الاسكندر ثم يخرج على سمتة فى الاقليم السابع وفى
الجزء التاسع منه فيمر فيه من الجنوب الى ان يلقى البحر
المحيط فى شماله ثم يعطف معه من هنالك مغربا فى
الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل هنالك
بقطعة من البحر المحيط فى غربيه وفى وسط هذا الجزء
التاسع هو السد الذى بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من
خبره فى القرآن وقد ذكر عبد الله بن خرداذبه فى كتابه
فى الجغرافيا ان الواثق رأى فى منامه كان السد انفتح
فانتبه فزعا وبعث سلامة الترجمان فوقف عليه وجاء بخبره
ووصفه فى حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا وفى
الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد ماجوج متصلة فيه الى
آخرة على قطعة هنالك من البحر المحيط احاطت به من
شرقه وشماله مستطيلة فى الشمال وعريضة بعض الشئ فى
الشرق انتهى

الاقليم السابع

والبحر المحيط قد غمر عاتته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوفايا المحيط بياجوج وماجوج فالجزء الاول والثاني مغموران بالماء الا ما انكشف من جزيرة انكلطرة التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انعطف بانحراف الى الشمال وبقيتها مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني من الاقليم السادس وهي مذكورة هنالك والمجاز منها الى البر في هذه القطعة سعة اثنى عشر ميلا ووراء هذا الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلاندة مستطيلة من الغرب الى الشرق والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمور اكثره بالبحر لا قطعة مستطيلة في جنوبه وتتسع في شرقها وفيها هنالك متصل ارض فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة وتتصل في البر من باب في جنوبها ينص الى بلاد فلونية (1) وفي شمالها جزيرة براقعة مستطيلة مع الشمال من الغرب الى المشرق والجزء الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط

(1) Man. A. فلونية. B. قلاونية.

من الغرب الى الشرق وجنوبه منكشف ففي غربه ارض
 فيما زك من الترك وفي شرقها بلاد طبست ثم ارض
 رسلاندة الى آخر الجزء شرقا وهى دايمه الثلوج وعمرانها
 قليل وتتصل ببلاد روسية فى الاقليم السادس وفى الجزء
 الرابع والخامس منه وفى الجزء الخامس من هذا الاقليم
 فى الناحية الغربية بلاد الروسية وتنتهى فى الشمال الى
 قطعة البحر المحيط التى يتصل بها جبل قوفيا كما ذكرناه
 من قبل وفى الناحية الشرقية منه يتصل ارض القمانية على
 قطعة بحر نيطن فى الجزء السادس من الاقليم السادس
 وينتهى الى بحيرة طرمى (1) من هذا الجزء وهى عذبة ويتجلبب
 اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفى
 شمالى الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض البنارية من
 الترك الى آخره وفى الجزء السادس فى الناحية الغربية
 الجنوبية متصل بلاد القمانية وفى وسط الناحية بحيرة
 عيون (2) عذبة يتجلبب اليها انهار من الجبال فى النواحي
 الشرقية وهى جامدة دايمًا لشدة البرد الا قليلا فى زمن
 المصيف وفى شرقى بلاد القمانية بلاد الروسية التى كان
 مبداءها فى الاقليم السادس فى الناحية الشرقية الشمالية من
 الجزء الخامس منه وفى الزوايا الجنوبية الشرقية من هذا

(1) Man. B. طوى D طرفى

(2) Man. C. عيون.

الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبداءها في الاقليم السادس
وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي
وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهر ائل العطفة
الاولى الى الجنوب كما مرّ وفي آخر هذا الجزء السادس
من شماله جبل قوفايا متصل من غربه الى شرقه وفي
الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض بجناك
من اسم الترك وكان مبداءها في الناحية الشرقية من
الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا
الجزء ويخرج الى الاقليم السادس فوقه وفي الناحية الشرقية
بقية ارض بسحرت (١) ثم بقية الارض المنتنة الى آخر
الجزء مشرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوفايا المحيط
متصلا من غربه الى شرقه وفي الجزء الثامن من هذا
الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتنة في
شرقها الارض المحفورة وهي من العجايب خرق عظيم في
الارض فسيح الاقطار بعيد المهوى ممتنع الوصول الى قعره
يستدل على عمرانه بالدخان في النهار واليران في الليل
ضئ وتخفى وربما رأى فيها نهر يشقها من الجنوب الى
الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الحراب
المتاخمة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوفايا متصل من

(١) بسحرت Lasez. سحرى D سحرت B. سحرت A. Man (١)

الغرب الى الشرق وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في
الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ وهم قفجق يحوزها جبل
قوفايا حين يعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب
في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في
الجزء التاسع من الاقليم السادس وبمرّ معترضا فيه وفي
وسطه هنالك سدّ ياجوج وماجوج وقد ذكرناه وفي
الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض ماجوج وراء جبل قوفايا
على البحر قليلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه
وشماله والجزء العاشر غمره البحر جميعه هذا آخر الكلام على
الجغرافيا واقليمها السبعة وفي خالق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار آيات للعالمين

المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقليم والسحرف ونائير
الهواء في الوان البشر والكثير من احوالهم

قد بيّنا ان العمور من هذا المنكشف من الارض انما هو
وسطه الى الجانب الشمالي لافراط الحر في الجنوب منه
والبرد في الشمال ولما كان الجانبان من الجنوب والشمال
متضادين في البرد والحر وجب ان تتدرج الكيفية من
كلّيهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع اعدل العبران

والذى حفا فيه من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذى يليهما السادس والثانى بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصناعات والمباني والملابس والاقوات والفواكه والحيوانات وجميع ما يتكوّن فى هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واحوالا فتجدهم على غاية من التوسط فى مساكنهم وملابسهم واخوانهم وصناعاتهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة (١) المنمقة بالصناعة ويتناغون فى استجادة الآلات والمواعين يذهبون فى ذلك الى الغاية ويوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والتصدير ويتصرفون فى معاملاتهم بالتقدين العزيزين ويبعدون عن الانحراف فى عامة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والعراقين والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الافرنجة والجلالقة ومن كان مع هؤلاء او قريبا منهم فى هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثانى والسادس والسابع فاعلمنا ابعد من الاعتدال فى جميع احوالهم فبنائهم بالطين والقصب واوقاتهم من الدرة والعشب

(١) Man. D. المنجدة من الحجارة

وملابسهم من اوراق الشجر يخصفونها عليهم او الجلود واكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وادمها غريبة التكوين مائلة الى الانحراف ومعاملاتهم بغير التقدين الشريفين من نحاس او حديد او جلود يقدرونها للمعاملات واخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن كثير من السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون في الكهوف والغياض وباكلون العشب وانهم متوحشون غير مستنسين وانهم ياكلون بعضهم بعضا وكذلك الصقابة والسبب في ذلك انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجتهم واخلاقهم (1) من عرض الحيوانات العجم ويبعدون عن الانسانية بمقدار ذلك وكذا احوالهم في الديانة ايضا فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل مالى وكوكو والشكرو المجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دانوا بد بالماية السابعة ومثل من دان بالصرانية من امم الصقابة والافرنجة والرك في الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل تلك الاقليم المنحرفة جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم

(1) Man. C. احوالهم.

وجميع احوالهم بعيدة من احوال الاناسى قربة من احوال
 البهايم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود
 اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد الحجاز واليامة وما اليها
 من جزيرة العرب فى الاقليم الاول والثانى فان جزيرة
 العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما
 ذكرناه فكان لرطوبتها اثر فى رطوبة هوائها فنقص ذلك من
 اليبس والانحراف الذى يقتضيه الحر وصار فيها بعض
 اعتدال برطوبة البحر وقد توهم بعض السابيين ممن لا علم
 لديه بطبايع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح
 اختصوا بلون السواد لدعوة كانت من ابيه ظهر اثرها فى لوند
 وفيما جعل الله من الرق فى عقبه ودعاء نوح على ولده حام
 قد وقع فى التورية وليس فيه ذكر السواد وانما دعا عليه بان
 يكون ولده عبيد لولد اخوته لا غير وفى القول بنسبة السواد الى حام
 غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرها فى الهواء وفيما يتكون
 فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول
 والثانى من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان
 الشمس تسامت رؤسهم مرتين فى كل سنة قريبة احدهما
 من الاخرى فتطول المساماة عامة الفصول ويكثر الضوء
 لاجلها وبالج القيط الشديد عليهم فتسود جلودهم لانحراف
 الحر ونظير هذين الاقليميين فيما يقابلها من الشمال الاقليم

السابع والسادس شمل سكانها ايضا البياض من مزاج
هوائهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لا تزال بافقهم في
دايرة مرائى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المساومة
ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشتد البرد عامة
القصول فتبيض الوان اهلها وتنتهى الى الزعورة ويتبع
ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش
الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينها الاقاليم الثلاثة الخامس
والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذى هو مزاج
المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية للنهاية
فى التوسط كما قدمناه فكان لاهلها من الاعتدال فى خلقهم
وخلقهم ما اقتضاه مزاج احويتهم وتبعد من جانبيه الخامس
والثالث وان لم يبلغا نهاية التوسط ليل هذا قليلا الى
الجنوب الحار وهذا قليلا الى الشمال البارد الا انهما لم
ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها
كذلك فى خلقهم وخلقهم فالاول والثانى للحر والسود
والسادس والسابع للبرد والبياض وسمى سكان الجنوب من
الاقاليم الاول والثانى باسم الحبشة والزنج والسودان اسما
مترادفة على الامة المتغيرة بالسود وان كان اسم الحبشة مختصا
منهم بهن نجاء مكة واليمن والزنج بمن تجاء بحر الهند
وليست هذه الاسماء لهم من جهة انتسابهم الى ادمى اسود

لاحام ولا غيره وقد نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل والسابع المنحرف الى البياض فتبيض الوان اعقابهم على التدريب مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب فتسود الوان اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في ارجوزته في الطب

بالرنج حر غير الاحساد حتى كسى جلودها سودا
والصلب (1) اكتست البياضا حتى غدت جلودها بياضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم تكن فيه غرابة تحمل على اعتباره في السمية لموافقته واعتياده ووجدنا سكانه من الترك والصقالبة والطغرغ والخزر واللان والكثير من الافرنجة وباجوج وماجوج اما منفردة واجيالا متعددة مسمين باسماء متنوعة واما اهل الاقاليم المتوسطة من اهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتماد (2) لديهم من المعاش والمساكن والصنایع والعلوم والرياسات والهلك فكانت فيهم النبوات والملل (3) والدول

(1) Man. C. et D. اكتست Man. D. ابيضاضا.

(2) Man. C. et D. للاعتبار.

(3) Man. A. et B. الملك

والشرايع والعلوم والبلدان والامصار والهبانى والغراسة والصنایع
 الفایقة وسایر الاحوال المعتدلة واهل هذه الافالیم الذین وفنا
 على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنی اسرائیل
 والیونانیین واهل السند والصین ولما رای السابون اختلاف
 هذه الامم بسماتها وشعايرها حسبوا ذلك لاجل الانساب
 فجعلوا اهل الجنوب کلهم السودان من ولد حام وارتابوا
 فی الوانهم فتکلفوا نقل تلك الحکایة الواهیة وجعلوا اهل
 الشمال کلهم او اکثرهم من ولد یافث واکثر الامم الهعتدلة
 وهم اهل الوسط (1) المنتحلون للعلوم والصنایع والملل والشرايع
 والسیاسة والملک من ولد سام وهذا الزعم وان صادف
 الحق فی انتساب هؤلاء فلیس ذلك بقیاس مطرد اتما
 هو اخبار عن الواقع لا ان تسمیة اهل الجنوب بالسودان
 والحیشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود وما آذاهم
 الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان التمییز بین الامم اتما یقع
 بالانساب (2) فقط ولیس كذلك فان التمییز للجليل او
 للامة یكون بالنسب فی بعضهم كما للعرب وبنی اسرائیل
 والفرس ویكون بالجهة والسمة كما للزنج والحیشان
 والصقالبة والسودان ویكون بالعوايد والشعاير مع النسب كما
 للعرب ویكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومییزاتهم

(1) Man. A. واسط.

(2) Man. A. et B بالانساب

فتعميم القول فى اهل جهة معينة من جنوب او شمال
بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من لون او نحلة
او سمة وجدت لذلك الالب انما هو من الاغاليط التى
اوقع فيها الغفلة عن طبائع الاكوان والجهات وان هذه
كلها تتبدل فى الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله فى
الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله فى عباده ولن تجد
لسنة الله تبديلا

الهدم الرابعة فى اثر الهواء فى اخلاق البشر

قد رايانا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة
الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين
بالحق فى كل قطر والسبب الصحيح فى ذلك انه تقرر
فى موضعه من الحكمة ان طبيعة الفرح والسرور هى انتشار
الروح الحيوانى وتفتيشه وطبيعة الحزن بالعكس وهى انقباض
وتكاثفه وتقرر ان الحرارة مفتشية للهواء والبخار مخالطة له
زايدة فى كميته ولهذا يجد المنتشى من الفرح والسرور
ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح فى القلب
من الحرارة الغريزية من التى تبعثها سورة الخمر فى الروح
من مزاجه فيفتشى الروح وتجيئ طبيعة الفرح وكذلك نجد
اليتنعين بالحمامات اذا تنفسوا فى هوائها واتصلت حرارة

الهواء بارواحمهم فتستحنت لذلك حدث لهم فرح ورتما
انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان
ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحرّ على امزجتهم وفي
اصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة
ابدانهم واقليمهم فنكون ارواحهم بالقياس الى ارواح اهل
الاقليم الرابع اشدّ حرارة (1) فتكون اكثر تفشيا فتكون
اسرع فرحا وسرورا واكثر انبساطا ويجئ الطيش على اثر هذه
وكذلك يلحق بهم قليلا اهل البلاد البحرية (2) لما كان
هواءها منضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من اضواء بسيط
البحر واشتته كانت حصتهم من توابع الحرارة في الفرح
والخفة موجودة اكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد
نجد يسيرا من ذلك في اهل البلاد الجريدية من الاقليم
الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريقة في
الجنوب من الارياق والتلول واعتبر ذلك باهل مصر
فانها في مثل عرض البلاد الجريدية وقربا منها كيف
غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم
لا يذخرون اقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ماكلهم من
اسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في
التوغل في التلول الباردة كيف ترى اهلها مطرقين اطراق

(1) Man. C. et D. حرّا.

(2) Man. A. et B. المنحرفة

الحزن وكيف افرتوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم
ليذخر اقوات سنين من حبوب الحنطة وبباكر الاسواق لشراء
قوته ليومه مخافة ان يرزأ شياء من مدخره وتتبع ذلك
في الاقاليم والبلدان تجد في الاخلاق اثرا من كيفيات
الهواء والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودي للبحث عن
السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول
تعليله فلم يأت فيه بشيء اكثر من انه نقل عن جالينوس
وبعقوب بن اسحق الكندي ان ذلك لصنع ادمغتهم
وما نشاء عنه من ضعف عقولهم وهذا الكلام لا محصل له
ولا برهان فيه والله يهدي من يشاء

المقدمة الخامسة في اختلاف احوال العمران في الخصب
والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر
واخلاقهم

اعلم ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد له الخصب
ولا كل سكانها (1) في رغد من العيش بل فيها ما يوجد
لاهله خصب العيش من الحبوب والادم والحنطة والفواكه
لرءاء المنابت واعتدال الطينة ووفور العمران وفيها الارض

(1) Man. A. et B. ساكنها.

الحرّة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شطف من العيش مثل اهل الحجاز واليمن ومثل المثلثين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان هؤلاء يفقدون الحبوب والادم حيلة وانما اغذيتهم واقواتهم الالبان واللحم ومثل العرب الجائلين في القفار فانهم وان كانوا ياخذون الحبوب والادم من التلول الا ان ذلك في الاحياء وتحت رقبة من حاميتها وعلى الاقلال لقلة وجدهم فلا يتوصلون منه الا الى سدّ الخلة ودونها فضلا عن الرغد والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان وتعوضهم عن الحنطة احسن معاض ونجد مع ذلك هؤلاء الفاقيدين للحبوب والادم من اهل القفار احسن حالا في جسامهم واخلاقهم من اهل التلول المنغمسين في العيش فالوانهم اصفى وابدانهم انقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعد من الانحراف واذهانهم انقب في المعارف والادراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين المثلثين واهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله اعلم ان كثرة الاغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديّة ينشأ عنها بعد اقطاره في غير نسبة وكثرة الاخلاط الفاسدة العفنة

ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي الرطوبات على الادهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من ابخترتها الرذيلة فتجئ البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والهمى والنعام والزرافة والحمر الوحشية والبقر مع امثالها من حيوان التلول والارياض والمراعى الخصبة كيف تجد بينها بونا بعيدا في صفاء اديمها وحسن رونقها واشكالها وتناسب اعضائها وحدة مداركها فالغزال اخو المعز والزرافة اخو البعير والحمار والبقر هو الحمار والبقر والبون بينهما ما رايت وما ذلك الا لاجل ان الخصب في التلول فعل في ابدان هذه من الفضلات الرذيلة والاخلط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها واشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الادميين ايضا فاننا نجد اهل الاقاليم المخصصة العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا بالبلادة في اذهانهم والخشونة في اجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والحنطة مع المنقشفين في عيشهم المقصرين على الشعير او الذرة مثل المصامدة منهم واهل السوس وغمارة فتجد هؤلاء احسن حالا في عقولهم وجسومهم وكذلك اهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسين في

الادم والبر مع الاندلس المفقود بارضهم السمن جملة وغالب
عيشهم الذرة فتجد لاهل الاندلس من ذكاء العقل وخفة
الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لهم وكذا اهل الضواحي
من المغرب بالجملة مع اهل الحضرة والامصار فان اهل
الامصار وان كانوا اكثر من مثلهم من ادم ومخصبين في
العيش الا ان استعمالهم اياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف (1)
بما يخلطون معها فيذهب لذلك غاظها ويرق قوامها وعامة
ماكلهم لحمان الضائن والدجاج ولا يغبطون السمن من بين
الادم لتفادته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويحق
ما توديه لاجسامهم من الفضلات الرديئة فلذلك تجد جسام
اهل الامصار الطف من جسام اهل البادية المخشنيين في
العيش وكذلك نجد المتعودين للجوع من اهل البادية
فانهم لا فضلات في جسامهم غليظة ولا لطيفة واعلم ان
ان هذا الخصب ليظهر حتى في حال الدين والعبادة
فتجد المتقشفين من اهل البادية والحاضرة من يأخذ نفسه
بالجوع والتجافى عن الملاذ احسن دينا واقبالا على العبادة
من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين قليلين في
المدن والامصار لها بعمها من القساوة والغفلة المتصلة
بالاكثار من اللحمان والادم ولياب البر ويختص وجود

(1) Man. C. الناطق.

العباد والزهاد لذلك بالمتشقين في غذائهم من اهل
 البوادي وكذلك نجد حال المدينة الواحدة في ذلك
 يختلف باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك
 نجد هؤلاء المخصبين العيش المنغشين في طيبانه لا من
 اهل البادية ولا من اهل الحاضرة ولا مصار اذا نزلت بهم
 السنون واخذتهم المجاعات يسرع اليهم الهلاك اكثر من
 غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما
 يبلغنا لا مثل العرب اهل القفر والصحراء ولا مثل اهل بلاد
 النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افريقية لهذا
 العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس
 الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان اخذتهم
 السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من اولئك
 ولا بكسر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا يندر والسبب في
 ذلك والله اعلم ان المنغشين في الخصب المتعودين
 للادم والسمن خصوصا تكتسب معاهم رطوبة فوق رطوبتها
 الاصلية المزاجية حتى تجاوز حدّها فاذا خولف بها العادة
 بقلّة الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف
 من الغذاء اسرع الى المعاء اليابس والانكماش وهو عضو
 ضعيف في الغاية ولهذا عدّ في المقاتل فيسرع اليه المرض
 ويهلك صاحبه بسرعة فالحالكون في المجاعات انما قتلهم

الشيء المعتاد السابق لا الجوع اللاحق وأما المعتدون للعيمة ونرثك الادم والسمن فلا تزال رطوبتهم لاصلية واقفة عند حدّها من غير زيادة وهى صالحة على جميع الاغذية الطبيعية فلا يقع فى معاهم تبدّل الاغذية يبس ولا انحراف فيسلهون فى الغالب من الهلاك الذى يعرض لغيرهم بالخصب وكثرة الادم فى المأكّل واصل هذا كنه ان نعلم ان الاغذية وابلافاها او نركبها انما هو بالعادة فمن عوّد نفسه غذاء ولايه تناوله كان له مألّوفا وصار الخروج عند والتبدّل به داء ما لم يخرج عن عرض الغذاء بالجملة كالسهم واليتوع وما افراط فى الانحراف فاما ما وجد فيه التغذّى والهلاية فيصير غذاء مألّوفا بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضا عن الحنطة والحبوب حتى صار له ديدنا فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن الحنطة والحبوب من غير شك وكذا من عوّد نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فانّا نسبع عنهم فى ذلك اخبارا غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها والسبب فى ذلك العادة فان النفس اذا الفت شيئا صار من خلقها وجبلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلّون فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة وطبيعة لها وما يتوهمه الأطباء من ان الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه

الا اذا حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكافية
 فحينئذ ينحسم (1) المعاء ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك
 واما اذا كان ذلك تدريجا ورياضة باقلال الغذاء شيئا فشيئا
 كما يفعل المتصوفة فهو بمنزل عن الهلاك وهذا التدريب
 ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة فانه اذا رجع الى
 الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع به كما
 بدئ في الرياضة بالتدريب ولقد شاهدنا من يصبر على
 الجوع اربعين يوما وصلا واكثر وحضر اشياخنا في دولة
 السلطان ابي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل
 الجزيرة الخضراء ورندة حسبتا انفسهما عن الاكل جملة
 من سنين (2) وشاع امرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما
 واتصل على ذلك حالهما الى ان مانتا وراينا كثيرا من
 اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من المعز يلتقم
 ثديها في بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غذاؤه
 واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير
 ولا نستكرن ذلك واعلم ان الجوع اصالح للبدن من اكثار
 الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه او على الاقلال منها وان لد
 انرا في الاجسام والعقول في صفايها (3) وصلاحها كما قلنا واعتبر
 ذلك بانار الاغذية التي تحصل عنها في الجسم فقد

صفاها (3) Man. A et B سنين (2) Man. A et B ينحسم (1) Man. C. et D.

راينا المغتدين بالحموم الحيوانات الفاحرة العظيمة الجسمان
نشأ اجيالهم كذلك وهذا مشاهد في اهل البادية مع اهل
الحاضرة وكذا المغتدون بالبان الابل ولحمومها ايضا مع ما
يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتفال والقدرة على حمل
الانقال كما هو للابل وتنشأ معاهم ايضا على نسبة معا الابل
في الصحة والغلط فلا يطرقها الوهن ولا الضعف ولا ينالها
من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون اليتوعات
لاستطلاق بطونهم غير محبوبة كالحنظل قبل نضجه والدرياس
والفريبون ولا ينال معاهم منها ضرر وهي لو تناولها اهل
الحضر الرقيقة معاهم بما نشأت عليه من لطيف (1) الاغذية
لكان الهلاك اسرع اليهم من طرفة العين لما فيها من السميّة
ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده
اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالحبوب الطبوخة في
بر الابل واتخذ بيضها ثم حصنت عليه جاء الدجاج منها
اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب
بطرح ذلك البعر (2) مع البيض المحض فتجىء
دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثيرة فاذا راينا هذه
الآثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان للجموع ايضا آثار
في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه

(1) Man. A. et B. لطف.

(2) Man. A. et B. البعض.

فيكون تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة
والرطوبات المختلطة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في
وجود ذلك الجسم والله محيط بعلمه

المقدمة السادسة في اصناف المدركين للغيب من البشر
بالفطرة او بالرياضة ويتقدمه الكلام في الوحي والرواية

اعلم ان الله سبحانه اعطى من البشر اشخاصا فضلاهم
خطابه وطرهم على معرفته وجعلهم وسایل بينه وبين عباده
بعرفتهم بمصالحهم ويحرصون على هدايتهم وباخذون بحجزانهم
عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلقيه اليهم من
المعارف وبظاهرة على نسبتهم من الخوارق الاخبار بوقوع
الكايات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا
من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى
الله عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان
حبرهم في ذلك من خاصته وضرورة الصدق لما بتبين
لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر
ان يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضر بن مع
غطيط كأنها غشي او اغماء في رأى العين وليست منهما في
شئ انما هي بالحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني
بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلفة ثم

ينزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوى من الكلام
فيتفهمه او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من
عند الله ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما القى
عليه قال صلى الله عليه وسلم قد سئل عن الوحي احيانا
بانينى مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فيفصم عني وقد
وعيت ما قال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى
ما بقول ويدركه اثناء ذلك من الشدة والعظما لا يعبر عنه
ففى الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة وقالت
عائشة كان ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم
عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقال تعالى انا سنلقى عليك
قولا ثقيلا ولاجل هذه الحالة فى تنزل الوحي كان المشركون
يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له رأى او تابع من الجن
وانما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال ومن
يضلل الله فيها له من هاد ومن علامانهم ايضا انه يوجد لهم
قبل الوحي خلق الخير والذكاء ومجانبة الهذومات والرجس
اجمع وهذا هو معنى العصمة وكأنه مفطور على التنزه عن
الهذومات والمنافرة لها وكأنها منافية لجبلته وفى الصحيح
انه حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها
فى ازاره فانكشف فسقط مغشيا عليه حتى استتر بازاره
ودعى الى مجمع لوليمة وفيها عرس ولعب فاصابه غشى النوم

الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيئاً من شأنهم بل نزهه الله تعالى عن ذلك بجلبته حتى انه ليتنزه عن المطعومات المستكرهة فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل ولا الثوم ف قيل له فى ذلك فقال اتى اناجى من لا تناجون وانظر لما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم خديجة بحال الوحى اول ما فجيئه وارادت اختباره فقالت له اجعلنى بينك وبين نوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب النساء وكذا سألته عن احب الثياب اليه ان ياتيه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك بمعنى ان الخضرة والبياض من الوان الخير والملائكة والسواد من الوان الشر والشياطين وامثال ذلك (ومن) علاماتهم ايضا دعائهم الى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك ابو بكر ولم يحتاجا فى امره الى دليل خارج عن حاله وخلقه وفى الصحيح ان هرقل حين جاءه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم بدعوه الى الاسلام احضر من وجد ببلده من قريش وفيهم ابو سفيان ليسألهم عن حاله فكان فيما سأل ان قال يَم يامرکم فقال ابو سفيان بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف الى آخر ما سأل واجابه فقال ان يكن ما

يقول حقاً انه نبيّ وسيملك ما تحت قدميّ هاتين
والعنان الذي اشار اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ
من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلاً على صحة النبوة
ولم يحتاج الى معجزة فدلّ على ان ذلك من علامات
النبوة (ومن) علاماتهم ايضاً ان يكونوا ذوي حسب في قومهم
وفي الصحيح ما بعث الله نبياً الا في منعة من قومه وفي
رواية اخرى في ثروة من قومه استدركه الحاكم على الصحيحين
وفي مسألة هرقل لابي سفيان كما هو في الصحيح قال
كيف هو فيكم فقال ابو سفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل
والرسل تبعث في احساب قومهم ومعناه ان تكون له
عصبية (1) وشوكة تمنع من اذى الكفار حتى يبلغ رسالات
ربه ويتم مراد الله من اكمال دينه وملته (ومن) علاماتهم ايضاً
وقوع الخوارق لهم شهادة بصدقهم وهي افعال تعجز البشر
عن مثلها فسميت معجزة وليست من جنس متدور العباد
وانما تقع في غير محل قدرهم وللناس في كيفية وقوعها
ودالاتها على تصديق الانبياء خلاف فالمشككون بناء على
القول بالفاعل المختار قابلون بانها واقعة بقدرة الله تعالى
لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عند المعتزلة صادرة عنهم
الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها

عند الجميع ألا التحدى بها باذن الله تعالى وهو ان يستدل
بها النبي قبل وقوعها على صدفه في مدعاه فنزل منزلة
القول الصريح من الله بأنه صادق وتكون دلالتها على
الصدق قطعية فالمعجزة الدالة مجموع الخارق والتحدي
ولذلك كان التحدي جزءا منها وعبرة المتكلمين صفة
نفسها وهو واحد لانه معنى الذاتى عندهم والتحدي هو
الفارق بينها وبين الكرامة والسحر اذ لا حاجة فيهما الى
التصديق فلا وجود للتحدي الا وجد اتفاقا وان وقع التحدي
في الكرامة عند من يميزها وكانت لها دلالة فانما هي على
الولاية وهي غير النبوة ومن هنا منع الاستاذ ابو اسحق وعيره
وفوع الخوارق كرامة فزارا من الانبياس بالنبوة عند التحدي
بالولاية وقد اربناك المغايرة بينهما وأنه يتحدى لغير ما
يتحدى به النبي فلا ليس على ان النفل عن الاستاذ ليس
صريحا وربما حمل على انكار ان يقع خوارق الانبياء لهم
بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقهما اما المعتزلة
فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من
افعال العباد وافعالهم معادة فلا خارق واما وقوعها على يد
الكاذب تلبيسا فهو محال اما عند الاشعرية فلا صفة
نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك
انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة واقول والتصديق كذبا

واستحالت الحقائق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوع المحال لا يكون ممكنا وأما عند المعتزلة فلا وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة قبيح فلا يقع من الله وأما الحكماء فالخارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم في الإيجاب الذاتي ووقوع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الشروط والأسباب الحادثة مستندة أخيرا إلى الواجب بالذات الفاعل بالذات لا بالاختيار وإن النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين والنبي عندهم مجبول على التصريف في الأكوان متى توجه إليها واستجمع لها بها جعل الله له من ذلك والخارق عندهم يقع للنبي كان التحدي أو لم يكن وهو شاهد بصدقه من حيث دلالة على تصرف النبي في الأكوان الذي هو من خواص النفس النبوية عندهم لا بأنه يتنزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلالتها قطعية كما هي عند المتكلمين ولا يكون التحدي جزءا من المعجزة ولم يصح فارقا لها عن السحر والكرامة وفارقها عن السحر إن النبي مجبول على أفعال الخير مصروف عن أفعال الشر فلا يتم الشر بخوارقه والساحر على الضد فافعاله كلها شر وفي مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة إن خوارق النبي مخصوصة

كصعود السماء والنفوذ في الاجسام الكثيفة واحياء الموتى وتكليم
الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الولي دون ذلك كتكثير
القليل والحديث عن بعض المستقبل وامثاله مما هو قاصر
عن تصريف الانبياء ويأتي النبي بمثل خوارقه ولا يقدر هو
على مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبوه
في طريقهم ونقلوه عن مواجدهم (1) واذا تقرر ذلك فاعلم
ان اعظم المعجزات واشرفها واوضحها دلالة القرآن الكريم
المنزل على نبينا صلوات الله وسلامه عليه لان الخوارق في
الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وتأتي المعجزة
شاهدة به وهذا ظاهر والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى (2) وهو
الخارق المعجز ودلالته في عينه ولا يفتقر الى دليل اجنبي
عنه كساير الخوارق مع الوحي فهو اوضح دلالة لا تكاد
الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الانبياء الا واوتي من الآيات ما مثله امن
عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الي فانا
ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة يشير الى ان المعجزة
متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها
نفس الوحي كان المصدق لها اكثر لوضوحها فكثر المصدق
والمؤمن وهم التابع والامة والله سبحانه اعلم وبذلك هذا

(1) لقوة عن اخبرهم (1) Mau. D.

(2) المدعى (2) Mau. D.

كله على ان القرآن من بين الكتب الالهية انما تلقاه نبيا صلوات الله وسلامه عليه مثلوا كما هو بكلمانه وتراكيبه بخلاف التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية فان الانبياء يتلقونها في حال الوحي معاني ويعبرون عنها بعد رجوعهم الى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد لهم ولذلك لم يكن فيها اعجاز فاخص الاعجاز بالقرآن ونلقيهم لكتبهم مثلها يتلقى نبيا المعاني التي يسندها الى الله تعالى كما يقع في كثير من رواية الاحاديث قال صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه ويشهد لملقيه القرآن مثلوا قوله لاسحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه وسبب نزولها ما كان يقع له من بداهة الى ندادس الآية خشية من النسيان وحرصا الى حفظ ذلك المتلو المنزل فنكثل الله له بحفظه بقوله انا نحن نزلنا الذكر واتنا له لحافظون هذا هو معنى الحفظ الذي اختص به القرآن لا ما ذهب اليه العامة فانه يعزل عن المراد وكثير من الآي يشهد لك بانه نزل قرآنا مثلوا معجزا بسورة منه ولم يقع لنبينا صلوات الله عليه من المعجزات اعظم منه ومن ايلاف العرب على دعوتهم لو انفتحت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله اف بينهم فاعلم هذا وتذكره تجده صحيحا كما قررت لك وتامل ما يشهد لك به من ارتفاع

رَبِّهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَعَلَوْ مَقَامَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَلِنَذَكُرَ الْآنَ تَفْسِيرَ حَقِيقَةِ النَّبُوَّةِ عَلَى مَا شَرَحَهُ كَثِيرٌ مِنَ
 الْمُحَقِّقِينَ ثُمَّ نَذَكُرُ حَقِيقَةَ الْكُهَانَةِ ثُمَّ الرُّوبَا ثُمَّ شَأْنَ الْعَرَّافِينَ وَغَيْرِ
 ذَلِكَ مِنَ مَدَارِكِ الْغَيْبِ فَنَقُولُ أَعْلَمُ أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَآيَاتُ أَنَا
 نَشَاهِدُ هَذَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا عَلَى هَيْئَةٍ مِنَ
 التَّرْتِيبِ وَالْأَحْكَامِ وَرَبْطِ الْأَسْبَابِ بِالْمُسْتَبَاتِ وَاتِّصَالِ الْأَكْوَانِ
 بِالْأَكْوَانِ وَاسْتِحَالَةِ بَعْضِ الْمَوْجُودَاتِ إِلَى بَعْضٍ لَا نَنْقُصُ
 عَجَابِهِ فِي ذَلِكَ وَلَا تَنْتَهِي غَايَانَهُ وَابْدَأْ مِنْ ذَلِكَ
 بِالْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ الْجِسْمَانِيِّ وَأَوَّلًا عَالَمِ الْعُنَاصِرِ الْمَشَاهِدِ كَيْفَ
 يَدْرَجُ صَاعِدًا مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْمَاءِ ثُمَّ إِلَى الْهَوَاءِ ثُمَّ إِلَى النَّارِ
 مُتَّصِلًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَكُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهَا مُسْتَعِدٌّ أَنْ يَسْتَحِيلَ
 إِلَى مَا يَلِيهِ صَاعِدًا وَهَابِطًا وَيَسْتَحِيلُ بَعْضُ الْأَوْقَاتِ وَالصَّاعِدِ
 مِنْهَا الْطُفْ مَا قَبْلَهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى عَالَمِ الْأَفْلَاقِ وَهِيَ
 الْطُفْ مِنَ الْكُلِّ وَدَلَى طَبَقَاتٍ أَتَّصَلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى
 هَيْئَةٍ لَا يَدْرِكُ الْحَسَنُ مِنْهَا إِلَّا الْحَرَكَاتَ فَقَطْ وَبِهَا يَهْتَدِي
 بَعْضُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَقَادِيرِهَا وَأَوْضَاعِهَا وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ
 وَجُودِ الذَّوَاتِ الَّتِي لَهَا هَذِهِ الْأَنَارُ فِيهَا ثُمَّ انْظُرْ إِلَى عَالَمِ
 التَّكْوِينِ كَيْفَ ابْتَدَأَ مِنَ الْمَعَادِنِ ثُمَّ النَّبَاتِ ثُمَّ الْحَيَوَانِ عَلَى
 هَيْئَةٍ بَدِيعَةٍ مِنَ التَّدْرِجِ آخِرُ أَفْئِقِ الْمَعَادِنِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْئِقِ
 النَّبَاتِ مِثْلَ الْحَشَائِشِ وَمَا لَا يَزُرُّهُ وَآخِرُ أَفْئِقِ النَّبَاتِ مِثْلُ

النخل والكرم متصل بآول افق الحيوان كالحلزون والصدف لم توجد لهما الا قوة اللبس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افق منها مستعد بالاستعداد القريب لان بصير اول افق من الذى بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه انتهى فى تدريج (١) التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية يرتفع اليه من عالم القرودة الذى استجمع فيه الكيس والادراك ولم ينه الى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك فى اول افق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم انا نجد فى العوالم على اختلافها انازا متنوعة ففى عالم الحس اناز من حركة الافلاك والعناصر وفى عالم التكوين اناز من حركات النمو والادراك تشهد كلها بان لها مؤثرا مباينا للاجسام فهو روحانى ومتصل بالمكونات لوجود اتصال هذه العوالم فى وجودها وذلك هو النفس المدركة المحركة ولا بد فوقها من موجود اخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها ايضا ونكون ذواند ادراكا صرفا وتعللا محضا وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون النفس استعدادا للانسلخ من البشرية الى الملكية لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقما من الاوقات وفى لحظة من اللحظات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما نذكره بعد ويكون

(١) Man. A. et B. تدريج.

لها اتصال بالافق الذى بعدها شأن الموجودات المرتبة كما قدّمناه فلها فى الاتّصال جهتا العلوّ والسفل هى متّصلة بالبدن من اسفل (1) منها ومكتسبة به المدارك الحسيّة التى نستعدّ بها للحصول على التعقل بالفعل ومتّصلة من جهة الاعلا منها بافق الملائكة ومكتسبة منه المدارك العلميّة والغيبية فان علم الحوادث موجود فى ذواتهم من غير زمان وهذا على ما قدّمناه من الترتيب المحكم فى الوجود باتّصال ذواته وقوة بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية غايبة عن العيان واثارها ظاهرة فى البدن وكأنه وجميع اجزائه مجتمعّة ومتفرقة آلات للنفس ولقواها اما الفاعلة فالبطش باليد والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعا واما المدركة وان كانت قوى الادراك مترتبة ومرتقية الى القوة العليا منها وهى المفكرة التى يعبرون عنها بالناطقة فتوى الحس الطاهر بالاند من البصر والسمع وسائرهما ترتقى الى الباطن واولد الحس المشترك وهو قوة يدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة ولموسة وغيرها فى حالة واحدة وبذلك فارقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدهم عليها فى الوقت الواحد ثم يوديّه الحس المشترك الى الخيال وهو قوة تمثل الشئ المحسوس

(1) Man. C. بالذى اسفل.

فى النفس كما هو مجرداً عن الهواد الخارجة فقط وآلة هاتين
القوتين فى تصرفهما البطن الاول من الدماغ مقدّمة للاولى
ومؤخّرة للثانية ثم يرتقى الخيال الى الوهيمية والحافظة
فالوهيمية لادراك المعانى المتعلقة بالشخصيات كعداوة زيد
وصداقة عمرو ورحمة الاب وافتراس الذئب والحافظة لابداء
الهدركات كلها مستخيلة وغير مستخيلة وحى لها كالخزانة تحفظها
الى وقت الحاجة اليها وآلة هاتين القوتين فى تصرفهما
البطن المؤخر من الدماغ اولد للآخرى ومؤخّرة للآخرى ثم
يرتقى جميعها الى قوة الفكر والتدبّر البطن الاوسط من الدماغ
وهو القوة التى تنفع بها حركة الروية (1) والموحّد نحو التعقل
تستحركت النفس بها دايماً بها ركب فيها من النزوع الى
ذلك لتخلص من درك القوة والاستعداد الذى للشربة
ويخرج الى الفعل فى تعقلها متمسّكاً بالملاذلى الروحانيّ
وبصير فى اول مراتب الروحانيات فى ادراكها بغير الآلات
الجسمانية فهى متحركة دائماً ومتوجهة نحو ذلك وقد
نساخت بالكلية من البشرية وروحانيّتها الى الملكية من الافق
الاعلى من غير اكتساب بل لما جعل الله فيها من الجبلة
والفطرة الاولى فى ذلك والنفوس البشرية فى ذلك على
ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع من الوصول الى الادراك

(1) Man D. الروية

الروحاني فيقع بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من المحافظة الوهمية على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية (1) والتصديقية (2) التي للفكر في البدن وكلها خيالي منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهي الى الازليات ولا يتجاوزها وان فسدت فسد ما بعدها وهذا هو في الغلب نطاق الادراك البشري الجسماني واليد تنتهي مدارك العلماء وفيد ترسخ اقدامهم ونفس متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو التعلل الروحاني والادراك الذي لا يفقر الى آلات البدن بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الازليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنة وهي وجدان كلها لانطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه مدارك الاولياء اهل العلوم الدنيوية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ وعند منغسطر على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانيها وروحانيها الى الملكة من الافق الاعلى ليصير في لحظة من اللحظات ملكا بالتعلل ويحصل له شهود الملاء الاعلى في افقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة ومولاهم

(1) Man B. التصورية

(2) Man D. الصريفة

الانبياء صلوات الله عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم عليها وجبلة صورهم فيها ونزجهم عن موانع البدن وعواقبه ما داموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرايزهم من العصمة والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكتنف (1) بتلك الوجهة وتشيع نحوها فهم ينوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤا بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فاذا توجهوا وانساحوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك الملاء الا على ما يتلقوه عاجوا به على المدارك البشرية منتزلا في قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة بسماع دوى كانه رمز من الكلام ياخذ منه المعنى الذى القى اليه فلا ينقضى الدوى الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتنقل له الملك الذى بلقى اليه رجلا فيكلمه وبعى ما يقوله والتلقى من الملك والرجوع على المدارك البشرية وفهمه ما القى عليه كله كانه فى لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس فى زمان بل كلها تقع جميعها فتظهر كأنها سريعة ولذلك سميت وحيا لان الوحي فى اللغة الاسراع (واعلم) ان الاولى وهى حالة الدوى هى رتبة الانبياء غير المرسلين على ما

(1) Man. A. et D. تكشف.

حَقَّقُوهُ والثَّانِيَّةُ وَهِيَ حَالَةٌ تَمَثَّلُ الْمَلِكُ رَجُلًا يَخَاطَبُ هِيَ رِثْسَةُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَكْمَلُ مِنَ الْأَوَّلَى وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِي فَسَّرَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا سَأَلَ الْحَرِثُ بْنُ هِشَامٍ وَقَالَ كَيْفَ يَا نَبِيَّكَ السُّوْحَى فَقَالَ أَيْحَانًا يَاتِينِي مِثْلَ صَلَاصَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَى فَيْصَمٍ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَيْحَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْهَلَكُ رَجُلًا فَيَكْطِهْنِي فَأَعَى مَا يَقُولُ وَإِنَّمَا كَانَتْ الْأَوَّلَى أَشَدَّ لَاتِمَا مَبْدَأُ الْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ فَيَعْسِرُ بَعْضُ الْعُسْرِ وَلِذَلِكَ لَمَّا عَاجَ فِيهَا عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ اخْتَصَّتْ بِالسَّيْعِ وَصَعِبَ مَا سِوَاهُ وَعِنْدَ مَا يَتَكَرَّرُ الْوَحْيُ وَيَكْثُرُ التَّلَقُّيُ يَسْهَلُ ذَلِكَ الْإِتِّصَالُ فَعِنْدَ مَا يَعُوجُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ بَانَى عَلَى جَمِيعِهَا وَخُصُوصًا الْأَوْضَحَ مِنْهَا وَهُوَ ادْرَاكُ الْبَصَرِ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْوَحْيِ فِي الْأَوَّلِ بِصِيعَةٍ الْمَاضِي وَفِي الثَّانِيَةِ بِصِيعَةِ الْمَضَارِعِ لَطِيفَةٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَهِيَ أَنَّ الْكَلَامَ جَاءَ مَجْبِيُّ التَّمَثِيلِ لِحَالَتِي الْوَحْيِ فَتَمَثَّلَتْ الْحَالَةُ الْأَوَّلَى بِالْأَوَّلَى الَّذِي هُوَ فِي الْمَتَعَارُفِ غَيْرُ كَلَامٍ وَخَبَرَ أَنَّ الْفَهْمَ وَالْوَعَى يَتَّبَعُهُ غَيْبُ انْقِضَائِهِ فَنَاسَبَ عِنْدَ تَصْوِيرِ انْقِضَائِهِ وَانْفِصَالِهِ الْعِبَارَةَ عَنِ الْوَعَى بِالْمَاضِي الْهَاطِقِ لِلانْقِضَاءِ وَالانْقِطَاعِ وَمِثْلُ الْهَلَكِ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ بِرَجُلٍ يَخَاطَبُ وَيَتَكَلَّمُ وَالْكَلَامُ يَسَاوِقُهُ الْوَعَى فَنَاسَبَ الْعِبَارَةَ بِالْمَضَارِعِ

المقتضى للتجدد واعلم ان فى حالة الوحى كلها على
الجملة صعوبة وشدة فد اشار اليها القرآن قال تعالى انا
سنلقى عليك قولا ثقيلا وقالت عايشة كان مما يعانى من
النزول شدة وقالت كان ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد
البرد فينضم عند وان جبينه ليتصد عرفا ولذلك ما كان
يحدث عند فى تلك الحالة من الغيبة والغيط ما هو
معروف وسبب ذلك ان الوحى كما فرناه مفارقة البشرية
الى المدارك الملكية وتلقى كلام النفس فتحدث عند شدة
من مفارقة الذات ذاتها واسلاخها عنها من افقها الى
ذلك الافق الآخر وهذا هو معنى الغط الذى عبر به فى
مبدء الوحى فى قوله فغطى حتى بلغ متى الجهد ثم
ارسلنى فقال اقرأ فلت ما انا بنارى وكذا ثانية وثالثة كما
فى الحديث وقد يفضى الاعتقاد فيد بالندرج شيئا فشيئا الى
بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان نزول
نجوم القرآن وسورة وآياته حين كان بكّة اقصر منها وهو
بالمدينة وانظر الى ما نقل فى نزول سورة براءة
فى غزوة تبوك وانها انزلت او اكشها عليه وهو يسير على
ناقته بعد ان كان بكّة ينزل عليه بعض السورة من قصار
المفصل فى وقت ونزل الباقي فى حين اخر وكذلك
كان من آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهى ما هى فى

الطول بعد ان كانت الآيات تنزل بمكة مثل آيات سورة الرحمن والذاريات والمدثر والضحي والعلق وامثالها واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المكي والهندي من السور والآيات والله المرشد للصواب هذا محصل امر النبوة (واما الكهانة) فهي ايضا من خواص النفس الانسانية وذلك انه قد تقدم لنا في جميع ما مر ان للنفس الانسانية استعدادا للانسلخ عن البشرية الى الروحانية التي فوقها وانه يحصل من ذلك لمحة للبشر في صنف الانبياء عليهم السلام بما فطروا عليه من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة شيء من المدارك ولا من التصورات ولا من الانفعال البدنية كلاما او حركة ولا باس من الامور انما هو انسلخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان ذلك وكان الاستعداد موجودا في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلي ان هنا صنفا اخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد للاستعانة فيد وشتان ما بينهما فاذا اعطى تقسيم الوجود ان هنا صنفا اخر من البشر مفطور على ان يتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجملة فيكون بها بالجملة عند ما يعرفها العجز عن ذلك

تشبث بامور جزئية محسوسة او متخيلة كلاجسام الشفافة وعظام الحيوان وسجع الكلام وما يسبح من طير او حيوان يسندهم ذلك الاحساس او التخيل مستعينا به فى ذلك الانسلاخ الذى يقصده ويكون كالمشيّع له وهذه القوة التى فيهم مبداء لذلك الادراك هى الكهانة ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والفصور عن الكمال كان ادراكها فى الجزئيات اكثر من الكميات وتكون متشبهة بها غافلة عن الكميات ولذلك ما تكون المتخيلة فيهم فى غاية القوة لانها آلة الجزئيات فتتخذ فيها نفوذا تاما فى نوم او يقظة وتكون عندها حاضرة عديدة تحضرها المتخيلة وتكون لها كالمراة تنظر فيها دائما ولا يقوى الكاهن على الكمال فى ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشياطين وارفيع احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذى فيه السجع والموازنة ليشغل به عن الحواس ويقوى بعض الشئ على ذلك الاتصال الناقص فيهمس فى قلبه عن تلك الحركة والذى يشيعها من ذلك الاجنبى ما ينفذه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتم نقصه بامر اجنبى عن ذاته الهدركة ومباين لها غير ملايم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ويكون غير موثوق به وربما يفرغ الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه

وتتموئها على السائلين واصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان لانهم ارفع ساير اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم فى مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقال لابن صياد حين سأل كاشفا عن حاله بالاختبار كيف يانيك هذا الامر فقال يانينى صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعنى ان النبوة خاصيتها الصدق فلا يعربها الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبى بالملاء الاعلى من غير مشيخ ولا استعانة باجنبى والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية فكانت داخلة فى ادراكه والتسبب بالادراكات التى توجه اليه فصار مختلطا بها وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع ان يكون نبوة وانما قلنا ان ارفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معين السجع اخف من ساير المعينات من المرئيات والمسموعات وبديل خفة المعين على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشئ (وقد) زعم بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدى البعثة وان ذلك كان لمنعمهم من خبر السما كما وقع فى القران والكهان انما يتعرفون اخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من

ذلك دليل لأنّ علوم الكهّان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم كما قررناه وايضا فالآية أنّما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السّاء وهو ما يتعلّق بخبر البعثة ولم يمنعوا ممّا سوى ذلك وايضا فانّما كان ذلك لانقطاع بين بدى النبوة فقط ولعلّها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لأنّ هذه المدارك كلها تخمد فى زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرّج عند وجود الشمس لأنّ النبوة هى النور الأعظم الذى يخفى معه كل نور او يذهب (وقد) زعم بعض الحكماء أنّها أنّما توجد بين يدى النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لأنّ وجود النبوة لا بدّ له من وضع فلكيّ يقتضيه وفى تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التى دلّ عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضى وجود طبيعة من ذلك النوع الذى يقتضيه بافصده وهو معنى الكاهن على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضى وجود الكاهن اما واحدا اما متعدّدا فاذا تمّ ذلك الوضع تمّ وجود النبىء بكماله وانتضت الاوضاع الدالّة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شئ بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلكيّ يقتضى بعض اثره وهو غير مسلم فاعلّ الوضع أنّما يقتضى ذلك لآثر بهيئة الخاصّة ولو نقص بعض اجزائها

فلا يقتضى شيئاً إلا أنه يقتضى ذلك الأثر ناقصاً كما قالوه ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فأنهم عارفون بصدق النبىء ودلالة معجزته لأن لهم بعض الوجدان من امر النبوة كما لكل انسان من امر النوم ومعقولية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشدّ ممّا للنائم ولا يصدّهم عن ذلك فى التكذيب إلا وسواس الطامع بأنّها نبوة لهم فيقعون فى الغناد كما وقع لامية بن ابي الصلت فأنّه كان يطمع بان يكون نبياً وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانفطعت تلك الامانى آمنوا احسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدى وقارب بن الاسود وكان لهما فى الفتوحات الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان (واما الرؤيا) فتتحقيقها مطالعة النفس الناطقة فى ذاتها الروحانية لمحّة من صور الواقعات فانها عند ما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تستجرد عن المواد الجسدية والمدارك البدئية وقد يقع لها ذلك لمحّة بسبب النوم كما نذكر فتقبس فيها علم ما تشوّف اليه من الامور المستقبلية وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقباس ضعيفاً وغير جليّ عانيته بالمحاكاة والمثال فى الخيال لتحصيله فيحتاج من اجل ذلك المحاكاة الى التعبير وقد يكون الاقباس قويا يستغنى

فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير لخلوصه من الخيال
والمثال والسبب فى وقوع هذه اللحمة للنفس انها ذات
روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها
تعقلا محضا وبكامل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانية
مدركة بغير شئ من الآلات البدنية الا ان نوعها فى
الروحانيات دون نوع الهللكة اهل الافق الاعلى الذين لم
يستكملوا ذواتهم بشئ من مدارك البدن ولا غيره فهذا
الاستعداد حاصل لها ما دامت فى البدن ومنه خاص كالذى
للأولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو امر الرويا (واما) الذى
للانبياء فهو استعداد بالانسلخ من البشرية الى الملكية
المحضة التى هى اعلا الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم
مكررا فى حالات الوحي وهو عند ما يعوج على المدارك
البدنية وبقع فيها ما يقع من الادراك سببها بحال النوم
شبهها يتنا وان كان حال النوم اذون مند بكثير فلاجل هذا الشبه
عبر الشارع عن الرويا بانها جزء من ستة واربعين جزءا من
النوبة وفى رواية ثلاثة واربعين وفى رواية سبعين وليس العدد
فى جميعها مقصودا بالذات وانما المراد الكثرة فى تفاوت
هذه الهرايب بدليل ذكر السبعين فى بعض طرقه وهى للتكثير
عند العرب وما ذهب اليه بعضهم فى رواية ستة واربعين من
ان الوحي كان فى مبدئه بالرويا ستة اشهر وهى نصف سنة

ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف السنة منها جزء من ستة واربعين فكلام بعيد عن التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن اين لنا ان هذه المدة وقعت لغيره من الانبياء مع ان ذلك انما يعطى نسبة زمن الرويا من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة واذا تبين لك ما ذكرناه أولا علمت ان معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطرى لهم صلوات الله عليهم ثم ان هذا الاستعداد البعيد وان كان عامًا فى البشر فمعه عواقب وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن اعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذى هو جبلى لهم فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تتشوق اليه فى عالم الحق فتدرك فى بعض الاحيان لمحة يكون فيها الظفر بالمقصود ولذلك ما جعل الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرويا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له (واما) سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم فعلى ما اصفه لك وذلك ان النفس الساطقة انما ادراكها وافعالها بالروح الحيوانى الجسمانى وهو بخار لطيف مركزة فى التجويف الايسر

من القلب على ما فى كتب التشريح لجالينوس وغيره
وينبعث مع الدم فى الشريانات والعروق فيعطى الحس
والحركة وسائر الافعال البدنية ويرفع لطيفه الى الدماغ
فيعدل من برده ويتم افعال القوى التى فى بطونه فالنفس
الناطقة انما تدرك وتعمل بهذا الروح البخارى وهى متعلقة
بد بما اقتضيه حكمة التكوين فى ان اللطيف لا يؤثر فى
الكثيف ولها لطف. هذا الروح الحيوانى من بين المواد
البدنية صار محلا لآثار الذات الهائية له فى جسمانيته وهى
النفس الناطقة وصارت آناها حاصلة فى البدن بوساطته وقد
كنا قدّمنا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو
الحواس الخمس وادراك فى الباطن وهو بالقوى الدماغية
وان هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها
من ذوات الروحانيات التى هى مستعدة له بالفطرة ولها
كانت الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوهن والفشل
بما يدركها من التعب والكلال وتغشى الروح بكثرة
التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجدد الادراك
على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانحناس الروح
الحيوانى من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس الباطن
وبعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب
الحرارة الغريزية اعماق البدن ويذهب من ظاهره الى باطنه

فتكون مشبعة مركبها وهو الروح الحيوانى الى الباطن ولذلك ما كان النوم للبشر فى الغالب انما هو بالليل فاذا انخس الروح عن الحواس الظاهرة رجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت الى الصور التى فى الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل (١) صوراً خيالية واكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريباً ثم تنزلها الى الحس المشتركة الذى هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على انحاء الحواس الخمس وربما التفتت النفس لفئة الى ذاتها الروحانية مع منازعة القوى الباطنة فتدرك باذراكها الروحاني لايتها مغطورة عليه ونقتبس من صور الاشياء التى عارت متعلقه فى ذاتها حينئذ ثم ياخذ الخيال تلك الصورة المدركة فيمثلها بالحقيقة او المحاكاة فى القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هى المحتاجة الى التعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل فى صور الحافظة (٢) قبل ان تدرك من تلك اللحظة ما تدرك هى اغصان الاحلام وفى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال السرويا ثلاث روبا من الله ورويا من الملك ورويا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى من الله والمحاكاة الداعية

(١) Man. A. et B التحليل

(٢) Man A. et B والصور الحافظة

الى التعبير من الملك واضغات الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرويا وما يستبها (1) ويشيعها من النوم وهى خواص للنفس الانسانية موجودة فى البشر على العموم لا يخلو عنها احد منهم بل كل واحد من الاناسى فقد رأى فى نومه ما صدق له فى يقظته مرارا غير واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة الغيب فى النوم ولا بدّ واذا جاز ذلك فى عالم النوم فلا يمتنع فى غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامّة فى كل حال والله الهادى الى الحق (فصل) ووقع ما يقع من ذلك للبشر غالبا انها هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانها تكون النفس مستشرفة للشئ فتقع لها تلك اللحظة فى النوم لا انها تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع فى كتاب الغاية وغيره من كتب اهل الرياضات ذكر اسماء يذكر عند النوم فيكون عنها الرويا فيما يتشوف (2) اليه وبسمونها الحالومة ذكر منها مسلية فى كتاب الغاية حالومة سبها حالومة الطباع التام وهى ان يقال عند النوم وبعد فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات الاعجية وهى تماغس بعدان يسوادة وغداس نوفناغادس وبذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسئل عنه فى النوم

(1) Man. A. et B. يستبها

(2) Man. A. et B. يتشوق

وحكى ان رجلا فعل ذلك بعد رباضة ليال فى ماله
 وذكره فتمثل له شخص يقول انا طباعك التام فسئل
 واخبره عما كان يشق اليه وقد وقع لى انا بهذه الاسماء
 مرأ عجيبة واطلعت بها على امور كنت انشوق اليها من
 احوالى وليس ذلك بدليل على ان القصد الى الرويا
 يحدثها وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا فى النفس
 لوقوع الرويا فاذا قوى الاستعداد كان اقرب لحصول ما
 يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما احب
 ولا يكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد
 غير القدرة على الشئ فاعلم ذلك وتدبره فيما تجد من
 امثاله والله الحكيم الخبير (فصل) ثم انا نجد فى النوع
 الانسانى اشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة
 فبهم يتميز فيها صنفهم عن ساير الناس ولا يرجعون فى ذلك
 الى صناعة ولا يستدلون عليه باثر من النجوم ولا غيرها انما
 نجد مداركهم فى ذلك بمقتضى فطرتهم التى فطروا عليها
 وذلك مثل العرافين والتظارين فى الاجسام الشقافة كالمرايا
 وطساس الماء والناظرين فى قلوب الحيوان واكبادها
 وعظامها واهل الزجر فى الطير والسباع واهل الطرق بالحصى
 والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة فى عالم
 الانسان لا يسمع احدا جدها ولا انكارها وكذلك المجانيين

تلقى على السنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها
وكذلك النائم والبيت لاول موته او نومد يتكلم بالغيب
وكذلك اهل الرياضة من المتصوفة لهم مدارك في الغيب
على سبيل الكرامة معروفة ونحن لان نتكلم على هذه
الادراكات كلها ونبتدئ منها بالكهانة ثم نأتى عليها واحدة
واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة فى ان النفس
الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب فى جميع الاصناف
التي ذكرناها (وذلك) انها ذات روحانية موجودة بالقوة
من بين ساير الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما نخرج من
القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا امر مدركت لكل احد
وكل ما بالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التي يتم
بها وجودها هو عين الادراك والتعقل فهي توجد أولا
بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم
نشؤها ووجودها بالفعل بصاحبة البدن وما يعودها بورود
مدركانه المحسوسة عليها وما ينتزع هي من تلك الادراكات
من المعانى الكلية فتتعقل (1) الصورة مرة بعد اخرى حتى
يحصل لها الادراك والتعقل صورة بالفعل فتتم ذاتها وتبقى
النفس كالهوى والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد
واحدة ولهذا نجد الصبى فى اول نشوئه لا يقتدر على

(1) Man A. تستغل. C. تغفل. D. تعفل.

الادراك الذى لها من ذاتها لا فى نوم ولا بكشف ولا
 بغيرهما وذلك صورتها التى هى عين ذاتها وهى الادراك
 والتعقل لم تتم بعد بل يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا تمت
 ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من
 الادراك ادراك بآلات الجسم توديه اليها المدارك البدنية
 وادراك بذاتها من غير واسطة وهى محبوبة عنه بالانغماس
 فى البدن والحواس وشواغلها لان الحواس ابدا جاذبة لها
 الى الظاهر بما فطرت عليه اولا من الادراك الجسماني
 وربما تنغمس عن الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن
 لحظة اما بالخاصية التى هى للانسان على الاطلاق مثل
 النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق
 او بالرياضة مثل اهل الكشف من الصوفية فتلتفت حينئذ
 الى الذوات التى فوقها من الملاء الاعلى لها بين افقها
 وافقهم من الاتصال فى الوجود كما قرناه قبل وتلك
 الذوات روحانية وهى ادراك محض وعقول بالفعل وفيها
 صور الموجودات وحقايقها كما مر فيتجلى فيها شئ من
 تلك الصورة وتقتبس منها علما وربما دفعت تلك الصور
 المدركة الى الخيال فتصرفه فى القوالب المعتادة ثم تراجع
 الحس بما ادركت اما مجردا او فى قوالبه فتخبر به هذا هو
 شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبى ولنرجع الى ما

وعدنا به من بيان اصنافه (فأما) الناظرون فى الاجسام
 الشفافة من المرايا والطساس والمياه وقلوب الحيوان واكبادها
 وعظامها واهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل
 الكهان الا انهم اضعف رتبة فيه فى اصل خلقهم لان الكاهن
 لا يحتاج فى رفع حجاب الحس الى كبير معاناة وهولاء
 يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها فى نوع واحد منها
 واشرفها البصر فيعكف به على الهرئ البسيط حتى يبدو له
 مدركه الذى يخبر عنه وربما يظن ان مشاهدة هولاء لما يرونه
 هو فى سطح المرآة وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون
 فى سطح المرآة الى ان يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم
 وبين المرآة حجاب كانه غمام تتمثل فيه صورهم مدركاتهم
 فتشير اليهم بالمقصود فيها يتوجهون الى معرفته من نفى
 او اثبات فيخبرون بذلك على نحو ما ادركوه (واما المرآة)
 وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه فى تلك الحال
 وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفسانى
 ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفسانى
 للحس (١) كما هو معروف ومثل ذلك يعرض للناظرين فى
 قلوب الحيوان واكبادها وللناظرين فى الماء والطساس وامثال
 ذلك وقد شاهدنا من هولاء من يشغل الحس بالبحور فقط

ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر عما أدركت ويزعمون انهم يرون
الصور مشخصة فى الهواء تحكى لهم احوال ما يتوجهون
الى ادراكه بالهال والاشارة وغيبة هواء من الحس احق
من الاولين والعالم ابو الغرايب (واما الزجر) وهو ما يحدث
من بعض الناس من التكم بالغيب عند سماع طائر او حيوان
والفكر فيه بعد مغيبه وهى قوة فى النفس نبعت على
الحس والفكر فيما زجر فيه من مرئ او مسموع وتكون
قوته المتخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها فى البحث مستعينا بها
راءه او سمعه فيؤيد ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة
المتخيلة فى النوم وعند ركود الحواس تتوسط بين المحسوس
المرئ فى يقطته وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها
الرويا (واما المجانين) فنفسهم الناطقة ضعيفة التعلق
بالبدن لفساد امزجتهم غالبا وضعف الروح الحيوانى
فيها فتكون نفسه غير مستغرقة بالحواس ولا منغصة
فيها بها شغلها فى نفسها من الم النص ومرضه وربما زاحمها
على التعلق به روحانية اخرى شيطانية تتشبث به وتضعف
هذه عن ممانعتها فيكون عند التخبط فاذا اصابه ذلك
التخبط اما لفساد مزاجه من فساد النفس فى ذاتها او لما
زاحمه من النفوس الشيطانية فى تعلقه غاب عن حسه (1) جملة

فادرك لحظة من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها
 الخيال وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير
 ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل
 لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس لا بعد الاستعانة
 بالتصورات الاجنبية كما قرناه ومن ذلك يجئ الكذب في
 هذه المدارك (واما العرافون) فهم المتعلقون بهذا الادراك
 وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذي
 يتوجهون اليه وباخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما
 يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون
 بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا) نحصيل
 هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما
 صادف تحقيقا ولا اصابه وبظهر من كلام الرجل انه كان بعيدا
 عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهله
 وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد
 كان العرب يفتخرون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون
 اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك
 غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم
 في الجاهلية شق من انصار بن نزار وسطيح من مازن بن
 غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة .

ومن مشهور الحكايات عنهما تاويلهما روى ربيعة بن نصر
وما اخبراه به من ملك الحبشة لليمن وملك مضر من
بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش وكذا روى الهويزان
التي اولها سطية لها بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فاخبره
بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك
العرافون كان منهم في العرب كثير وذكروهم في اشعارهم
فقال

فقلت لعراف اليمامة داوئي فانك ان داوينني لطبيب

وقال اخر

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد ان هما شفياني
فقالا شفائك الله والله مالنا بها حملت منك الصلوع بدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الابلق
الاسدي (ومن) هذه الدوائر الغيبية ما يصدر لبعض الناس
عند مفارقة اليقظة والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي
يتشوق اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع
ذلك الا في مبادئ النوم عند مفارقة اليقظة وذهاب
الاختيار في الكلام فيتكلم كأنه مجبول على النطق وغايته ان
يسمعه ويفهمه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مفارقة
روسهم واوساط ابدانهم كلام بمثل ذلك ولقد بلغنا عن

بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من سجونهم اشخاصا
ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم
فاعلموهم بها يستبشع وذكر مسلمة في كتاب الغاية له في
مثل ذلك ان ادميا اذا جعل في دنّ مملؤ بدهن السهم
ومكث فيه اربعين يوما يغذى بالثين والجوز حتى يذهب
لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشئون راسه فيخرج من ذلك
الدهن وحين يجثّ عليه الهواء يجيب عن كل شئ يسأل
عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من مناكير
افعال السحرة لكن نفهم منه عجائب العالم الانساني (ومن)
الناس من يحاول حصول هذا المدرّك الغيبي بالرياضة
فيحاولون بالمجاهدة مونا صناعيا بامانة جميع القوى البدنية
ثم محو آثارها التي تلتوّت (١) بها النفس وذلك يحصل
بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا نزل
الموت بالبدن ذهب الحسّ وحجابه واظلمت النفس على
ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل
الموت منه ما يقع بعد الموت وتطلع النفس على المغيبات
(ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية) يرتاضون بذلك ليحصل
لهم الاطلاع على المغيبات والتصرف في العالم واكثر هؤلاء
في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا وخصوصا بلاد الهند وبسهمون

(١) Man. G. et D. تَلَوَّت

هناك الجوكية ولهم كتب فى كيفة هذه الرياضة كثيرة
والاخبار عنهم فى ذلك غريبة (واما المتصوفة) فرباعتهم
دينية وعربية من هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون جمع
الهمة والاقبال على الله بالكلفة لتحصل اذواق العرفان
والتوحيد ويزيدون فى رياضهم الى الجمع والجوع التغذية
بالذكر فيها تتم وجهتهم فى هذه الرياضة لانه اذا نشأت
النفس على الذكر كانت اقرب الى العرفان بالله واذا عريت
عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة
الغيب او التصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون
مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة
فيه لغير الله وانما هى لقصد التصرف والاطلاع على الغيب
واخسر بها صفقة فانها فى الحقيقة شرك قال بعضهم
من اثر العرفان للعرفان فقد قال بالثانى فهم يقصدون
بوجهتهم العبود لا لشيء سواه وان حصل انشاء ذلك ما
يحصل فبالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم بقر منه اذا
عرض له ولا يحتفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول
ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب
والحديث على الخواطر فراسة وكشفا وما يقع لهم من
التصرف كرامة وليس شئ من ذلك بنكير فى حقهم وقد
ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى وابو محمد بن

ابى زيد المالكى فى اخرين فرارا من التباس المعجزة
بغيرها والمعول عند المتكلمين حصول التفرقة بالتحدى فهو
كاف وقد ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للصحابة
من ذلك وقايع معروفة تشهد بذلك فى مثل قول عمر
رضى الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن زعيم كان قائدا
على بعض جيوش المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط
مع المشركين فى معترك وهم بالانهزام وكان بقره جبل
يتحيز اليه فرغ (1) لعمر ذلك وهو يخطب على المنبر
بالمدينة فناداه يا سارية الجبل وسمعه سارية بمكانه وراى
شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثلها ايضا لابى بكر
فى وصيته عايشة ابنته رضى الله عنها فى شأن ما نحلها (2)
من اوسق التهر من حديقته ثم نبهها على جدادة لتحوزة
عن الورثة فقال فى سياق كلامه وانما هما اخوك واخناك
فقاتلت انما هى اساء فمن الاخرى فقال ان ذا بطن بنت
خارجة اراها جارية فكانت جارية وقع (3) فى الهوط فى باب
ما لا يجوف من النحل ومثل هذه الوقايع كثيرة لهم وليس بعدهم
من الصالحين واهل الاقتداء الا ان المتصوفة يقولون انه يقل

(1) Man. A. B. et D. فوق.

(3) Man. D. رفع.

(2) Man. C. يحلها. A. et B. يحلها.

فى زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حاله بحضرة النبى حتى انهم يقولون ان المريد اذا جاء الى المدينة النبوة سلب حاله ما دام فيها حتى يفارقها والله تعالى يرزقنا الهداية وبرشدنا الى الحق (فصل) ومن هؤلاء المریدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون اشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقيين وعلم ذلك من احوالهم من يفهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكلفين وبقى لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشئ فيطلقون كلامهم فى ذلك وبانون مند بالعجائب ورتبا ينكر الفقهاء انهم على شئ من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا نحصل الا بالعبادة وهو غلط فانه فضل الله يؤتيد من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فان الله تعالى يخصهم بما شاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم يعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كمال المجانين وانما فذلهم العقل الذى يباط به التكليف وهو صفة خاصة للنفس وهى علوم ضرورية للانسان يستد بها نظره ويعرف احوال معاشه واستقامة منزله وكأنه اذا ميز احوال معاشه لم يبق له عذر فى قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود

الحقيقة معدوم العقل التكيفى الذى هو معرفة المعاش
ولا استحالة فى ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة
على شئ من التكليف وإذا صح ذلك فاعلم انه ربما
يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة
ويستحقون بالبهائم ولك فى تمييزهم علامات منها ان
هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يخلون عنها اصلا من ذكر
وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم
التكيف والمجانين لا تجد لهم وجهة اصلا ومنها انهم
يخلقون على البله من اول نشوئهم والمجانين يعرض لهم
الجنون بعد برهة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض
لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة ومنها
كثرة تصرفهم فى الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على
اذن لعدم التكليف فى حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا
فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد الى الصواب
(فصل) وقد يزعم بعض الناس ان هنا مدارك للغيب من
دون غيبة عن الحس فمنهم المنجمون القايلون بالدلالات
النجومية ومقتضى اوضاعها فى الفلك وانارها فى العناصر
وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر وتبادى من
ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من
الغيب فى شئ انما هى ظنون حدسية وتخمينات مبنية

على التأثير النجومى وحصول المزاج منه للهواء مع مزيد
 الحدس يقف به الناظر على تفصيله فى الشخصيات فى
 العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك فى
 محله ان شاء الله تعالى ولو ثبت فغايتة حدس وتخمين
 وليس مما ذكرناه فى شئ (ومن) هؤلاء قوم من العامة
 استنبطوا لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها
 حظ الرمل نسبة الى المادة التى يضعون فيها علمهم ومحصل
 هذه الصناعة أنهم صيروا من النقط اشكالا ذات اربع مراتب
 تختلف باختلاف مراتبها فى الزوجية والفردية واستوايها فيها
 فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازواجاً كلها او
 افراداً فشكلان وان كان الفرد فيها فى مرتبة واحدة فقط فاربعة
 اشكال وان كان الفرد فى مرتبتين فستة اشكال وان كان
 فى ثلاث مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلا
 ميزوها كلها باسمائها ونوعوها الى سعود ونحوس شأن
 الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتاً طبيعية بزعمهم وكانها
 البروج الاثنى عشر التى للفلك والاولاد الاربعة وجعلوا لكل
 شكل بيتاً وخطوطاً ودلالة على صنف من عالم العناصر
 يختص به واستنبطوا من ذلك فتاً حاذوا به فن النجامة
 ونوع قضايه الا ان احكام النجامة مستندة الى دلالات
 طبيعية كما زعم بطليموس وهذه انما دلالاتها وضعية وذلك

ان بطليموس انما تكلم فى المواليد والقرانات التى هى عنده من آتار الكواكب والاوزاع (١) الفلكية فى عالم العناصر وتكلم المنجمون من بعده فى المسائل استخراج الضماير وتقسيمها على بيوت الفلك والحكم عليها باحكام ذلك البيت النجومية وهى التى ذكرها بطليموس واعلم ان الضماير امور نفسية ليست من عالم العناصر فليست من آتار الكواكب ولا الاوزاع الفلكية ولا دلالة لهما عليها نعم ان صار لفرن المسائل مدخل فى صناعة النجامة من حيث الاستدلال بالكواكب والاوزاع الا انه فى غير مدلوله الطبيعى فلما جاء اهل الخط عدلوا عن الكواكب والاوزاع استعصا (٢) بالمعانة والارتفاع بالآلات وتعديل الكواكب بالحسبان واستخرجوا هذه الاشكال الخطية وفرضوها ستة عشر بيتا من بيوت الفلك واواناده ونوعوها الى سعد ونحس وممتزج شأن الكواكب السيرة واقتصروا على التسديس من المناظرة ونزلوا الاحكام النجومية عليها كما فى المسائل لان دلالة كل منهما غير طبيعى كما قدمناه وانتحل هذه الصناعة كثير من البطالين للمعاش فى المدن وصنّفوا فيها النصايف المحصلة لقواعدها واصولها كما فعله الرنانى منهم وغيره (وقد) يكون من اهل هذه الصناعة من يتعرض بها لادراك الغيب باسغال

(١) Man. A. et D اوزاع

(٢) Man. A. استعصا

الحسّ بالنظر في اشكال تلك الخطوط فيعتبره حالة الاستعداد كما يعتري المفطورين على ذلك كما نذكره بعد وهؤلاء اشرف اهل هذه الصناعة وهم على الجملة يزعمون ان اصل ذلك من النبوات القديمة في العالم وربّما ينسبونها الى ادريس او دانيال صلوات الله عليهما شأن الصنایع كلها وربّما يدّعون مشروعيتها ويحتجون لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم كان بنى يخط فمن وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعضهم لان معنى الحديث كان نبي يخط فيأتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في ان يكون ذلك عادة لبعض الانبياء فانهم صلوات الله عليهم متفادون في ادراك الوحي قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمنهم من ياتي الوحي ويكلمه الهلك ابتداء من غير طلب والوجهة ولذلك ومنهم من يتوجّه فيما يعرض له من امور البشر بسؤال امته عن مشكل او تكليف او نحو ذلك فيتوجّه وجهة ربّانية يتعرّض بها لكشف ما يريد من ذلك من الله ويعطى التقسيم هنا قسما اخر ان وجد لان الوحي قد يكون وهو لا يستعدّ له بشئ من الاحوال كالذى ذكرناه وقد يكون وهو مستعدّ ببعض الاحوال كما نقل في الاسرائيلات ان بعض الانبياء كان يستعدّ لنزول الوحي

بسماع الاصوات الطيبة المألحة وهذا النقل وان لم يكن
 متمكنا في الصحة الا انه غير بعيد فالله تعالى يخص انبياءه
 ورسله بما شاء (نسخة) وقد نقل لنا ذلك عن بعض الكبار
 من المتصوفة في التعرض للغيبة عن الحس بسماع الغنا يتجرد
 بذلك لهداركة في مقامه دون النبوة وما منا الا له مقام
 معلوم) واذا تقرر ذلك وقد كنا قدّمنا ان في اصحاب خط
 الرمل من يتعرض للكشف به باشغال الحس بالنظر في
 تلك الخطوط والاشكال فيعتربه حينئذ الادراك الغيبى
 الوجدانى (١) بالتفرغ عن الحس جملة وبفارق المدارك البشرية
 الى المدارك الروحانية وقد مر تفسيرهما وهذا من الكهانة
 من نوع النظر في العظام واليهاء والمرايا بخلاف من يقتصر
 في ذلك منهما على الامر الصناعى الذى يحصل به على
 الغيب بالحدس والتخمين وهو لم يفارق المدارك الجسمانية
 بعد جايدا في سرامى الظنون فقد يكون شأن بعض الانبياء
 الاستعداد بالخط في مقامه النبوى لخطاب الملك كما
 يستعد به من ليس بنبي للادراك الروحانى ومفارقة
 المدارك البشرية الا ان ادراكه روحانى فقط وادراك النبى
 ملكى بالوحى من عند الله واما مقامات اهل صناعة الخط
 في مدارك الحدس والتخمين فحاشا للانبياء منها فانهم

(١) Man. B الوجدان.

لا يشرعون التكلم بالغيب ولا الخوض فيه لاحد من البشر
وقوله في الحديث فمن وافق خطه فذاك اى فهم
صحيح من بين الخط بما عضده من الوحي لذلك النبى
الذى كانت عادته ان ياتيه الوحي عند الخط او تكون
الاشارة بذلك الى تعظييه وعلو شأنه في اتخاذ خطوط الرمل
بل لا نسبة بينه وبينها اذا كان على ذلك الوجه الذى
كان النبى يستعد به للوحي فياتى على وفاقه واما اذا اخذ
ذلك عن الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا صحة فيه
وهذا معنى الحديث والله اعلم وليس فيه دلالة على مشروعية
خط الرمل ولا جواز انتحاله لتعرف الغيب كما هو شأن اهل
فى المدن وان مال الى ذلك بعضهم بناء على ان فعل
النبى شريعة متبعة فيكون مشروعا على مذهب من يرى ان
شرع من قبلنا شرع لنا وليس هذا بهطابق لذلك فان
الشرع انما هو للرسل المرعين للامم والحديث لم يدل
على ذلك وانما دل على ان هذه الاحالة تحصل لبعض
الانبياء ويحتمل ان يكون غير مشروع فلا يكون ذلك شرعا
لا خاصا بامته ولا عامالهم ولغيرهم وانما يدل على انها حالة
تقع لبعض الانبياء خاصة فلا تتعداه للبشر وهذا آخر ما اردنا
تحقيقه هنا والله الهلهم للصواب فاذا ارادوا استخراج مغيب
بزعمهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط

سطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كـرّروا ذلك اربع مراتب فتجئ ستة عشر سطرا ثم يطرحون النقط ازواجا وبضعون ما بقى من كل سطر زوجا كان او فردا فى مرتبة على الترتيب فتجئ اربعة اشكال يضعونها فى سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة وما قابلها من الشكل الذى بازايه وما يجتمع فيها من زوج او فرد فتكون ثمانية اشكال موضوعة فى سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها باعتبار ما يجتمع فى كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضا من زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا كذلك تحتها ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون آخر الستة عشر ثم يحكمون على الخط كله بما اقتضته اشكاله من السعودة والنحوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على اصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غريبا وكثرت هذه الصناعة فى العمران ووضعت فيها التواليف واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهى كما رابت تحكم وهوى والتحقيق الذى ينبغى ان يكون نصب فكرك ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا لخواص من البشر المفطورين

على الرجوع عن عالم الحس الى عالم الروح ولذلك سمي
 المنجمون هذا الصنف كلهم بالزهرين نسبة الى ما تقضيه
 دلالة الزهرة بزعمهم في اصل مواليدهم على ادراك الغيب
 فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من اهل هذه
 الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط والعظام
 او غيرها اشغال الحس لترجع النفس الى عالم الروحانيات
 لخطه فهو من باب الطرق بالحصى والنظر في قلوب
 الحيوانات والمرايا الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك
 وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة فهذر من القول والعمل
 والله يهدي من يشاء والعلامة لهذه الغطرة التي فطر عليها اهل
 هذا الادراك الغيبى انهم عند توجههم الى تعرف الكيانات
 بعريهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالشواوب (1) والتمطط
 ومبادئ الغيبة عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف
 على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامات
 فليس من ادراك الغيب من شئ وانما هو ساع في
 تنفيق كذبه (فصل) ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج
 الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس
 الروحانية ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما
 زعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه

(1) Man. A. الشاوب.

العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالهصيد لاهل العقول المستضعفة ولست اذكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع به الخواص (فمن) تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النيم وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين من الملوك وهو ان تحسب الحروف التي في اسم احدها بحساب الجمل المصطلح عليه في حروف ابجد من الواحد الى الالف آحاد وعشرات ومئين والوفا فاذا حسبت الاسم ونحّصل لك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقيّة هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان كانا مختلفين في الكمية وكانا معا زوجين او فردين فصاحب الالف مدهما الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية وهما معا زوجان فالمطلوب هو الغالب وان كانا معا فردين فالطالب هو الغالب ونقل هنالك بيتين في هذا العمل اشتهرا بين الناس وهما

ارى الزوج الافراد يسموا فلها واكثرها عند التخالف غالب
وبغلب مطلوب اذا الزوج وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا لمعرفة ما يبقى من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا

معروفاً عندهم في طرح تسعة وذلك بان يجمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي (ا) الدالة على الواحد و(ى) الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات و(ق) الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين و(ش) الدالة على الالف وهي واحد في مرتبة الآلاف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي آخر ابجد ثم رتبوا هذه الحروف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي (ايقش) ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث واسقطوا مرتبة الآلاف منها لانها كانت آخر حروف ابجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب ثلثة حروف وهي (ب) الدالة على الاثنين في الآحاد و(ك) الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و(ر) الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي (بكر) ثم فعلوا ذلك في الحروف الدالة على ثلاثة فنشأت عنها كلمة (جلس) وكذلك الى آخر حروف ابجد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الآحاد وهي ايقش × بكر × جلس × دمت × هنت × وضع × زغد × حفظ × طضع + مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبته فالواحد لكلمة (ايقش) ولانئان لكلمة (بكر) والثلاثة لكلمة (جلس) وكذلك الى التاسعة التي هي (طضع)

فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم بتسعة نظروا لكل حرف منه فى اى كلمة من هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم يجمعون الاعداد التى ياخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة اخذوا ما فضل عنها ولا اخذوه كما هو ثم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الخارجين بما قدماه والسر فى هذا القانون بين وذلك ان الباقي فى كل عقد من عقود الاعداد بطرح تسعة انما هو واحد فكانه يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كلها كأنها آحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والهاينين والالفين وكلها انسان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثماية والثلاثة الاف كلها ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالى دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على اصناف العقود فى كل كلمة من الآحاد والعشرات والمئين والالوف وصار عدد الكلمة الموضوع عليها نايبا عن كل حرف فيها سواء دل على الآحاد والعشرات او المئين او الالوف فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التى فيها وتجتمع كلها الى آخرها كما قلناه وهذا هو العمل المتداول بين الناس فيها منذ الامر القديم وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يرون ان الصحيح فيها كلمات اخرى تسعة مكان هذه ومتوالية كتواليها ويفعلون فيها الطرح

بتسعة مثل ما يفعلون بالآخرى سواء وهى هذه ارب +
يسفك × جزلط × مدوص × هف × تحذن × غش × خع
تنظ × تسع كلمات على توالى العدد وفيها الثلاثى والرابعى
والثنائى وليست جارية على اصل مطرد كما نراه لكن
كان شيوخنا ينقلونها عن شيخ المغرب فى هذه المعارف
من النجامة والسيما واسرار الحروف وهو ابو العباس ابن
البا ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات فى طرح
حساب النيم اصح من العمل بكلمات ايقش فالله اعلم
كيف ذلك وهذه كلها مدارك الغيب غير مستندة الى
برهان ولا تحقيق والكتاب الذى وجد فيه حساب النيم
غير معزوا الى ارسطو عند المحققين لما فيه من الآراء البعيدة عن
التحقيق والبرهان يشهد لك بذلك فتصفحه ان كنت
من اهل الرسوخ (ومن) هذه القوانين الصناعية لاستخراج
الغيوب فيما يزعمون الزايرة الهسما زايرجه العالم المعزوة
الى ابي العباس السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان
فى آخر المائة السادسة بمراكش ولعهد يعقوب المنصور من
ملوك الموحدين وهى غريبة العمل صنعية وكثير من الخواص
يولعون بافادة الغيب منها بعلمها المعروف الهلغوز فيحرصون
لذلك على حل رمزه وكشف غامضه لذلك وصورتها
التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة فى داخلها دوائر

متوازية منها للافلاك وللعناصر وللمكوّنات وللروحانيّات
ولغير ذلك من اصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة
باقسام فلكها اما البروج واما العناصر او غيرها وخطوط كل
قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار على كل وتر حروف
متتابعة موضوعة فمنها برشوم الزمام التي هي اشكال الاعداد
عند اهل الدواوين والحسبان بالمغرب لهذا العهد ومنها
برشوم الغبار المتعارفة وفي داخل الزايرجة وبين الدواير اسماء
العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظهر الدواير جدول مذكّر
البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين
بيتاً في العرض ومائة واحدى وثلاثين في الطول جوانب
منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجوانب
خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الاعداد في اوضاعها ولا
القسم التي عيّنت (1) البيوت العامرة من الخالية وحفافي
الزايرجة ابيات من عروض الطويل على روى اللام المنصوبة
تستظهر صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك
الزايرجة الا انها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح والجلء
وفي بعض جوانب الزايرجة بيت من الشعر منسوب لبعض
اكابر اهل الحندان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من
علماء اهل اشبيلية كان في الدولة اللثونيّة ونص البيت

سؤال عظيم الحاق حزت فصن اذن غريب غرايب شك صبطه الجمد مثلا

وهو البيت المتداول عندهم فى العمل لاستخراج الجواب من السؤال فى هذه الزايرة وغيرها فاذا ارادوا استخراج الجواب عما يسئل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم اخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا الى الزايرة ثم الى الوتر المكتنف فيها بالبرج الطالع من اوله مارا الى المركز ثم الى محيط الدائرة قباله الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من اوله الى آخره والاعداد المرسومة بينها وبصيروتها حروفا بحساب الجمل وقد ينقلون آحادها الى العشرات وعشرانها الى الهئين وبالعكس فيها كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من اوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط ويفعلون بالاعداد ما فعلوه بالاول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون حروف البيت الذى هو اصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالک بن وهيب الهتقدم الذكر ويضعونها ناحية ثم يتربون عدد درج الطالع فى اس البرج واسه عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه لاس عند اهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن اول

المراتب ثم يضربونه فى عدد آخر يسمونه الآس الأكبر والدور
الاصلى ويدخلون بها يجتمع لهم من ذلك فى بيوت
الجدول على قوانين معروفة واعمال مذكورة وادوار معدودة
ويستخرجون منها حروفا ويسقطون اخرى ويفابلون بها معهم
فى حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف
السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف باعداد معلومة
يسمونها الادوار ويخرجون فى كل دور الحرف الذى ينتهى
عنده الدور ويعاودون ذلك بعدد الادوار المعينة عندهم لذلك
فتخرج آخرها حروف متقطعة وتولف على التوالى فتصير
كلمات منظومة فى بيت واحد على وزن البيت الذى
يقابل به العمل وروبه وهو بيت مالک بن وهيب المتقدم
حسبنا نذكر ذلك كله فى فصل العلوم عند كيفية العمل
بهذه الزايرة وقد راينا كثيرا من الخواص يتهافتون على
استخراج الغيب منها بتلك الاعمال ويحسبون ان ما وقع
من مطابقة الجواب للسؤال فى توافق الخطاب دليل على
مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لانه قد مر لك ان
الغيب لا يدرك بامر صناعى البتة وانا المطابقة التى
فيها بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق فى
الخطاب حتى يكون الجواب مستقيما وموافقا للسؤال
ووقع ذلك بهذه الصناعة فى تكسير الحروف المجتمعة

من السؤال واللاتار (1) والدخول في الجدول بالاعداد
المجتمعة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج
الحروف من الجدول واطراح اخرى ومعاودة ذلك في
الادوار المعدودة ومقابلة ذلك كله بحروف البيت على
التوالي غير مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكيا على
مناسب بين هذه الاشياء فتقع له معرفة المجهول منها
فالتناسب بين الاشياء هو سر الحصول على المجهول من
المعلوم الحاصل للنفس وطريق لحصوله سيما من اهل
الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر
وقد مر لك تعليل ذلك غير مرة ومن اجل هذا المعنى
ينسبون هذه الزايرة في الغالب لاهل الرياضة فهذه منسوبة
للسبتي ووقفت على اخرى منسوبة لسهل بن عبد الله
ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعاناة (2) العجيبة
والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوما فيما
يظهر لي انما هو المقابلة بحروف ذلك البيت ولهذا
يكون النظم على وزنه ورويته وبدل عليه انا وجدنا امهالا
اخرى لهم في مثل ذلك اسقطوا فيها المقابلة بالبيت
فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك
في موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق

(1) Man. A. et B. الاتاد

(2) Man. A. et B. المعايات

بهذا العمل ونفوذها الى المطلوب فينكر صحتها وبحسب انها من التخيلات والايهات وان صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اثناء حروف السؤال والاورار ويفعل تلك الصناعة على غير نسبة ولا قانون ثم بجئ بالبيت ويوهم ان العمل جاء به على طريقة منضبطة وهذا الحسبان توهم فاسد حمل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات والمعلومات والثغرات بين المدارك والعقول ولكن من شأن كل مدرك ان ينكر ما ليس في طوقه ادراكه ويكفيها في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والحدس القطعي بانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح ولا مربة فيه عند من يباشر ذلك ممن له مزيد ذكاء وحدس واذا كان كثير من المعاناة (1) في العدد الذي هو اوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعده النسبة فيه وخفاياها فما ظنك مثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها (فلنذكر) مسألة من المعاناة (2) بتضح لك بها شئ مما ذكرناه مثاله لو قيل لك خذ عددا من الدراهم واجعل باراء كل درهم ثلاثه من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي اخذت واشتر بها طائرا ثم اشتر بالدراهم طيورا بسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة فجوابه ان تقول هي تسعة لانك

(1) Man. A. et C. المعاناة B. المعاناة (2) Man. A. et C. المعاناة B. المعاناة

تعلم ان فلسوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وان
 عدّة اثمان الواحد ثمانية فكانت جمعت الثمن من كل درهم
 الى الثمن من الاخر فكان كله ثمن طائر فهى نهائية طيور
 عدّة اثمان الواحد وتزيد على الثمانية طائرا اخر وهو المشرى
 بالفلس الهاخوذة اولا وعلى سعره اشترت بالدراهم فتكون
 تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضمر بسرّ
 التناسب الذى بين اعداد المسئلة والوهم اول ما يلقي
 اليك هذه وامثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذى
 لا يمكن معرفته فظهر ان التناسب بين الامور هو الذى
 يخرج مجهولها من معلومها وهذا انما هو فى الوقوعات
 الحاصلة فى الوجود او العلم واما الكائنات المستقبلّة اذا لم
 نعلم اسباب وقوعها ولا ثبت لنا خبر صادق عند فهو غيب
 لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاحمال الواقعة فى
 هذه الزايرة كلها انما هى استخراج الفاظ الجواب من الفاظ
 السؤال لانها كما رأيت استنباط حروف على ترتيب من
 تلك الحروف بعينها على ترتيب اخر وسرّ ذلك انما هو
 من تناسب بينهما يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف
 ذلك التناسب تيسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك
 القوانين والجواب يدلّ فى مقام اخر من حيث وضوع
 الفاظه وتراكيبه على وقوع احد طرفى السؤال من نفى او

اثبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع الى مطابقة الكلام لها في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه الاعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران البدوي
ولامم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال
وفيه اصول وتمهيدات

فصل في ان اجيال البدو والحضر طبيعيتهم

اعلم ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف حاجتهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون (1) على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاحسى والكمالى فنههم من ينتحل الفلاح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الشاء والبقر والمعز والنحل والدود للقر لتناجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القبايل على الفلاح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه متبع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح

(1) Man C. et D التعاون

للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء البدو أمرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجات معاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفئ إنما هو بالمقدار الذى يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المستحلين للعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا فى الزايد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتائق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحصن ثم تزيد احوال الرفه والرغد فتجئ عوايد الشرف البالغة مبالغها فى التائق فى علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة فى انواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالات البيوت والصروح واحكام وضعها فى تنجيدها والانتهاء فى الصنائع فى الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون فى صروحها وتنجيدها ويختلفون فى استجادة ما يتخذونه لمهنتهم من لبوس او فراش او آنية او ماعون وهؤلاء هم الحضرة ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل فى معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم انما وارفه من اهل البدو لان

أحوالهم زائدة على الضرورى ومعاشهم على نسبة وجدهم فقد
تبين أن أحوال البدو والحضر طبيعيتهم لا بد منها كما قلناه

فصل فى أن حيل العرب فى الخليفة طبيعى

قد قدّمنا فى الفصل قبله أن أهل البدو هم المستحلون
للمعاش الطبيعى من الفاسح والقيام على الأناعام وأنهم مقتصرون
على الضرورى فى الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال
والعوائد ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجى أو كمالى
فيستخذون البيوت من الشعر أو الوبر أو الشجر أو من الطين
والحجارة غير منجدة إنما هو قصد للاستظلال والكنّ لا ما وراءه
وقد يأتون إلى الغيران والكهوف وأما أقوانهم فيتناولونها
بيسير العلاج أو بغير علاج البتة إلا ما مسته النار فمن كان
معاشه منهم فى الزراعة والقيام بالفاح كان المقام به أولى
من الطعن وهؤلاء سكان الهُدائر والقرى والجبال وهم عامة
البربر والأعاجم ومن كان معاشه فى السايمة مثل البقر والغنم
فهم طوائع فى الأغلب لأنبياء المسارج والمياه لحيوانهم إذ
التقلب فى الأرض أصاح بها ويستمنون شايبة ومعناه
الغنايمون على الشاء والمقر ولا يبعدون فى
القمم لفقدان المسارج الطيبة به وهؤلاء مثل البربر والترك
وأخوانهم من التركمان والصقالبة (وأما) من كان معاشهم

فى الابل فهم اكثر طعنا وابعد فى القفر مجالا لان مسارج
التلول ونباتها وشجرها لا تستغنى به الابل فى قوام حياتها
عن مرعى الشجر فى القفر وورود مياه الماحة والتقلب
فصل الشتاء فى نواحيه فرارا من اذى البرد الى دفء هوائه
وطلبا لمفاحص النتاج فى رماله اذ الابل اصعب الحيوان
فضالا ومخاضا واحوجها فى ذلك الى الدفء فاضطروا
الى ابعاد النجعة وربما زادتهم الحامية عن التلول ايضا
فاوغلوا فى القفار نفرة عن النصفة منهم والجزاء بعدا عنهم
فكانوا لذلك اشد الناس توحشا وتنزلوا من اهل الحواضر
منزلة الوحش غير المقدور عليه والمقترب من الحيوانات
العجم وهؤلاء هم العرب وفى معناهم طواعن البربر وزنانة
بالمغرب والاكرد والتركمان والترك بالمشرق الا ان
العرب ابعد نجعة واشد بداوة لانهم محتصون بالقيام على
الابل فقط وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشاء والبقر معها فقد
نبين لك ان جيل العرب طبعى لا بد منه فى العمران
والد الخلاق العليم

فصل فى ان البدو اقدم من الحضار وسابق عليه وان البادية
اصل العمران والامصار ومدة لها

قد ذكرنا ان البدو هم المقتصرون على الضرورى فى احوالهم

العاجزين عمّا فوقه وإن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال فى احوالهم وعوايدهم ولا شكّ ان الضرورى اقدم من الحاجى والكمالى وسابق عليه وكان الضرورى اصل والكمالى فرع ناشئ عنه فالبدو اصل للمدن والحضر سابق عليها لأنّ اول مطالب الانسان الضرورى ولا ينتهى الى الترف والكمال الا اذا كان الضرورى حاصلًا فخشونة البداوة قبل رفه الحضارة ولهذا نجد التمدن غاية للبدوى يجرى اليها وينتهى بسعيه الى مقترحه (1) منها ومتى حصل على الرياش الذى تحصل به احوال الترف وعوايده عاج الى الدعة وامكن نفسه من قياد المدينة وهكذا شأن اهل القبائل المبتدبة كلهم والحضرى لا يتشوّف الى احوال البادية الا لضرورة تدعوه اليها او لتقصير عن احوال اهل مدينته (ومما) يشهد لنا ان البدو اصل للحضر ومتقدّم عليه أنا اذا فتحنا اهل مصر من الامصار وجدنا اوليّة اكثرهم من اهل البدو الذين بضاحية ذلك المصر وفى قراه وانهم ايسروا فسكنوا المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضر وذلك يدلّ على ان احوال الحضارة ثانية عن احوال البداوة وانها اصل لها فتفهّمه ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فربّ حى اعظم من حى

(1) Man. C. مفرجه

وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر
عمرانا من مدينة وقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود
المدن والامصار واصل لها كما ان وجود المدن والامصار
من عوايد الترف والدعة الذى هو متأخر عن عوايد الضرورة
المعاشية

فصل فى ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر
وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئة
لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر قال صلى
الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او
نصرانه او يمجسانه وبقدر ما يسبق اليها من احد الخلقين
بعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا
سبقت الى نفسه عوايد الخير وحصلت لها ما كتبه بعد عن
الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه ايضا
عوايده واهل الحضر لكثرة ما يعانونه من فنون الملاذ وعوايد الترف
والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلوثت
انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم
طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى
لقد ذهبت عنهم مذاهب الحشمة فى احوالهم فنجد الكثير
منهم يقدعون فى اقوال الفحشاء فى مجالسهم وبين

كبرائهم واهل محارمهم لا يصدهم عنه وازع الحشمة لما
 اخذنهم به عوايد السوء فى التظاهر بالفواحش قولاً وعملاً
 واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم لا انه فى
 المقدار الضرورى لا فى الترف ولا فى شئ من اسباب
 الشهوات واللذات ودواعيها فعوايدهم فى معاملاتهم على
 نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات
 الخلق بالنسبة الى اهل الحضرة اقل بكثير فهم اقرب الى
 الفطرة الاولى وابعد عما ينطبع فى النفس من سوء الهلكات
 بكثرة العوايد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج
 الحضرة وهو ظاهر وقد نوضح فيما بعد ان الحضرة هى نهاية
 العمران وخروج الى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير
 فقد نبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة
 والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد فى
 حديث البخارى من قول الحجاج لسلمة بن الاكوع
 وقد بلغد انه خرج الى سكنى البادية فقال له ارتددت على
 عقبك تعربت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اذن لى فى البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول
 لاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبى صلى الله عليه وسلم
 حبس حل من المواطن يضربون وبظاهرونه على امره
 ويحرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان

اهل مكة يمتسهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في
 الظاهرة والحراسة ما لا يمتس غيرهم من بادية الاعراب وقد
 كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرب وهو سكنى
 البادية حيث لا تجب الهـجرة وقال صلى الله
 عليه وسلم في حديث سعد بن ابى وقاص عند مرصده
 بمكة اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم
 ومعناه ان يوقفهم للملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا
 عن هجرتهم التى ابدوا بها وهو من باب الرجوع الى
 العتب فى السعى الى وجد من الوجوه وقيل ان ذلك
 كان خافيا لما قبل الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا
 ونكفل الله لنبيد بالعصبة من الناس فان الهجرة ساقطة
 حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح قيل
 سقط انشاؤها عن يسلم بعد الفتح وفيل سقط وحبوبها عن
 اسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على انها بعد الوفاة
 ساقطة لان الصحابة اختلفوا من يومئذ فى آفاق وانتشروا
 ولم يبق الا فضل السكنى فى المدينة وهو هجرة فقول
 الحاج لسلمة حين سكن البادية ارتدت على عقيبك
 تعربت معنى عليه فى نركت السكنى بالمدينة بالاشارة الى الدعاء
 المأثور الذى قدمناه وهو قوله ولا تردهم على اعقابهم ويقول
 تعربت الى انه صار من العرب الذين لا يهاجرون واجاب

سلمة بانكار ما ألزمه من الأمرين وإن النبي صلى الله عليه وسلم أذن له في البدو وبكون ذلك خاصاً به كشهادة خزيمه وعناق أبى بردة أو يكون الحجاج أنها نعى عليه تركت السكنى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بأن اعتناهم لأذن النبي صلى الله عليه وسلم أولى وأفضل فما أثره به واختصه إلا لمعنى علمه فيه وعلى كل تقدير فليس فيه دليل على مذمة البدو الذى عبر عنه بالتعرب لأن مشروعية الهجرة إنما كان كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس فى النعى على تركت هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله اعلم

فصل فى ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة

والسبب فى ذلك ان اهل الحضرة القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا فى النعيم والترف واكلوا امرهم فى المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذى يسوسهم والحامية التى نولت حراستهم واستناموا الى الاسوار التى تحوطهم والحرز الذى يحول دونهم لا نهيجهم هيعه ولا يغير لهم صيد فهم غارون آمنون قد القوا السلاح وربيت على ذلك منهم اجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين

هم عيال على ابي مثوهم حتى صار ذلك خلقا لهم
 بتنزل منزلة الطبيعة واهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم
 في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتبازهم عن الاسوار
 والايواب قايمون بالمدافعة عن انفسهم لا يكونونها الى سواهم
 ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلقون (1)
 عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوم الا غرارا
 في المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب يتوجسون للنسأة
 والهيئات (2) وينفردون في القفر والبيداء مدلين بباسهم واثقين
 بانفسهم قد صار لهم الباس خلقا والشجاعة سجية يرجعون
 اليها متى دعاهم داع او استقرهم صارخ واهل الحضر معها
 خالطوهم في البادية او صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون
 معهم شئ من امر انفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في
 معرفة النواحي والجهات وموارد الماء ومشارع السبل وسبب
 ذلك ما شرحناه واصله ان الانسان ابن عوايدة ومالوفد
 لا ابن طبيعته ومزاجه فالذئ الفه من الاحوال حتى صار له
 خلقا ومملكة وعادة تنزل (3) منزلة الطبيعة والجبلة واعتبر ذلك
 في الادميين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق ما يشاء وهو
 الخلاق العليم

(1) Man. D. يلتقون

(2) Man. D. الصعاب

(3) Man. C. تنزل

فصل فى ان معاناة اهل الحضر للاحكام مفسدة للبأس فيهم
ذاهبة بالمنعة منهم

وذلك انه ليس كل احد مالكا امر نفسه اذ الرؤساء والامراء
المالكون لامر الناس قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان
يكون للانسان فى ملكة غيره ولا بد فان كانت الملكة رفيقة
وعادلة لايعانا منها حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها
مدلين بما فى انفسهم من شجاعة او جبن واثقين بعدم الوازع
حتى صار لهم الادلال حيلة لهم لا يعرفون سواها واما اذا كانت
الهلكة واحكامها بالقهر والسطوة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم
ونذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاسل فى النفوس المضطهدة
كما نبينه وقد نهى عمر سعدا رضى الله عنهما عن مثلها
لما اخذ زهرة بن حوية سلب الجالوس وكانت قيمته خمسة
وسبعين الفا من الذهب وكان انبىع الجالوس يوم
القادسية فقله واخذ سلبه فانزعه منه سعد وقال هلا (1) انتظرت
فى انباعه اذنى وكتب الى عمر يستاذنه فكتب اليه عمر
بعيد الى مثل زهرة وقد صلى بما صلى به وبقي عليك
ما بقى من حربك فتكسر قرنه وتفسد قلبه وامضى له عمر
سلبه واما اذا كانت الاحكام بالعقاب فمذهبة للبأس بالكلية
لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة

(1) Man. A. B. et C. الا

التي تكسر من سورة بأسه بلا شكّ وأما اذا كانت الاحكام
تاديبية وتعليبية واخذت من عهد الصبا انرت في ذلك
بعض الشيء لمرابه على المخافة والانقياد فلا يكون مدلا بآسه
ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشدّ بأسا منهم
تأخذة الاحكام ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملكتها
من لدن مرباهم في التأديب والتعليم في الصنائع والعلوم
والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ولا يكادون
يدافعون عن انفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة
العلم المنتحلين للقراءة والاخذ عن المشايخ ولايئة الممارسين
للتعليم والتأديب في مجالس الوقار والهيبة فتفهم هذه
الاحوال وذهابها بالمنعة والبأس ولا تستنكرون (1) ذلك بما
وقع في الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشرعية ولم
ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا اشدّ الناس بأسا لان
الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمون عنه دينهم كان
وازه فيه من انفسهم لما تلى عليهم من الترغيب والترهيب
ولم يكن بتعليم صناعتى ولا تاديب تعليمى انما هى احكام
الدين وآدابه المتلقاة نقلا يأخذون انفسهم بها بما رشح
فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تزل سورة بأسهم
مستحكمة كما كانت ولم تחדشها اظفار التأديب والحكم

(1) يستنكرون. B. يستكرون. A et D.

قال عمر رضى الله عنه من لم يؤدبه الشرع ولا آدبه الله حرصا على ان يكون الوازع لكل احد من نفسه وبقينا بان الشارع اعلم به صالح العباد (ولها) تناقص الدين فى الناس واحذوا بالاحكام الوازنة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق الانقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للبأس لان الوازع فيها اجنبى واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتى ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية مما يؤثر فى اهل الحواضر فى ضعف نفوسهم وخضد (1) الشوكة منهم بمعاناتها فى وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال ابو محمد بن ابى زيد فى كتابه احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من الصبيان فى التعليم فوق ثلاثة اسواط نقله عن شريح القاضى واحتج له بعضهم بما وقع فى حديث بدء الوحي من شأن الغظ وانه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شأن الغظ ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

فصل فى ان سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل العصبية

اعلم ان الله سبحانه ركب فى طباع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال تعالى فآلهما فجورها وسقواها والشر اقرب الخلال اليه اذا اهل فى مرعى عوايده ولم يهذب لاقْتداء بالدين وعلى ذلك الجرم الغفير لا من وفقه الله ومن اخلاق الشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه الى ان يصده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان نجد ذا عَقَّة فلعلَّه لا يطمس

فاما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض يدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على ايدى من تحتهم من الكافة ان يمتد بعضهم الى بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم الا اذا كان من الحاكم بنفسه واما العدوان الذى من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة او الغرة ليلا او العجز عن المقاومة نهارا ويدفعه زياد الحماية من اعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة (واما) احياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بها وقر فى نفوس الكافة لهم من الوقار والتجلة واما حللهم فاما يذود عنها من خارج حامية الحى من انجادهم وفتيانهم

المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشتد شوكتهم وبخشي جانبهم اذ نعمة كل احد على نسبه وعصبيته اهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة على ذوى ارحامهم وقرباهم موجود فى الطباع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن اخوة يوسف حين قالوا لابي له لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون والمعنى انه لا ينوهم العدوان على احد مع وجود العصبية له واما المنفردون فى انسابهم فقل ان يصيب احدا منهم نعمة على صاحبه فاذا اظلم الجوّ بالشر يوم الحرب تسلل كل واحد منهم يبغي النجاة بنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقتدرون من اجل ذلك على سكنى القفر لما انهم حينئذ طعمة لمن يلتهمهم من الامم سواهم واذا تبين ذلك فى السكنى التى يحتاج الى المدافعة والحماية فبمثلها يتبين لك فى كل امر يحمل الناس عليه من نبوة او اقامة ملك او دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما فى طباع البشر من الاستعصاء ولا بد فى القتال من العصبية كما ذكرناه انما فاتخذها اماما نفتدى به فيما نوره عليك من بعد والله الموفق

فصل فى ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او
ما فى معناه

وذلك ان صلة الرحم طبيعى فى البشر الا فى الاقل
ومن صلتها النعرة على ذوى القربى واهل الارحام ان ينالهم
عظيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد فى نفسه غضاظة
من ظلم قريبه او العدا عليه ويؤد لو يحول بينه وبين ما
يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية فى البشر
مذ كانوا فاذا كان النسب الواصل بين المتناصرين قريبا
جدا بحيث حصل به الالتحام والاتحاد كانت الوصلة ظاهرة
فاستدعت ذلك بمجردها ووضحها واذا بعد النسب بعض
الشيء فربما تنوسى بعضها وتبقى منه شهرة فتحمل على
النصرة لذوى نسبه بالامر المشهور منه فرارا من الغضاظة
التي يتوهمها فى نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه
(ومن) هذا الباب الولاء والحلف اذ نعرة كل احد على اهل
ولايه وحلفه للانفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها او
قريبها او نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل
الحمية الحاصلة من الولاء مثل لحمية النسب او قريبا منها
ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من
انسابكم ما تصلون به ارحامكم بمعنى ان النسب انما فايده

هذا الالتحام الذى يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة
والنصرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وهمى
لا حقيقة له ونفعه له انما هو فى هذه الوصلة والالتحام
فاذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعمة
كما قلناه واذا كان انما استفاد من الخبر البعيد ضعف فيه
الوهم وذهبت فايدته وصار الشغل به مجانا ومن اعمال اللهو
المنهى عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع
وجهالة لا تضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار
من قبيل العلوم ذهبت فايدة الوهم فيه عن النفس وانتفت
النعمة التى تحمل عليها العصبية فلا منفعة حينئذ فيه والله
تعالى اعلم

فصل فى ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين
فى القفر من العرب ومن فى معانهم

وذلك لها اختصاصا به من نكد العيش وشطط الاحوال
وسوء الموطن حملتهم عليها الضرورة التى عيّنت لهم تلك
القسمة وهى بما كان معاشهم من القيام على الابل ونتاجها
ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش فى القفر لرعيها من
شجرة ونتاجها فى رماله كما تقدم والقفر مكان الشطط
والسغب فصار لهم إفا وعادة ورييت فيها اجيالهم حتى

تمكنت خلقا وجبلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهيهم
 فى حالهم ولا يأنس بهم احد من الاجيال بل لو وجد
 واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله وامكنه ذلك لما
 تركه فيومس عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها
 ولا تنزال بينهم محفوظة صريحة واعتبر ذلك فى مضر من
 قريش وكنانة وثقيف وبنى اسد وهذيل ومن جاورهم من
 خزاعة لما كانوا اهل شطف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع
 وبعدوا من ارياف الشام والعراق ومعادن الادم والحبوب
 كيف كانت انسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط
 ولا عرف فيها شوب (واما) العرب الذين كانوا فى التلول فى
 معادن الخصب للمراعى والعيش من حمير وكهلان مثل
 لحم وجدام وغسان وطى وقضاعة واياها فاختلطت انسابهم
 وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلف
 عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبل العجم
 ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب فى بيوتهم
 وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط قال عمر تعلموا النسب
 ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من
 قرية كذا هذا الى ما لحق هؤلاء العرب اهل الارياض من
 الازحام مع الناس على البلد الطيب والمراعى الخصبة فكثرت
 الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع فى صدر الاسلام

الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسرين جند دمشق جند
العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لاطراح العرب
امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى
عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون
بها عند امرائهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم
وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من
العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودفنت فدفنت
العصبية بدثورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث
الارض ومن عليها

فصل في اختلاط الانساب كيف يقع

ان من البين ان بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل
نسب اخر بنزوع اليهم او حلف او ولاء او لفرار من قوم
بجناية اصابها فيدعى بنسب هؤلاء وبعد منهم في ثمراته
من النعمة والقود وحمل الديارات وسائر الاحوال واذا وجدت
نيرات النسب فكانه وجد لانه لا معنى لكونه من هؤلاء او من
هؤلاء الا جربان احكامهم واحوالهم عليه وكأنه التحم بهم ثم
ان قد يتناسا النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم
بد فيخفى على الاكثر فيما زالت الانساب تسقط من شعب
الى شعب ولتحتم قوم باخرين في الجاهلية والاسلام والعرب

والعجم وانظر خلاف الناس في نسب المندز وغيرهم تتبين
 شيئا من ذلك (ومند) شأن بجيلة في عرفة بن هرثمة
 لما ولاه عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا نزيفى
 اى دخيل واصيق وطلبوا ان يولى عليهم جريرا فسأله عمر
 عن ذلك فقال عرفة صدقوا يا امير المؤمنين انا رجل
 من الازد اصببت دما فى قومي ولحقت بهم وانظر منه
 كيف اختلط عرفة ببجيلة ولبس جلدتهم ودعى بنسبهم
 حتى ترشح للرئاسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجهم
 ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمان لتنوسى بالجملة وعد
 منهم بكل وجه ومذهب فافهم واعتبر سر الله فى خليقته
 ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من العهود

فصل فى ان الرئاسة على اهل العصبية لا تكون
 فى غير نسبهم

وذلك ان الرئاسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما
 يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد فى الرئاسة على القوم ان
 تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة لان كل
 عصبية منهم اذا احست بغلبة عصبية الرئيس لهم اقتصروا
 بالادعان والانباع والساقط فى نسبهم بالجملة لا تكون
 له عصبية بالنسب انما هو ملصق نزيفى وغاية التعصب له

بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة. وإن فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسى عهده الاول من الالتصاق وليس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرئاسة قبل هذا الالتحام او لاحد من سلفه والرئاسة على القوم إنما تكون متناقلة فى منبت واحد يعين له الغلب بالعصبية فالاولية التى كانت لهذا المصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرئاسة حينئذ فكيف تنقلت عنه وهو على حال الالتصاق والرئاسة لا بد وان تكون مورثة عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية (وقد) يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب (1) الى انساب يلحقون (2) بها اما لخصوصية فضيلة كانت فى اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكر كيف اتفق فينزعون الى ذلك النسب ويتوڑطون بالدعوى فى شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القدح فى رياستهم والطعن فى شرفهم وهذا كثير للناس فى هذا العهد (ومن ذلك) ما تدعيه زناتة جملة انهم من العرب ومنه ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بنى عامر احدى شعوب زغبة انهم من بنى سليم ثم من الشريد منهم لحق جدهم بنى عامر نجارا يصنع الحرجان واختلط

(1) Man. A. et B. العصبيات.

(2) Man. A. et B. يلمحون. C. يلمحون.

بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم وبسمونه الحجازي (ومن) ذلك آدعاء بنى عبد القوى بن العباس من توحين أنهم من ولد العباس بن عبد المطلب رغبة فى هذا النسب الشريف وغلطا باسم العباس بن عطية ابى عبد القوى ولم يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعبيديين فكيف يسقط العباسى الى احد من شيعة العلويين (وكذلك) ما يدعيه ابناء زيان ملوك بنى عبد الواد أنهم من ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى ما اشتهر فى نسبهم انهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الزناتى ايت القاسم اى بو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا انه قر من مكان سلطانه مستجيرا بهم فكيف تتم له الرياسة عليهم فى باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الدوران فى الادارسة فتوهوا ان قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان منالهم للملك والعزة انما كان بعصيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شئ من الانساب وانما يحمل على هذا المتقربون الى الملوك بمنازعهم ومذاهبهم ويشتهر حتى يبعد عن الردة (فلقد) بلغنى عن يغيراس بن زيان موئل سلطانهم

انه لَهَا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ نَكْرَهُ وَقَالَ بَلَّغْتَهُ الزَّانِيَّةَ مَا مَعْنَاهُ أَمَّا
الدُّنْيَا وَالْمَلِكُ فَتَلْنَاهُ بِسَيُوفِنَا لَا بِهَذَا السَّبَبِ وَأَمَّا نَفْعُهُ فِي
الْآخِرَةِ فَمُرْدُودٌ إِلَى اللَّهِ وَاعْرَضَ عَنِ الْمُتَقَرَّبِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ
(وَمِنْ) هَذَا الْبَابِ مَا يَدَّعِيهِ بَنُو سَعْدٍ شَيْوُخُ بَنِي يَزِيدَ مِنْ
رِغْبَةِ أَنْهُمْ مِنْ وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَنُو
سَلَامَةَ شَيْوُخِ بَنِي يَدْلُثَ مِنْ تَوْجِينِ أَنْهُمْ مِنْ سَلِيمٍ وَكَذَا
الذَّوَادَةُ شَيْوُخُ رِيَّاحِ أَنْهُمْ مِنْ أَعْقَابِ الْبَرَامِكَةِ وَكَذَلِكَ
بَنُو مَهْنَا أَمْرَاءُ طَى بِالْمَشْرِقِ يَدَّعُونَ فِيمَا بَلَّغْنَا أَنْهُمْ مِنْ
أَعْقَابِهِمْ وَأَمَّا ذَلِكَ كَثِيرٌ وَرِيَاسَتُهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مَانِعَةٌ
مِنْ ادِّعَاءِ هَذِهِ الْإِنْسَابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَلْ يَعْينُ أَنْ يَكُونُوا مِنْ
صَرِيحِ ذَلِكَ النَّسَبِ وَأَقْوَى عَصَبَاتِهِ فَاعْتَبِرْهُ وَاجْتَنِبْ
الْمِغَالَطَةَ فِيهِ وَلَا يَجْعَلْ مِنْ هَذَا الْبَابِ الْحَقَّ الْمَهْدَى
الْمُوَحِّدِينَ بِنَسَبِ الْعُلُوَّةِ فَإِنَّ الْمَهْدَى لَمْ يَكُنْ مِنْ مَنْبَتِ
الرِّيَاسَةِ فِي هَرِغَةِ قَوْمِهِ وَأَمَّا رَأْسُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ اشْتِهَارِهِ بِالْعِلْمِ
وَالدِّينِ وَدُخُولِ قَبَائِلِ الْمَصَادِمَةِ فِي دَعْوَتِهِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ
مِنْ أَهْلِ الْمَنَابِتِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِيهِمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

فصل في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل

العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخلخال ومعنى

البيت ان يعدّ الرجل في ابائه اشرافا مذكورين يكون له بولادتهم اياه والانساب اليه تجلّة في اهل جلدته لما وفر في نفوسهم من تجلّة سلفه وشرفهم بخلالهم والناس في نشوئهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فمعنى الحسب راجع الى الانساب وقد بيّنا ان ثمرة الانساب وفايدتها اتما هي العصبيّة للنصرة والتناصر فحيث تكون العصبيّة مرهوبة ومخشية والمنبت فيها ذكى محمى تكون فائدة النسب اوضح وثمرتها اقوى وتعدد الاشراف من الآباء زابدا في فايدتها فيكون الحسب والشرف اصيلا في اهل العصبيّة لوجود ثمرة النسب وتتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبيّة لانه سرّها ولا يكون للمنفردين من اهل الامصار بيت الا بالمجاز وان توهّمه فزخرف من الدعاوى واذا اعتبرت الحسب في الامصار وجدت معناه ان الرجل منهم يعدّ سلفا في خلال الخير ومخالطة اهله مع الركون على العافية ما استطاع وهذا مغاير لسرّ العصبيّة التي هي ثمرة النسب وتعدد الآباء لكنّه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز بعلاقته ما فيه من تعدد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسبا بالحققيقة وعلى الاطلاق (وقد) يكون للبيت شرف اول بالعصبيّة والخلال ثم

ينسأخون منه لذهابها بالحصارة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى فى نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدّون به انفسهم من اشراف البيوتات اهل العصايب وليسوا منها فى شئ لذهاب العصبية جملة وكثير من اهل الامصار الناشئين فى بيوت العرب او العجم لاول عهدهم موسوسون بذلك واكثر ما رسخ الوسواس لذلك لبنى اسرائيل فانه كان لهم بيت من اعظم بيوت العالم بالمنبت اولا لما تعدد فى سلفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم عليه السلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعهم ثم بالعصبية نانيا وما اناهم الله به من الملك الذى وعدهم به ثم انسأخوا عن ذلك اجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء فى الارض وانفردوا بالاستعباد والكفر آلافا من السنين ثم ما زال هذا الوسواس مصاحبا لهم فتجدهم يقولون هذا هرونى هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ احقاب متطاولة وكثير من اهل الامصار غيرهم المنقطعين فى انسأبهم عن العصبية يذهب الى هذا الهذيان (وقد) غلط ابو الوليد ابن رشد فى هذا لما ذكر الحسب فى كتاب الخطابة من تاخييص كتب العلم الاول فقال والحسب هو ان يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرّض لما

ذكرناه وليت شعري ما الذى ينفعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم يكن لهم عصابة يرهب بها جانبه ويحمل غيرهم على القبول منه فكانه اطلق الحسب على تعديد الآباء فقط مع ان الخطابة انما هى استمالة من نوثر استمالاته وهم اهل الحل والعقد واما من لا قدرة له البتة فلا يلتفت اليه ولا يقدر على استمالة احد ولا يستمال هو واهل الامصار من الحضر بهذه المثابة الا ان ابن رشد ربي فى جيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا انسوا احوالها فبقى فى امر البيت والحسب على الامر المشهور من تعديد الآباء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها فى الخليفة والله بكل شئ عليم

فصل فى ان البيت والشرف للموالى واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم

وذلك انا قدّمنا الآن ان الشرف بالاصاله والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع اهل العصبية قوما من غير نسبهم او استرقوا العبدى والموالى والتحموا بهم كما قلناه ضرب معهم اولئك الموالى والمصطنعون بسبهم فى نسل العصبية ولبسوا جلدتها كاتبا عصبيتهم وحصل لهم من

الانتظام فى العصبية مساهمة فى نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رقب او مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته نافع له فى تلك العصبية اذ هى مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الاخر وفقدان اهل عصبيتها (1) فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الآباء فى هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبته فى ولايته واصطناعه لا يتجاوز الى شرفهم بل يكون ادون منهم على كل حال وهذا شأن الهوالى فى الدول والخدمة كلهم فانهم اتما يشرفون بالرسوخ فى ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء فى ولايتها لا ترى الى موالى الترتك فى دولة بنى العباس والى بنى برمك من قبلهم وبنى نوبخت كيف ادركوا البيت والشرف وبنوا العجد والاصالة بالرسوخ فى ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب الى ولاء الرشيد وقويده لا بالانتساب فى الفرس وكذا موالى كل دولة وخدمتها اتما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ فى ولايتها والاصالة فى اصطناعها ويضعحل نسبة الاقدم ان كان من غير نسبها ويبقى ملقى لا عبرة به فى اصالته

(1) Man. A. et B. عصبيتها.

ومجده وأما المعتبر نسبة ولايه واصطناعه اذ فيه سرّ العصبيّة التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقاً من شرف مواليد وبيته من بنائهم (1) فلم ينفعه نسب الولادة وأما بناء مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبة الاول في لحمة عصبيّة ودولة فاذا ذهب وصار ولاه واصطناعه في اخرى لم ينفعه الاول لذهاب عصبيّته وانتفع بالثاني لوجودها وهذا حال بنى برمك اذ المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس من سدنة بيوت النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بنى العباس لم يكن بالاول اعتبار وان كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى ذلك فوهم توسوس به النفوس الجاحمة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه واكرمكم الله اتقاكم

فصل في ان الحسب في العقب الواحد اربعة آباء

اعلم ان العالم العصري بما فيه كايّن فاسد لا من ذواته ولا من احواله فالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات للانسان وغيره كايّة فاسدة بالمعانيّة وكذلك ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانيّة فالعلوم تنشأ ثم

(1) Man A. et B. بنائهم.

تدرس وكذلك الصنائع وامثالها والحسب من العوارض
التي تعرض للادميين فهو كاي فاسد لا محالة وليس يوجد
لاحد من اهل الخليفة شرف متصل في آبايه من لدن
آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
كرامة به وجباطة على الشرفية (1) واول كل شرف خارجية كما
قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة والابتذال
وعدم الحسب ومعناه ان كل شرف وحسب فعده سابق
عليه شأن كل محدث ثم ان نهايته في اربعة ابناء من
عقبه وذلك ان باني المجد عالم بما عاناه في بنياده
ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقايد وابنه من
بعده مباشر لابيه قد سمع منه ذلك واخذ به عنه الا انه
مقتصر في ذلك تقصير السامع بالشئ عن المعايين ثم اذا
حاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن
الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر
عن طريقتهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم
واحتقرها وتوهم ان ذلك البيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف
وانما هو امر واجب لهم منذ اول النشأة بمجرد انتسابهم
وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس
ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب

(1) Man. A. B. C. السرفه.

نظ فيرباء بنفسه عن اهل العصبة ويرى الفضل عليهم
وثوقا بما ربي فيد عن استتباعهم وجهلا بما اوجب ذلك
الاستتباع من الخلال التي منها التواضع لهم ولاخذ بمجامع
قلوبهم فيحتقرهم لذلك فينتقصون (1) عليه ويحتقرونه
ويديلون منه سواه من اهل ذلك المنبت ومن فروع في
غير ذلك العقب للاذعان بعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق
بما يرضونه من خلاله فتتم فروع هذا وتذوى فروع الاول
وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل
والامراء واهل العصبة اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا
انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب
ان يشاء يذهبكم وبات بخلق جديد وما ذلك على الله
بعزير (واشتراط) الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب
والا فقد يدثر البيت من دون الاربعة وبلاسى ويهدم وقد
يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط
وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر
له ومقتد ودام وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في
نهاية الحساب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه
وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اشارة الى انه بلغ في المجد وفي

(1) Man B. ينقصون D. ينتقصون.

التوربة ما معناه انا الله ربك طابق غير مطالب بذنوب
 الآباء البنين على الثواب وعلى الروابع وهو يدل على ان
 الاربعة الاعقاب غاية فى الانساب والحسب (ومن) كتاب
 الاغانى فى اخبار عوفى القوافى ان كسرى قال للنعمان هل
 فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باى شئ
 قال من كانت له ثلاثة آباء متواليه روساء ثم اتصل ذلك
 بكمال الرابع فالبيت من قبيلته وطلب ذلك فلم يجده
 الا فى آل حذيفة بن بدر الفزارى وهم بيت قيس وآل
 حاجب بن زرارة بيت تميم وآل ذى الجدين بيت
 شيبان وآل الاشعث بن قيس من كندة فجمع هؤلاء الرهط
 ومن تبعهم من عشائيرهم واقعد لهم الحكام العدول فقام
 حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقربانه من النعمان ثم
 سظام ابن قيس من شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس
 بن عاصم وخطبوا ونشروا فقال كسرى كلهم سيد بصاح
 لموضع وكانت هذه البيونات هى المذكورة بالشرف فى
 العرب بعد بنى هاشم ومعهم بيت بنى الديان من بنى
 الحرث بن كعب بيت اليمن وهذا كله يدل على ان
 الاربعة آبا نهاية فى الحسب والله اعلم

فصل فى ان الالم الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم انه لما كانت البداوة سببا فى الشجاعة كما قلناه فى المقدمة الثالثة لا جرم كان هذا الجيل الوحشى اشد شجاعة من الجيل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما فى ايدي سواهم من الالم بل الجيل الواحد تختلف احواله فى ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الارياض ونبكوا النعيم والفوا عوايد الحصب فى المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبداتهم واغبر ذلك فى الحيوانات العجم فى دواجن الطياء والبقر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الادميين واخصب عيشها كيف يختلف حالها فى الانتهاض والشد حتى فى مشيتها وحسن اديمها وكذلك الادمى المتوحش اذا انس والش وسيد ان نكون السجاياء والطبايع انما هو عن المألوفات والعوايد واذا كان الغلب للالم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق فى البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواه اذا تقاربا فى العدد وتكافا فى القوة والعصابة وانظر فى ذلك شان مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة الموطنين ارياف العراق ونعيمها لى مضر فى بداوتهم ونقدمهم الاخرون الى

نصب العيش وعضارة النعيم كيف ارفقت البداوة حدهم في التقلب فغابوهم على ما في ايديهم وانتزعوه منهم وهكذا حال بنى على وبنى عامر بن صعصعة وبنى سليم بن منصور من بعدهم لما تآخروا في باديتهم عن ساير قبائل مضر واليمن ولم يلتسوا (١) بشئ من دنياهم كيف امسكت حال البداوة عليهم فوة عصبيتهم ولم يخلقها مذاهب الترف حتى صاروا اغلب على الامر منهم وكذا كل حتى من العرب يلى نعيما وعيشا خصبا دون الحى الاخر فان الحى المبتدى يكون اغلب له واقدر عليه اذا تكافا في القوة والعدد ستة الله في خلقه

فصل فى ان الغاية التى تجرى اليها العصبية هى الملك

وذلك لانا قدّمنا ان العصبية بها نكون الحماية والدفاع والمطالبة وكل امر يجتمع عليه وقدّمنا ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون فى كل احتياج الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية والا لم نتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر زايد على الرياسة اتما هى سودد وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر فى احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم بالظهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة السودد والاتباء

(١) مان C et D. تكسوا

ووجد السبيل الى التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب
 للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التى يكون بها
 متبوعا فالتغلب المالكى غاية العصبية كما رايت ثم ان
 القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات
 متعددة فلا بد من عصبية اقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها
 وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصبح كأنها عصبية واحدة
 كبرى والا وقع الافتراق المفضى (1) الى الاختلاف والنزاع
 ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض (ثم)
 اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها
 التغلب على اهل عصبية اخرى بعيدة عنها فان كافانها
 او مانعتها كانوا اقنالا وانظارا ولكل واحدة منها التغلب على
 حوزتها وقومها شان القبائل والامم المتفرقة فى العالم وان
 غلبتها او استتبعها التحمت بها ايضا وزادتها قوة فى التغلب
 الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية
 الاولى واجدد وهكذا دايما حتى تكافى بقوتها قوة الدولة فان
 ادركت الدولة فى هرمها ولم يكن لها ممانع من اولياء الدولة
 اهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها
 وصار الملك اجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن
 ذلك هرم الدولة انما قارن حاجتها الى الاستظهار باهل

1) Man A. et B. المفضى

العصبية انتظمتها الدولة في اوليائها تستظهر بها على ما
 بعن من مقاصدها وذلك ملك اخر دون الملك المستبد
 وهو كما وقع للترك في دولة بنى العباس ولصنهاجة وزناتة
 مع كتامة وابنى حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية
 والعباسية فقد ظهر ان الملك هو غاية العصبية وانها اذا
 بلغت الى غايتها حصل للقبيل الملك اما بالاستبداد
 او بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك
 وان عاقبا عن بلوغ الغاية عواقب كما نبئد وقفت في
 مكانها الى ان يقضى الله بامر

فصل في ان من عواقب الملك حصول النرف وانغماس
 القبيل في النعيم

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغالب
 استولت على الامة بمقداره وشاركت اهل النعيم والخصب
 في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصّة
 بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من
 القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها ولا مشاركتها
 فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يستوعون من
 نعمتها وبشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شئ
 من منازع الملك ولا اسبابه انما همهم النعيم والكسب وخصب

العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة ولاخذ
بمذاهب الملك في المباني والملابس الاستكثار من ذلك
والأنق فيد بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعو
اليه من نوايج ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية
والبسالة ويتنعمون فيما اناهم الله من البسط وينشأ بنوهم
واعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة انفسهم
وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن سائر الامور الضرورية في
العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتقص عصيتهم
وبسالتهم في الاجيال بعدهم بتعاقبها الى ان نقرض العصبية
فيتأذنون بالانفراض وعلى قدر برفهم ونعمتهم يكون اشرافهم
على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق في
النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب واذا انقرضت
العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة
والتهتمهم لادب سواهم فقد بين ان الترف من عوايق
الملك والله تولى ملكه من يشاء

فصل في ان من عواقب الملك حصول المذلة للقبيل
والانقياد لسواهم

وسبب ذلك ان المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية
وشدتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رأوا .

للمدّة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة
 فأولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك
 في بنى اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك
 الشام واخبرهم ان الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا
 عن ذلك وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها
 حتى يخرجوا منها اى يخرجهم الله منها بضرب من قدرته
 غير عصبيتنا ويكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم
 عليهم لجأوا وارتكبوا العصيان وقالوا اذهب انت وربك
 فقاتلا وما ذلك الا لما انسوا من انفسهم من العجز عن
 المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الاية وما بوثر في تفسيرها
 وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد وما رثوا من الذل
 للقبط احقابا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم
 يؤمنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان الشام لهم
 وان العمالقة الذين كانوا باربعها فريستهم بحكم من الله قدوة
 لهم فاقصروا عن ذلك وعجزوا تعولا على ما علموا من انفسهم
 من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من الهذلة وطغوا فيما
 اخبرهم به نبيهم من ذلك وما اسرهم به فعاقبهم الله بالتيه
 وهو انهم اقاموا في قفر من الارض ما بين الشام ومصر
 اربعين سنة لم ياءوا فيها لعمران ولا نزلوا مصرا كما قصه القرآن
 لغاظة العبادنة بالشام والقبط بمصر عليهم ولعجزهم عن

مقاومتهم كما زعموه ويظهر من مساق الآيه ومفهومها ان
حكمة ذلك التيه مقصودة وهى فناء الجيل الذين خرجوا
من قبضة الذل والقهر والقوه وتخلقوا به وافسد من عصبيتهم
حتى نشاء فى ذلك التيه جيل اخر عزيز لا يعرف الاحكام
والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصبية اخرى
اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك
ان الاربعين سنة اقل ما يتانى فيها فناء جيل ونشأة جيل
اخر سبحان الحكيم العليم وفى هذا اوضح دليل على شأن
العصبية وانها التى تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية
والمطالبة وان من فقدوها عجز عن جميع ذلك

ويأتحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم
والضرايب

فان القبيل الغارين ما اعطوا اليد لذلك حتى رضوا بالمذلة
فيه لان فى المغارم والضرايب ضيما ومذلة لا نحتملها النفوس
الابية الا اذا استهونه عن الغل والتلف وان عصبيتهم حينئذ
ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصبته لا ندفع
عنه الضيم فكيف له بالمقاومة او المطالبة وقد حصل له
الانقياد للذل والمذلة عايقة كما قدمناه ومنه فى الصحيح
قوله صلى الله عليه وسلم فى شأن الحرث لما رأى سكة

المحراث في بعض دور الانصار فقال ما دخلت هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المغرم موجب للذل هذا الى ما يصحب ذل الهارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر ففي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيز من المغرم فسئل عن ذلك فقال ان الرجل حدث فكذب ووعد فأخلف (فاذا) رايت القبيل بالهارم في رقة من الذل فلا تطمعن لها بملك آخر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان زناتة بالمغرب كانوا شايبة يودون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استثبت (1) لهم ملك ولا تمت لهم دولة وانظر في هذا مقالة شهربراز (2) ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لها اطل عليه وسأل شهربراز امانه على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصفوى معكم فمرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيقنا اليكم النصر لكم والقيام بها نحبون ولا تذآونا بالجزية فنوهنونا لعدوكم فاعتبر هذا فيها قلناه فانه كافٍ

(1) Man. C. استثبت. D. استثبت.

(2) Man. C. شهرنزار. D. شهربراز.

فصل فى ان من علامات الملك الشنافس فى الخلال الحميدة وبالعكس

لما كان الملك طبيعياً للانسان لها فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان اقرب الى خلال الخير من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان البشرانها جاءه من قبل القوى الحيوانية التى فيه واما من حيث هو انسان فهو الى الخير وخلاله اقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو انسان لانها خاتمة للانسان لا للحيوان فاذن خلال الخير فيه وهى التى تناسب السياسة والملك اذ الخير هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا ان المجد له اصل ينبى عليه ويتحقق به حقيقة وهو العصبية والعشير و فرع يتم وجوده ويكمله وهو الخلال واذا كان الملك غاية العصبية فهو غابة لفروعها ومتمايزها وهى الخلال لان وجوده دون متمايز كوجود شخص مقطوع الاعضاء او ظهوره عربانا بين الناس واذا كان وجود العصبية فقط من غير احتمال الخلال الحميدة نقصا فى اهل البيوت والاحساب فما ظنك باهل الملك الذى هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وايضا فالسياسة والملك هو كفالة الخلق وخلافة لله فى العباد فى الاحكام واحكام الله فى خلقه وعباده انما هى بالخير

ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرايع واحكام الشرع انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدره سبحانه وقدرته فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما اذ لا فاعل سواه فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة واونست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام الله في خلقه فقد نبيأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان اوثق من الاول واوضح مبني فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية فاذا نظرنا الى اهل العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والسقري المضيق وحمل الكل وكسب المعدوم والصبر على الهكارة والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يجدونه لهم من فعل او تركت وحسن الظن بهم واعتماد اهل الدين والتبركت بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الاكابر والهشاش وتوقيرهم واجلالهم والانقياد للحق مع الداعي اليه وانصاف المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرايع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجافي عن الغدر

والمكر والخديعة ونقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا ساسة لمن تحت ايديهم او على العموم وانه خير ساقه الله اليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك انسب الخيرات والمراتب لعصبيتهم فعلمنا بذلك ان الله تاذن لهم بالملك وساقه اليهم وبالعكس من ذلك اذا ناذن الله بانفراض الملك من امته حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفصائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انتفاض الى ان يخرج الملك من بين ايديهم وتبدل بد سواهم ليكون نعيما عليهم في سلب ما كان الله قد اناهم من الملك وجعل في ايديهم من الخير واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واستقر ذلك ونبتعد في كلام السالفة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله بخلق ما يشاء ويختار (واعلم ان من خلال الكمال الذي تتنافس فيه القبائل اولو العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين والاشراف واهل الحسب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل واهل العصبية والعشائر لمن يناهضهم في الشرف ويجاد بهم حبل العشير

والعصبية ويشاركهم في اتساع الجاه امر طبيعي يحمله عليه في الاكثر الرغبة في الجاه او المخافة من قوم الهكرم او التماس مثلها منه واما امثال هؤلاء ممن ليس له عصبية تتقى ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتمحض القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقتاله وامثاله ضرورى في السياسة الخاصة بين قبيلة ونظرايد واکرام الطاربين من اهل الفضائل والخصوصيات كما في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للحاجة اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجارة للترغيب حتى تعم المنفعة بهم والغرباء من مكارم الاخلاق ومن الترغيب ببعض الوجوه وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل عصبية انتابوهم للسياسة العامة وهى الملك وان الله قد تآذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها ولهذا فان اول ما يذهب من القبيل اهل الملك اذا تآذن الله بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رايتهم قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضائل قد اخذت في الذهاب وارتقب زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له

فصل فى انه اذا كانت الامة وحشة كان ملكها اوسع

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد
الطوائف لقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولانهم يتنزلون من
الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهؤلاء مثل العرب
وزنانة ومن فى معانهم من الاكراد والركمان واهل الشام من
صنهاجة وايضا فهؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن بريافون مند
ولا بلد يجنحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على
السواء فلهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاوره من
البلاذ ولا يقفون عند حدود افقهم بل يطفرون (1) الى الاقاليم
البعيدة ويتغلبون على الامم النابتة وانظر ما حكى فى
ذلك عن عمر رضى الله عنه لما بوع وقام يحرض الناس
على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بدار الا على السجعة
ولا يقوى عليه اهل الا بذلك اين الطراء المهاجرون عن موعد
الله سيبروا فى الارض التى وعدكم الله فى الكتاب ان
بورثكموها فقال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
واعبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التابعة
وحمير كيف كانوا يخطون فيها نقل من اليمن الى المغرب
مرّة وإلى الهند والعراق اخرى ولم يكن ذلك لغير العرب

(1) يطفرون D. بطفرون Man. A. et B.

من الأمم وكذا حال الهلثمين بالمغرب لما نزعوا الى الملك
ظفروا من الاقليم الاول ومجالاتهم منه فى جوار السودان الى
الاقليم الرابع والخامس فى ممالك الاندلس من غير واسطة
وهذا شأن هذه الأمم الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع
نطاقا وابعد من مراكزها نهاية والله مقدّر الليل والنهار

فصل فى ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من
أمة فلا بدّ من عوده الى شعب آخر منها ما دامت
لهم العصبية

والسبب فى ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة
الغلب والاذعان لهم من ساير الأمم سواهم فيتعيّن منهم
الهابشرون للامر الحاملون لسيرير الملك ولا يكون ذلك
لجميعهم لها دم عليه من الكثرة التى يضيق عنها نطاق
اليزاحمة وللغيرة التى تجدد انوف كثير من المتطاولين للرتبة
فاذا تعيّن أولئك القايمون بالدولة انغمسوا فى النعيم وغرقوا
فى بحر الترف والخصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك
الجيل وانفقوهم فى وجوه الدولة ومذاحبها وبقي الذين
بعدوا عن الامر وكبجوا عن المشاركة فى ظل من عز الدولة
التي شاركوها بنسبهم وبنسجاة من الهرم لبعدهم عن الترف
واسبابها فاذا استولت على الاولين الابام واباد غضراهم الهرم

وطحنتهم الدولة واكل الدهر عليهم وشرب بما ارهق من
النعم من حدهم واشتفت غريزة (1) الترف من مائهم وبلغوا
غايتهم من طبيعة التمدن الانساني والتغلب السياسى
كدود القز ينسج ثم يفنى بهركزسيجه فى الانعكاس

وكانت حينئذ عصبية الآخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر
محفوظة وشارتهم فى الغلب معلومة فتسمو آمالهم الى الهلك
الذى كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم
وترتفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر
وبصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقى ايضا منتبذا عنه
من عشائر اتتهم فلا يزال الملك ملجا فى الامة الى ان
تنكسر سورة العصبية منها او تفنى ساير عشائرها ستة الله
فى الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين واعتبر هذا بما
وقع فى الامم لها انقرض ملك عاد قام من بعدهم اخوانهم
من نمود ومن بعدهم اخوانهم العملاقة ومن بعدهم اخوانهم
من حمير ومن بعدهم اخوانهم التبابعة من حمير ايضا ومن
بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت الدولة لمصر وكذا الفرس
انقرض امر الكينية فهلك من بعدهم الساسانية حتى
تاذن الله بانقرضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض
امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب

(1) Man. B. غريزة. C. عريزة. D.

لما انقرض امر مغراوة وكتامة الهلوك الاول منهم رجع الى
 عنهاجة ثم الملمشين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقى
 من شعوب زناتة وهكذا ستة الله فى عباده وخلقه واصل
 هذا كله انما يكون بالعصبية وهى متفاوتة فى الاجيال
 والملك يخلقه الشرف ويذهبه كما سندكرة بعد فاذا انقرضت
 دولة فانها يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم
 التى عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لجميع
 العصبيات وذلك انما يوجد فى النسب القريب منهم
 لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب
 التى هى فيه او بعد حتى اذا وقع فى العالم تبديل كبير
 من تحويل ملّة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته
 فحينئذ يخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذى نأذن
 الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع لمتרחين غلبوا على
 الاسم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا
 مكبوحين عنه احقابا

فصل فى ان المغلوب مولع ابدا بالاعتداء بالغالب فى شعاره
 وزبه ونحلته وسائر احواله وعوايده

والسبب فى ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فيمن غلبها
 وانقادت اليه اما لنظره بالكمال بها وقر عندها من تعظيمه

او لما تغالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبيعى انها هو
لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها صار اعتقادا
فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو
الاقتداء او لما تراء والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس
بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انتحلت من العوايد والمذاهب
تغالط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع الى الاول فلذلك
ترى المغلوب يتشبه ابدا بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه
فى اتخاذها واشكالها بل وفى ساير احواله وانظر ذلك
فى الابناء مع ابائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دايبا وما
ذاك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار
كيف يغلب على اهله زى الحامية وجند السلطان فى
الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امّة تجاور
اخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا السببه
والاقتداء حظ كبير كما هو فى الاندلس لهذا العهد مع اسم
الجلالة فانك تجدهم يتشبهون بهم فى ملابسهم وشارانهم
والكثير من عوايدهم واحوالهم حتى فى رسم الثنائيل فى
الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك
الناظر بعين الحكمة انه علامة الاستيلاء والامر لله وتامل فى
هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من بابد اذ الملك
غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه

اقتداء الابناء بابائهم والمتعلمين بعلماهم والله العليم الحكيم

فصل فى ان الامة اذا غلبت وصارت فى ملكة غيرها
اسرع اليها الفناء

والسبب فيه والله اعلم ما يحصل فى النفوس من التكاثر
اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة
عليهم فيقصر الامل ويضعف والتناسل والاعتمار انما هو من
حدة الامل وما يحدث عنه من النشاط فى القوى الحيوانية
فاذا ذهب الامل بالتكاثر وذهب ما يدعو اليه من الاحوال
وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص
عمرانهم ونالشت مكاسبهم ومسايعهم وعجزوا عن المدافعة
عن انفسهم بما خصد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين
لكل متغلب طمعة لكل آكل وسواء كانوا حصلوا على غايتهم
من الملك او لم يحصلوا وفيه والله اعلم سراً اخر وهو ان
الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذى جعل له
والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزة تكاسل
حتى عن شبع بطنه ورعى كبده وهذا موجود فى اخلاق
الاناسى ولقد يقال مثله للحيوانات المفترسة وانها لا تسافد
اذا كانت فى ملكة الادميين فلا يزال هذا القبيل المهلوك
امرء عليه فى تناقص واضمحلال الى ان ياخذهم الفناء

والبقا لله وحده واعتبر ذلك في امّة الفرس كيف كانت
قد ملأت العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في ايام العرب
بقى منهم كثير واكثر من الكثير يقال ان سعدا احصى من
 وراء المداين فكانوا مائة الف وسبعة وثلاثين الفا منهم سبعة
 وثلاثون الفا رب بيت ولما تحصّلوا في ملكة العرب
 وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا وذئروا كأن لم يكونوا
 ولا تحسبن ذلك لظلم نزل بهم او عدوان شملهم فملكة
 الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان
 اذا غلب على امره وصار آلة لغيره ولهذا فانما يدعن للرق
 في الغالب امم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من
 عرض الحيوانات العجم كما قلناه او من يرجو بانتظام في
 رتبة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع للترك
 بالشرق والمعاوجا من الجلالقة والافرنجة بالاندلس فان
 العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يانفون من الرق لما
 يؤملون من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله اعلم

فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسايط

وذلك انهم بطبيعة التوحش التي فيهم اهل انتهاب وغيث
 بنهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر وبغزون
 الى متجمعهم بالفقر ولا يذهبون الى المزاخنة (1) والمحاربة الا اذا

1) مراجعة D. مراجعة B. مراجعة A. Man

دافعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم فهم
 ناركوه الى ما سهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتنعة عليهم
 باوعار الجبال بمنجاة عن عيهم وفسادهم لانهم لا يستسلمون
 اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما
 البسايط فمتى اقتدروا عليها بفقدان الحامية وضعف الدولة
 فهي نهب لهم وطعمة لاكلهم يرددون عليها الغارة
 والنهب والزحف لسهولتها عليهم الى ان يصبح اهلها مغلبين
 لهم ثم يتعاضدونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى
 ان ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه

فصل في ان العرب اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب

والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحكام عوايد
 التوحش واسبابد فيهم فصار لهم خلنا وجبلة وكان عندهم
 ملذوزا لما فيد من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد
 للسياسة وهذه الطبيعة منافية لل عمران ومناقضة له فغابة
 الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب وذلك مناقض
 للسكون الذي به العمران ومناف له فالجبر مثلا حاجتهم
 اليه لنصبة انا في للقدور فينقلونه من الباني ويخربونها
 عليه وبعدونه لذلك والخشب ايضا اما حاجتهم اليه
 ليعبدوا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون

السقف عليها لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على العموم وايضا فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رباحهم وليس عندهم في اخذ اموال الناس حد ينتهون اليد بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون انتهوه فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالغلب او الملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرب العمران وايضا فلانهم يكلفون على اهل الاعمال من الصنایع والحرف اعمالهم لا يرون لها قيمة ولا قسطا من الاجر والشئ والاعمال كما سنذكره هي اصل المكاسب وحقيقتها فاذا فسدت الاعمال وصارت سببانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقضت الايدي عن العمل واندعر الساكن وفسد العمران وايضا فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المفسد ودفع بعضهم عن بعض انما عنتهم (١) ما باخذونه من اموال الناس نهبا او مغرما فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما بعده من تسديد احوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن اعراض المفسد ورتبوا فرضوا العقوبات في الاموال حرصا على تحصيل الفائدة والحباية والاستكثار منها كما هو شأنهم وذلك ليس بمنع في دفع المفسد وزجر المتعرض

لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال العزم في جانب حصول العرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من ان وجود الملك خاصية طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك اول الفصل وايضا فهم متنافسون في الرئاسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه او كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره من اجل الحياء فيتعدد الحكم منهم والامراء وتختلف الايدي على الرعية في الجباية والاحكام فيفسد العمران وينتقص نال الاعرابى الوافد على عبد الملك لما ساله عن الحجاج واراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته بظلم وحده وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانهم واقفر ساكنه وبدلت الارض فيه غير الارض فاليمين قرارهم خراب الا قليلا من الامصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانهم الذي كان للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما اجاز اليهما بنو هلال وبنو سليم منذ عهد المائة الخامسة وتمرسوا بها ثلاثماية وخمسين من السنين قد لحقوا بها وعادت بسايطه خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومى كله عمراننا يشهد بذلك آثار العمران فيه

من العالم وتمثيل البناء وشواهد القرى والمدائن والله
وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

فصل فى ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة (1)

دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين

على الجملة

والسبب فى ذلك انهم لخلق التوحش الذى فيهم اصعب
الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة
فى الرياسة فقل ما تجتمع احوالهم فاذا كان الدين بالنبوات
او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر
والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم
من الدين الذهب للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد
والتنافس فاذا كان فيهم النبى او الولى الذى يبعثهم على
القيام بامر الله تعالى ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق
ويأخذهم بمحمودها ويؤلف كلمتهم لظهار الحق ثم اجتماعهم
وحصل لهم التغلب والهلك وهم مع ذلك اسرع الناس
قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الهلكات وبرانها
من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب
المعاناة المتهى لقبول الخير ببقاياه على الفطرة الاولى وبعده
عها ينطبع فى النفس من قبس العوايد وسوء الهلكات فان

(1) Man B et D. صيغة C. صنعة.

كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

فصل فى ان العرب ابعد الاسم عن سياسة الهلك

والسبب فى ذلك انهم اكثر بدواة من ساير الامم وابتعد
مجالا فى القفر واغنى عن حاجات التلؤل وجوبها لاعتيادهم
الشطى وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد
بعضهم لبعض لا يلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم
غالبا للعصبية التى بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان
ملكهم وترك مراغمتهم ليلا يختل عليه شأن عصبية فيكون
فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الهلك والسلطان تقتضى
ان يكون الساييس وازعا بالقهر والا لم تستقم سياسة وايضا
فمن طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما فى ايدي الناس خاصة
والنجانى عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم
عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع
باخذ ما فى ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام
بينهم ورتما جعلوا العقوبات على الهفاسد فى الاموال حرصا
على تكثير الجبايات وتحصيل الفوايد فلا يكون ذلك
وازا ورتما يكون باعنا بحسب الاغراض الباعثة على الهفاسد
واستهانة ما يعطى من ماله فى جانب عرضه فتنمو الهفاسد
بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كانهما فوضى
مستظيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران

ويخرب سريعا شأن الفوضى كما قدّمناه فبعدت طباع العرب
لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد
انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة (١) دينية تمحو ذلك منهم
وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحملهم على دفاع الناس
بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة
لما شيّد لهم الدين امر السياسة بالشرعية واحكامها المراعية
لمصالح العمران ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ
ملكهم وقوى سلطانهم كان رستم لما راي المسلمين
يجتمعون للصلاة يقول اكل عهر كبدي يعلم الكلاب الآداب
ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة اجيال نبذوا
الدين فسوا السياسة ورجعوا الى فقرهم وجهلوا شأن عصبيتهم
مع اهل الدولة ببعدهم عن الانقياد واعطاء النصف فتوحشوا
كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا اند للخلفاء وهم
من جيلهم ولما ذهب امر الخلافة وامتحا رسمها انقطع الامر
جملة من ايديهم وغلب عليه العجم دونهم واقاموا بادية في
قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسة بل قد يجهل الكثير منهم
انهم كان لهم ملك في القديم وما كان لاحد من الامم
في الخليفة ما كان لاجيالهم من الملك ودول عاد ونمود
والعائلة وحبير والتابعة شاهدة بذلك ثم دولة مصر في

الاسلام بنى امية وبنى العباس لكن بعدهم عهد بالسياسة لما
نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة وقد يحصل لهم
فى بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما فى
المغرب لهذا العهد فلا يكون مآله وغايته الا تخريب ما
يستولون عليه من العمران كما قدّمناه والله خير الوارثين

فصل فى ان البدوى من القبائل والعصايب مغلوبون لاهل الامصار

قد تقدّم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر
والامصار لان الامور الضرورية فى العمران ليس كلها موجودة
لاهل البدو وانما يوجد لديهم وفى مواطنهم امور الفساح
وموادها معدومة ومعظمها الصنایع فلا يوجد لديهم بالكلية من
تجار وخطاط وحدّاد وامثال ذلك مما يقيم لهم ضرورات
معاشهم فى الفساح وغيره وكذا الدراهم والدنانير مفقودة
لديهم وانما بايددهم اعراضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان
او فضلانه البانا واوبارا واشعارا واهابا مما يحتاج اليه اهل
الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدراهم الا ان حاجتهم الى
الامصار فى الضرورى وحاجة اهل الامصار اليهم فى الحاجى
والكمال فهم محتاجون الى الامصار فى الضرورى بطبيعة
وجودهم فيها داموا فى البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء

على الامصار فهم محتاجون الى اهلها ومتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوهم الى ذلك وطالبوهم به فان كان في مصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في مصر ملك فلا بد فيه من رئاسة ونوع استبداد من بعض اهلها على الباقين والا انتقض عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعى في مصالحه اما طوعا ببذل المال لهم ثم يبيع لهم ما يحتاجون اليه من الضرورات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تهت قدرته على ذلك ولو بالتضريب بينهم حتى يحصل له فريق منهم يغالب به الباقين فيتنظر الاخرين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم ورتبها لا يسعهم مفارقة تلك النواحي الى جهات اخرى لان كل النواحي والجهات معمور بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعوها من غيرهم فلا يجد هؤلاء ما يجاء الا طاعة مصر واهله فهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله القاهر فوق عباده لا رب غيره ولا معبود سواه

بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد لله رب العالمين) وعلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول

والهلك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض فى ذلك
كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

فصل فى ان الملك والدول العامة انما تحصل
بالقبيل والعصبية والشوكة

وذلك انه قد قررنا فى الفصل الاول ان المغالبة
والممانعة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعرة
والثأمر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك
منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية
والشهادات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه التنافس غالبا
وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع الهارعة
وتنضى الى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع
الا بالعصبية كما ذكرناه ايضا وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور
بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تمهيد الدول منذ
اولها وطال امد مرابهم فى الحضارة وتعاقبهم فيها جيلا بعد
جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب
الدولة قد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء
عن العصبية فى تمهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من
اوله وما لقى اولهم من الهتاع ودوند وخصوصا اهل الاندلس
فى نسيان هذه العصبية وانرها لطول الامد واستغنائهم فى الغالب

عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم وخلا من العصايب والله
قادر على ما يشاء

فصل فى انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى
عن العصبية

والسبب فى ذلك ان الدول العامة فى اولها يصعب على
النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للغرابة وان
الناس لم يالفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة
فى اهل النصاب المخصوص بالملك فى الدولة وتوارسوه
واحدا بعد اخر فى اعتاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت
النفوس شان الاولوية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة
الرياسة ورسخ فى العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس
معهم على امرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا
حينئذ فى امرهم الى كبير عصابة بل كان طاعتها كتاب من
الله لا يبدل ولا يعلم خلافه ولا امر ما يوضع الكلام فى الامامة آخر
الكلام فى العقائد الايمانية كانه من جملة عقودها ويكون
استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما
بالموالى والمصطنعين الذين نشؤا فى ظل العصبية (١) وغيرها واما
بالعصايب الخارجين عن نسبها الداخلين فى ولايتها ومثل

(١) Man. A. B. D. غيرها.

هذا وقع لبني العباس فان عصبية العرب كانت فسدت
لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهاهم بعد ذلك
انما كان بالموالى العجم والترك والديلم والساجوقية وغيرهم
ثم تغلب العجم والاولياء على النواحي وتقلص ظل الدولة
فلم يكن نعدوا اعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وملكوها
وصارت الخلايف في حكمهم ثم انقرض امرهم وملك
الساجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض
امرهم وزحف اخر الطغر فقتلوا الخليفة ومحو رسم الدولة
وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ الماية الخامسة
او ما قبلها واستمرت لهم الدولة متقلصة الظل بالمهدية
وبجانة والقلعة وسائر ثغور افريقية وربما انتزى بتلك الثغور
من نازعهم الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع
ذلك مسلم لهم حتى تاذن الله بانقراض الدولة وجاء
الموحدون بقوة قوية من العصبية في المصامدة فمحو آثارهم
وكذا دولة بنى امية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من
العرب استولى ملوك الطوائف على امرها واقتسموا خطتها
ونافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزى كل واحد منهم
على ما كان في ولايته وشمخ بانفه وبلغهم شأن العجم مع
الدولة العباسية فتلقبوا بالقباب الملك ولبسوا شارانه وامسوا
من ينقض ذلك عليهم او بغيره لان الاندلس ليست بدار

عصايب ولا قبائل كما سنذكره واستمر لهم ذلك كما
قال ابن شرف

مها يزهدي في ارض اندلس اسما معنصم فيها ومعنصم
القاب مملكة في غير موضعها كالبتر، يحكى انفاخا صورة الاسد

فاسنظهموا على امرهم بالهوالى والمصطنعين والطرء على
الاندلس من ارض العدو من قبائل البربر وزناتة وغيرهم
اقتداء بالدولة في آخر امرها في الاستظهار بهم حين ضعفت
عصبية العرب استبد ابن ابي عامر على الدولة فكان لهم دول
عظيمة اسنبد كل واحد فيها بجانب من الاندلس وحظ كبير من
الملك على نسبة الدولة التى اقتسموها ولم يزلوا فى سلطانهم
ذلك حتى اجاز اليهم البحر المرابطون اهل العصبية القوية من
لمتونة فاستبدلوا بهم وازالوهم عن مراكزهم ومسحوا آثارهم ولم يقدروا
على مدافعتهم لفقدان العصبية لديهم فهذه العصبية يكون
تمهيد الدولة وحمايتها من اولها (وقد ظن الطرطوشى ان
حامية (١) الدول باطلاقهم الجند اهل العطاء المفروض مع الالهة
ذكر ذلك فى كتابه الذى سماه سراج الملوك وكلامه
لا يتناول تاسيس الدول العامة فى اولها وانما هو مخصوص
بالدول الاخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك فى النصاب
واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما ادركت الدول عند هرمها

(١) Man. A. et B. حاشية D. حياية .

وخلق جدّتها ورجوعها الى الاستظهار بالهوالى والصنایع ثم الى المستخدمين من ورايهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادركت دول الطوايف وذلك عند اختلال دولة بنى امية وانقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل امير بقطره وكان فى ايلة المستعين بن هود وابنه المظفر اهل سرقسطة ولم يكن بقى لهم من امر العصبة شئ لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلثاية من السنين وهلاكهم ولم ير الا سلطانا مستبدا بالملك عن عشائره قد استحكمت له صبغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقية العصبة فهو لذلك لا يناع فيه ويستعين على امره بالاجراء من المرتزقة فاطلق الطروشى القول فى ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ اول الدولة وانه لا يتم الا لاهل العصبة فتفطن انت له وافهم سر الله فيه والله يوتى ملكه من يشاء

فصل فى انه قد نحدث لبعض اهل النصاب الملكى
دولة تستغنى عن العصبة

وذلك انه اذا كان لعصبتك غلب كبير على الامم والاجيال وفى نفوس القايهين بامرهم من اهل القاصية اذعان لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانتبذ عن مقر ملكه ومنبت عزه اشتلوا عليه وقاموا بامرهم وظاهروه على شأنه وعنوا بتمهيد

دولته يرجون استقراره فى نصابه وتناوله الامر من يد اعيانه ولا يطمعون فى مشاركته فى شى من سلطانه تسليمًا لعصبيته وانقيادًا لما استحکم له ولقومه من صبغة الغلب فى العالم وعقيدة ايمانية استقرت فى الازعان لهم فلو راموا معد او دونه لزلزلت الارض زلزالها وهذا كما وقع للدارسة بالمغرب الأقصى والعبيديين بافريقية ومصر لما انتبذ الطالبيون من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسموا الى طلبها من ايدى آل العباس بعد ان استحکمت الصبغة لبنى عبد مناف لبنى امية اولا ثم لبنى هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقاموا بامرهم البرابرة مرة بعد اخرى فاروية ومغيلة للدارسة وكتامة وصنهاجة وهوارة للعبيديين فشيّدوا دولتهم ومهدوا بعصايتهم امرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية ولم يزل ظل الدولة يتغلّص وظل العبيديين يمتد الى ان ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم فى الممالك الاسلاميّة شقّ الأبلّة وهؤلاء البرابرة القايمون بالدولة مع ذلك كله مسلمون للعبيديين امرهم مذنون لملكهم وانما كانوا ينافسون فى الرتبة عندهم خاصّة نسليًا لما حصل من صبغة الملك لبنى هاشم ولما استحکم من الغلب لقريش ومضر على ساير الامم فلم يزل الملك فى اعقابهم الى

انقراض دولة العرب بأسرها والله يحكمكم لا معقب
لحكمه

فصل في ان الدول العامة للاستيلاء العظيمة الملك اصلها
الدين اما من نبوة او دعوة حق

وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والغلب انما
يكون بالعصبية واتفاق الاهواء على المطالبة وجمع القلوب
وتأليفها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى
لو انفقنا ما في الارض جميعا ما آلت بين قلوبهم وسره
ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا
حصل التنافس وفيما الخلاف واذا انصرفوا الى الحق
ورفضت الدنيا والباطل وافبلت على الله اتحدت وجهتها
فذهب التنافس وقيل الخلاف وحسن التعاون والنعاقد
واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدول كلها نسبتين
لك بعد

فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة
على قوة العصبية التي كانت لها من عددها

والسبب في ذلك كما قدّمناه ان الصبغة الدينية تذهب
بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتفرّد الوجهة

الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار فى امرهم لم يقف لهم شئ لان الوجهة واحدة وال المطلوب متساو عند جميعهم وهم مستميتون عليه واهل الدولة التى هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فان اغراضهم متباينة بالباطل ونحاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعالجهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدّمناه وهذا كما وقع للعرب فى صدر الاسلام فى الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين الفا فى كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين الفا بالقادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدى اربعماية الف فلم يقف للعرب احد من الجانبين وهزمهم وغلبوهم على ما بايدهم واعتبر ذلك ايضا فى دولة لمتونة ودولة الموحيدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير مما يقاومهم فى العدد والعصبية او يشق عليهم الا ان الاجتماع الدينى ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماناة كما فلناه فلم يقف لهم شئ واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف ينتقض الامر وبصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فيغلب الدولة من كان تحت يدها من العصاب المكافية لها او الزائدة القوة عليها الذين غلبتهم بمضاعفة الدين لقوتها وكانوا اكثر عصبية منها او اشدّ بدواة واعتبر هذا فى

الموحدين مع زناتة لما كان زناتة ابدا من المصامدة واسعد
توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينيّة بانباع المهدي فلبسوا
صبغتها وتضاعف قوة عصبيّتهم بها فغالوا على زناتة اولا
واستبغوههم وان كانوا من حيث العصبيّة والبداءة اشدّ منهم
فلما حالوا عن تلك الصبغة الدينيّة انتقضت عليهم زناتة
من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعوه والله غالب على
امره

فصل في ان الدعوة الدنيّة من غير عصبيّة لا ننتم

وهذا لما قدّمناه من ان كل امر يحمل عليه الكافة فلا بدّ
له من العصبيّة وفي الحديث كما مرّ ما بعث الله نبيا
الا في منفعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى
الناس بخرق العوايد فيها ظنّك بغيرهم ان لا تخرق له
العادة في الغلب بغير عصبيّة وقد وقع هذا لابن قسسى
شيخ المتصوّفة وصاحب كتاب خلع النعيل في التصوّف
ثار بالاندلس داعيا الى الحق وسمى اصحابه بالمرابطين
فبيل دعوة المهدي فاستتبّ له الامر قليلا بشغل ليهونة بما
دفعهم من امر الموحدين ولم يكن هناك عصايب ولا قبائل
يدفعونه عن شانه فلم يلبث حتى استولى الموحدون على
المغرب ان اذعن ودخل في دعوتهم بايعهم من معقله

بحصن اركش وامكنهم من ثغره وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين (ومن) هذا الباب احوال الثوار القايعيين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا من المستحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من الامراء داعيين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف رجاء في الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والتهلبسون بهم من الغواء والدهما ويعرضون بانفسهم في ذلك للمهلك واكثرهم يهلكون في ذلك السبيل مازورين غير ماجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فليقلبه واحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناها الا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء في دعوتهم الى الله بالعصايب والعشاير وهم المؤيدون من الله لو شاء لا بدعهم بالكون كله لكنه انما اجرى الامور بحكمته على مستقر العادة فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من الملبسين بذلك في طلب الرياسة فاجدران تعوقه العوايق وينقطع

به الهلاك لانه امر الله لا يتم الا برضاه واعانته والاخلاص له
والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب
فيه ذو بصيرة واول من ابتدا هذه النزعة في الملة ببغداد
حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامين وابطاء المامون بخراسان
عن مقدم العراق ثم عهد لعلى بن موسى الرضى من آل
الحسين فكشف بنو العباس وجه التكبر (١) عليه وتداعوا للقيام
وخلع طاعة المامون والاستبدال منه وبويع ابراهيم بن
المهدى فوقع الهرج ببغداد وانطلقت ايدى الدعاة بها
من الشطار والحريّة على اهل العافية والصون وقطعوا
السبيل وامتلأت ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانيّة
فى الاسواق واستعدا اهلها الحكّام فلم يعدوهم فتواصر اهل
الدين والصلاح على منع الفساد وكف عاديّتهم وقام ببغداد
رجل يعرف بخالد الدريوس ودعا الناس الى الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقاتل اهل الدعاة وغلّبهم
واطلق يده فيهم بالضرب والتكيل (ثم) قام من بعده رجل
اخر من سواد اهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة الانصارى
ويكنى ابا حاتم وعلق مصحفا فى عنقه ودعا الى الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه

(١) Man D. التكبر.

فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بنى هاشم فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من اخاف (1) المارة ومنع الخفارة لاولئك الشطار وقال له خالد الدريوش انا لا اعيب على السلطان فقال له سهل لكى اقاتل كل من خالف الكتاب والسنّة كائنا من كان وذلك سنة احدى ومايتين وجهز ابراهيم بن المهدي اليه العساكر فغلبه واسره وانحل امره سريعا وذهب ونجا بدما نفسه (ثم) اقتداه بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين ياخذون انفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون في اقامته من العصبية ولا يشعرون بمغبة امرهم ومآل احوالهم والذي يحتاج اليه في امره ولا اما المداواة ان كانوا من اهل الجنون واما التنكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا هرجا واما اذاعة (2) السخرياء منهم وعدّهم في جملة الصناعين (3) (وقد) ينتسب بعضهم الى الفاطمي المنتظر اما بانه هو او داع له وليس مع ذلك على علم من امر الفاطمي ولا ما هو واكثر المنتحلين لمثل هذا نجدهم موسوسين او مجانيين او ملبسين (4) يطلبون بمثل هذا الدعوى رياسة امتلاءت بها جوانحهم وعجزوا عن التوصل اليها بشئ من اسبابها

(1) Man. A. et B. اصافى

(2) Man. C. اراغة.

(3) Man. A. et C. الصغاعين D. الصباعين.

(4) Man. C. ملبسين D. ملتبسين.

العاديّة فيحسبون ان هذا من لاسباب البالغة بهم الى ما
يؤملونه من ذلك ولا يحتسبون ما ينالهم من الهلكة فيسرع
اليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد
كان لاول هذه الماية خرج بالسوس رجل من المتصوّفة
يدعى التويزرى عمد الى مسجد ماسة بساحل البحر
هنالك وزعم انه الفاطمي المنتظر تلبيسا على العامة
هنالك بما ملاء قلوبهم من الحدّثان بانتظاره وان من
ذلك المسجد يكون اصل دعوته فتهافت عليه طوائف من
عامّة البربر تهافت الفراش ثم خشي رؤساوهم اتساع نطاق
الفتنة فدس اليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسيوى من
قتله فى فراشه (وكذلك) خرج فى غمارة لاول هذه الماية
ايضا رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوى واتبع
نعيقه الارذلون من سفهاء تلك القبائل وغمارهم وزحف الى
بادس من امصارهم فدخلها عنوة ثم قتل لاربعين يوما من
ظهور دعوته ومضى فى الهاكين الاولين وامثال ذلك كثير
والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية فى مثلها واما ان
كان التلبيس فاحرى ان لا يتم له امر وان يئو بائع ذلك
جزاء الظالمين

فصل فى ان كل دولة لها حصّة من الممالك والاطوان
لا تزيد عليها

والسبب فى ذلك ان عصابة الدولة وقومها القايين بها
الممهدين لها لا بدّ من توزيعهم حصصا على الممالك والثغور
التي تصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضاء
احكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فاذا توزعت
العصائب كلهم على الثغور والممالك فلا بدّ من نفاذ
عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ الى حد يكون نفرا للدولة
وتحما لوطنها ونطاقا لمركز ملكها فان تكلفت الدولة بعد
ذلك زيادة على ما بيدها بقى دون حامية وكان موضعها
لانتهاز الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على
الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما
كانت العصابة موفورة ولم ينفد عددهم فى توزيع الحصص
على الثغور والنواحي بقى فى الدولة قوة على تناول ما وراء
الغاية حتى ينفسخ نطاقها الى غايته والعلّة الطبيعيّة فى
ذلك ان قوة العصبيّة هى من ساير القوى الطبيعيّة وكل
قوة يصدر عنها فعل من الافعال فشأنها ذلك فى فعالها
والدولة فى مركزها اشدّ ممّا تكون فى الطرف والنطاق واذا
انتهت الى النطاق الذى هو الغاية عجزت وقصرت عمّا

وراءه شأن الاشعة والانوار اذا انبعثت من المراكز والدوائر المنفسحة على سطح الماء من النقر عليه ثم اذا ادركها الهم والضعف فانما تاخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا يزال المركز محفوظا الى ان يتأذن الله بانقراض الامر جملة فحينئذ يكون انقراض المركز واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تصححل لوقتها فان المركز كالقلب الذى ينبعث منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهزم جميع الاطراف (وانظر) هذا فى الدولة الفارسية فان مركزها المداين فلما غلب المسلمون على المداين انقرض امر فارس اجمع ولم ينفع يزدجرد ما بقى بيده من اطراف ممالكه وبالعكس من ذلك الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلبهم المسلمون على الشام تحيَّزوا الى مراكزهم بالقسطنطينية ولم يصترهم انتزاع الشام من ايديهم فلم يزل ملكهم متصلا بها الى ان تأذن الله بانقراضه وانظر ايضا شأن العرب اول الاسلام لما كانت عصابتهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من السند والحبشة والافريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك والشغور ونزلوها حامية ونفذ عددهم فى تلك التوزيعات انصروا عن الفتوحات بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز

نلك الحدود ومنها تراجعت الدولة حتى تأذن الله بانقراضها
وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة
القايمين بها فى القلّة والكثرة عند نفاد عددهم بالتوزيع
بنقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله فى خلقه

فصل فى ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على
نسبة القايمين بها فى القلّة والكثرة

والسبب فى ذلك ان الملك انما يكون بالعصبية واهل
العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة واقطارها
ويقتسمون عليها فما كان من الدول العامة قبيلها واهل
عصابتها اكثر كانت اقوى واكثر ممالك واوطانا وكان ملكها
اوسع لذلك واعتبر ذلك بالدولة الاسلامية لها ألف الله
كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين فى غزوة تبوك
آخر غزوات النبى صلى الله عليه وسلم مائة ألف وعشرين (١)
الف من مصر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من اسلم
سهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب ما فى ايدي
الامم من الملك لم يكن دونه حمى ولا وزر فاستبيح حمى
فارس والروم اهل الدولتين العظيمتين فى العالم لعهدهم
والترك بالشرق والفرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس

(١) Man. C. et D. عشرة آلاف

وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك
 باقصى الشمال واسندلوا على الاقاليم السبعة (ثم) انظر بعد
 ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما
 كان قبيل كتامة الغاييين بدولة العبيديين اكثر من صنهاجة
 ومن المصامدة كانت دولتهم اعظم فهلكوا افريقية والمغرب
 والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما
 كان عددهم اقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك
 الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ اول امرهم
 (ثم) اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد الزناتة بنى
 مرين وبنى عبد الواد لما كان عدد بنى مرين لاول ملكهم
 اكثر من بنى عبد الواد كانت دولتهم اقوى منها واوسع
 نطاقا وكان لهم عليها الغلب مرة بعد اخرى يقال ان عدد
 بنى مرين لاول ملكهم كانوا ثلاثة آلاف وان عدد بنى عبد
 الواد كانوا الفا الا ان الدولة بالرغد وكثرة التابع كشرت من
 اعدادهم وهي على هذه النسبة فى اعداد المتغلبين لاول
 الملك يكون اتساع الدولة وقوتها (واما) طول امدها ايضا
 فعلى تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج
 الدولة انما هو بالعصبية فاذا كانت العصبية قوية كان المزاج
 نابعا لها وكان امد العمر طويلا والعصبية انما هى بكثرة العدد
 ووفرة كما قلناه والسبب الصحيح فى ذلك ان النقص

انما يبدا الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون امدها طويلا وانظر ذلك فى دولة العرب الاسلاميّة كيف كان امدها اطول الدول لا بنو العباس اهل المركز ولا بنو امية المتبذون بالاندلس ولم ينتقص امر جميعهم الا بعد الاربع مائة من الهجرة ودولة العبيديّين كان امدها قريبا من مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد معدّ المعز امر افريقية لبلكين بن زيرى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة الى حين استيلاء الموحدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة الموحدين لهذا العهد ناهز مائتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول فى اعمارها على نسبة الفاييين بها سنة الله التى قد خلت فى عباده

فصل فى ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل
ان تستحكم فيها دولة

والسبب فى ذلك اختلاف الاراء والاهواء وان وراء كل رأى منها وهوى عصبية تمنع دونها فيكثر الانتفاض على الدولة والخروج عليها فى كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية ممن تحتم يدها تظن فى نفسها

منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب منذ
 اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من
 البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاول
 الذى كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الفرنج شيئا وعادوا
 بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثخان من
 المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة
 والخروج والاخذ بدين الخوارج مرات عديدة قال ابن ابي
 زيد اريدت البرابرة بالمغرب اثني عشر مرة ولم تستقر كلمة
 الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا
 معنى ما ينقل عن عمر رضى الله عنه ان افريقية مفرقة
 لتلويب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصابات والقبائل
 السحامل لهم على عدم الادعان والانقياد ولم يكن العراق
 لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها
 من فارس والروم والكافة دهاء (1) اهل مدن وامصار فلما غلبهم
 المسلمون على الامر وانتزعوه من ايديهم لم يبق ممانع ولا
 مشاقق والبربر قبائلهم بالمغرب اكثر من ان تحصي وكلهم
 بادية واهل عصابات وعشاير وكلها هلكت قبيلة عادت
 الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة فطال امر
 العرب فى تهديد الدولة بوطن افريقية والمغرب وكذلك

(1) Man A et B. وهما.

كان الامر بالشام لعهد بنى اسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكنعان وبنى عيصو وبنى مدين وبنى لوط وادوم والارمن والعمالقة واكريكش (١) والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعا فى العصبية فصعب على بنى اسرائيل تمهيد دولتهم ورسومهم واضطرب عليهم الملك مرة بعد اخرى وسرى ذلك الخلفاء اليهم فاختلغوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موثد ساير ايامهم الى ان غابهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر امرهم عند الجلا والله غالب على امره وبكس هذا ايضا الاوطان الخلوة من العصبية يسهل تمهيد الدولة فيها وبكون سلطانها وادعا لقلّة الهرج والانتقاض ولا محتاج الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشأن فى مصر والشام لهذا العهد اذ هى خلوة من القبائل والعصبية كان لم يكن الشام معدنا لهم كما قلناه فملك مصر فى غاية الدعة والرسوم لقلّة الخوارج واحل العصايب انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصايبهم يغلبون على الامر واحدا بعد واحد ويستقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للعباسى من اعقاب الخلفاء ببغداد وكذا شأن الاندلس لهذا العهد فان عصبية ابن احمر سلطانها

لم تكن لاول دولهم بقوة ولا كانت لها كثرة انما كانوا
 اهل بيت من بيوت العرب اهل الدولة الاموية بقوا من
 ذلت الفل وذلك ان اهل الاندلس لما انقرضت الدولة
 العربية منهم وملحكتها البربر من لمتونة والموحدين سيموا
 ملكتهم وثقلت وطأها عليهم فاشربت القلوب
 بغضاهم ونكراهم وامكن الموحدون السادة في آخر الدولة
 كثيرا من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار بهم على
 سائهم من نملك حضرة مراكش فاجتمع من كان بفي بها
 من اهل العصبية القذية معادن من بيوت العرب تجافى
 بهم المنبت عن الحضارة والامصار بعض الشيء ورسوخا في
 السجدة مثل ابن هود وابن الاحير وابن مرزنيش فقام ابن
 هود بالامر ودعى بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق وحمل
 الناس على الخروج على الموحدين فبذروا اليهم العهد واحرجهم
 واستغل ابن هود بالامر بالاندلس ثم سها ابن الاحمر للامر
 رحالت ابن هود في دعوتة فدعا هو لابن ابي حفص صاحب
 افرقية من الموحدين وقام بالامر وناولها بعصابة قليلة من
 مرابند كانوا يستمنهم الرؤساء ولم يحتج لكثر منها لقادة
 العصاب بالاندلس وانها سلطان ورعية (ثم) استظهروا بعد
 ذلك على الطاغية بمن يجيز اليد البحر من اعياص زنازة
 فصاروا معد عصبية على الشاغرة والرباط ثم سها لصاحب

المغرب من ملوك زناتة امل في الاستيلاء على الاندلس وصار اولئك الاعياص عصابة ابن الاحمر على الامتناع منه الى ان تأثّل امره ورسخ والفقه النفوس وعجز الناس عن مطالبتة واورثه اعقابه لهذا العهد فلا تظنّ انه بغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدؤه بعصابة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان وطن الاندلس لقلة العسايب والقبائل فيه يستغنى عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غنى عن العالمين

فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد والتوغل في الترف وإيثار الدعة والسكون

اما الانفراد بالمجد فلان المجد كما قدّمناه انما هو بالعصبية والعصبية متألفة من عصابات كثيرة تكون واحدة منها اقوى من الآخر كلها فتغلبها وتستولى عليها حتى يصيرها جميعا في ضمنها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسرّه ان العصبية العائمة للقبيل هي مثل المزاج للمتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضع ان العناصر اذا اجتمعت متكافية فلا يقع منها مزاج اصلا بل لا بدّ يكون واحد منها غالبا على الآخر وبغلبته عليها يقع الامتزاج وكذلك العصبيات لا بدّ ان تكون واحدة منها هي الغالبة على الكل حتى يجمعها ويولفها

وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصبيات وهي موجودة في ضمنها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لقوم اهل بيت ورياسة فيهم ولا بد ان يكون واحد منهم رئيسا لهم غالبا عليهم فيتعين رئيسا للعصبيات كلها لغلب منبته بجميعها واذا تعين له ذلك (ومن) الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والانفة فيأنف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتحكم فيهم ويحى خلق البالد الذى فى طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكم لو كان فيهما الهة الا الله لفسدنا فيجده حينئذ انوف العصبيات ويكبح شكايهم عن ان يسموا الى مشاركته فى التحكم ويقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم فى الامر ناقة ولا جهلا فينفرد بذلك المجد بكليته ويدفعهم عن مساهمته فيه وقد يتم ذلك للاول من ملوك الدولة وقد لا يتم للثانى او الثالث على قدر مانعة العصبيات وقوتها الا انه امر لا بد منه فى الدول ستة الله فى عباده (واما) التوغل فى الرف فلان الامة اذا تغلبت وملكت ما بايدى اهل الملك قبلها كثر رياستها ونعمتها فتكثر عوايدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى انباء من قبلهم فى عوايدهم واحوالهم

ويصير لتلك النوافل عوايد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية ويتفاحرون في ذلك وبفاحرون فيه غيرهم من الامم في اكل الطيب ولبس الانيق وركوب الفاره وبناعى خلفهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التى للدول ان تبلغها بحسب قوتها وعوايد من قبلها ستة الله في خلقه (واما) ايثار الدعة والسكون فلان الامّة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايتها العلب والملك واذا حصلت الغاية انتضى السعى اليها

عجبت لسعى الدهريين وبينها فلما انتضى ما بيننا سكن الدهر فاذا حصل الملك اقصروا عن المتاعب التى كانوا يتكلفونها في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل نمرات الملك من الهباني والمساكن والملابس فيبنون القصور ويجرون المياه ويغرسون الرباض ويستمتعون باحوال الدنيا ويؤثرون الراحة على المتاعب ويتأنقون في احوال الملابس والمطاعم والآنية والفرش ما استطاعوا وبالفوق ذلك ويورثونه من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك يزايد فيهم الى ان يتاذن الله بامره

فصل فى انه اذا استحکمت طبيعة الملك من الانفراد
بالمجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم

وبيانه من وجوه الاول انها تقتضى الانفراد بالمجد كما
قلناه ومهما كان المجد مشتركا بين العصابة وكان سعيهم له
واحدا كانت همهم فى التغلب على الغير والذب عن الحوزة
اسوة فى طموحها وقوة شكايبها ومرماهم الى العز جميع فهم
بستطيعون الموت فى بناء مجدهم ويؤثرون الهلكة على
فساده واذا انفرد الواحد منهم بالمجد قرع عصيهم وكبح من
اعتتهم واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن العز (١) وفشل
رحيمهم ورسموا المذلة والاستعباد ثم رعى الجيل الثانى
على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء اجرا من السلطان
لهم على الحماية والهيمنة لا يجرى فى عقولهم سواه وقتل ان
يسأجر احد نفسه على الهوت فيصير ذلك وهنا فى الدولة
وخضدا من الشوكة وتقبل به على مناحى الضعف والهرم
لفساد العصبية بذهاب الباس من اهلها الوجه الثانى ان
طبيعة الهلك تقتضى الترف كما قدمناه فتكثر عوايدهم
وتزبد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفى دخلهم بخرجهم فالفقر
منهم يهلك والمترف يستغرق عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك

(١) Man. A. et B. الغزو.

في اجيالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوايده وتمسّهم الحاجة ويطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة عنها فيوقعون بهم العقوبات وينزعون ما في ايدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم او يوثرون به ابناءهم وصنایع دولتهم فيضعفون هم لذلك عن اقامة احوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم وايضا اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاوهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح غلهم والجبایة مقدارها معلوم لا يزيد ولا ينقص وان زادت بما يستحدث من الكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الجبایة على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحامية حينئذ عما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحامية وثالثا ورابعا الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحامية لذلك وتسقط قوة الدولة وتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من تحت ايديها من العسايب (1) والقبایل وينأذن الله فيها بالفناء الذي كنبه على خليقته وايضا فالترف مفسد للخلق بما يحصل

(1) العسايب. Man. A. et B.

في النفس من الشر والسفسفة وعوايدها كما يأتي في فصل
الحصارة فيذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على
الملك. ودليلا عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر
فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك
في خليقته وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتتضعض احوالها
وتنزل بها امراض مزمنة من الهرم الى ان يقضى عليها
الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضى الدعة كما ذكرناه
واذا اتخذوا الدعة والراحة مألفا وخلقا صار لهم ذلك طبيعة
وجبة شأن العوايد كلها وايلانها فتربا احيالهم الحادثة في عضارة (1)
العيش ومهاد الترف والدعة وينقلب خلق التوحش وينسون
عرايد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس وتعود
الافتراس وركوب البيداء وهداية القفر (2) فلا يفرق بينهم
وبين السوق من الحضرة في الثقافة والشارة فتضعف
حمايتهم ويذهب بأسهم وينخذل شوكتهم ويعود وبال ذلك
على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون
تلتوتون (3) بعوايد الترف والحصارة والسكون والدعة ورقة
الحاشية في جميع احوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك
يبعدون عن البداوة والخشونة وينساحون عنها شيئا فشيئا

(1) Man. A. et B. غصادة.

(3) Man. D. يتلوتون.

(2) Man. D. هواية القفر

وينسون خلق البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية اخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك في الدولة التي انحارها في الصحف لديك تجد ما قلت لك من ذلك صحيحا من غير ربة وربما يحدث في الدولة اذا طرقها هذا الهرم بالشرف والراحة ان يتخير صاحب الدولة انصارا وشيعا من غير جلدتهم ممن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكونون اصبر على الحروب واقدر على معاناة الشدايد من الجوع والشطف ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه يطرقها حتى يباذن الله فيها بامرهم وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق فان غالب جندها الموالي من الترك فيتخير ملوكهم من اولئك الهالك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون اجرا على الحرب واصبر على الشطف من ابناء المياليك الذين كانوا قبلهم وربوا في ماء النعيم والسلطان وظلّه وكذلك في دولة الموحدين بافريقية فان صاحبها كثيرا ما يتخذ احباده من زناتة والعرب ويستكثر منهم ويترك اهل الدولة المتعودين للشرف فتستجد الدولة بذلك عمرا اخر سالما من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كالاشخاص

اعلم ان العمر الطبيعي للاشخاص على ما زعم الاطباء والمنجمين

مائة وعشرون سنة وهى سنو القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر فى كل جيل بحسب القرات فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القرات مائة تامة وبعضهم خمسين او ثمانين او سبعين على ما تقتضيه ادلة القرات عند الناظرين فيها واعمار اهل هذه الهة ما بين الستين الى السبعين كما فى الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعى الذى هو مائة وعشرين الا فى الصور النادرة وعلى الاوضاع الغربية من تلك كما وقع فى شأن نوح عليه الصلاة والسلام وقليل من قوم عاد ونيهود واما اعمار الدول ايضا وان كان يختلف بحسب القرات الا ان الدولة فى الغالب لا تعدو اعمار ثلاثة اجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين الذى هو انتهاء النمو والنمو الى غايته قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويوبده ما ذكرناه فى حكمة التيه الذى وقع لبنى اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل اخر لم يعهدوا الدل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين فى عمر الجيل التى هى عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة فى الغالب لا يعدو ثلاثة اجيال لان الجيل الاول لم يزلوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شطف العيش والبسالة

والافتراس والاشتراك فى المجد فلا تزال بذلك سورة
العصبية محفوظة فيهم فحدّهم مرهف وجانبهم مرهوب
والناس لهم مغلوبون والجيل الثانى تحول حالهم بالملك
والرفه من البداوة الى الحضارة ومن الشطف الى الترف
والخصب ومن الاشتراك فى المجد الى انفراد الواحد به
وكسل الباقين عن السعى فيه ومن عز الاستطالة الى ذل
الاستكانة فتكسر سورة العصبية بعض الشيء وينس منهم
المهانة والخصوع ويبقى لهم لكثير من ذلك بما ادركوا
الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم
الى المجد وتراميهم الى المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك
ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب وبكونون على رجاء
من مراجعة الاحوال التى كانت للجيل الاول او على ظن
من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة
والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم
فيه من ملكة القهر ويبلغ الترف فيهم غاية بما تبكوه من
النعيم وعصارة العيش فيصيرون عيالا على الدولة ومن جملة
النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية
بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على
الناس فى الشارة والزرق وركوب الخيل وحسن الثقافة يهون
بها وهم فى الاكثر اجبن من النسوان على ظهورها فاذا

جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة ويستكثر بالموالى ويصطنع من يغنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فنذهب الدولة بها حملت فهذه كما تراه ثلاثة اجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلقها ولذلك كان انقراض الحسب فى الجيل الرابع كما مر فى ان المجد والحسب انما هو فى اربعة آباء وقد انيناك فيه ببرهان طبعى ظاهر مبنى على ما مهّدهنا قبل من المقدمات فتأمله فلن يعدو وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة اعمارها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدو الدولة فى الغالب هذا العير بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عارض اخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا مستويا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لها وجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزبد الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجرى على السنة الناس فى المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصح لك عدد الآباء فى عمود النسب الذى تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استربرت فى عدّتهم وكانت السنوات الماضية منذ اولهم محصلة لديك

فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الالاء فان نفذت على هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح وان نقصت عند بحيل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب وان زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تاخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك صحيحا والله مقدّر الليل والنهار

فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعيّة للدولة فان الغلب الذى يكون به الملك انما هو بالعصبية وما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا الا مع البداوة فطور الدولة من اولها بدواة ثم اذا حصل الملك يتبعه الرفه واتساع الاحوال والحضارة انما هى تقس في الشرف واحكام الصنایع المستعملة فى وجوهه ومذاهبه من المطاييح والملابس والهيانى والفرش والآنية وسائر عوايد المنزل واحواله فلكل واحد منها صنایع فى استجاءته والتائق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتشغم باحوال الشرف وما تتلون به من العوايد فصار طور الحضارة واحوالها للدولة السالفة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم فى الغالب ياخذون (ومثل) هذا

وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وابنائهم ولم يكونوا لذلك العهد فى شىء من الحصار ففقد حكى انه قدم لهم المرفق فكانوا يحسبونه رقاعا وعثروا على الكافور فى خزائن كسرى فاستعملوه فى عجينهم مسلحا وامثال ذلك فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم واستعملوهم فى مهنتهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة فى امثال ذلك والقومة عليه افادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفتش فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفتش فى احواله فبلغوا الغاية فى ذلك وتطوروا بطور الحضارة والشرف فى الاحوال واستجادة الطاعم المشارب والملابس والمباني والاسلحة والفرش والآنية والغنا وساير الماعون والخرى وكذا احوالهم فى ايام المباشرة والولايم وليالى الاعراس فانوا من ذلك وراء الغاية (وانظر) ما نقله المسعودى والطبرى وغيرهما فى اعراس المامون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل ابوها لحاشية المامون حين وافاه فى خطبتها الى داره بقم الصالح وركب اليها فى السفين وما انفق فى املاكها وما نحلها المامون وانفق فى عرسها تنفق من ذلك على العجب (فينه) ان الحسن ابن سهل نشر يوم الاملاك فى الصنيع الذى حضره حاشية المامون فنشر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملتوتة على

PROLEGOMENES
U. H. Khalid, ed.

الرقاع' بالضياع والعقار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما اذاه اليه الاتفاق والبخت وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد ان انفق في مقامة المامون بداره اصعاف ذلك (ومنه) ان المامون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصة من الياقوت واوقد شموع الغبر في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلاثين وبسط لها فرشاً كان الحصر منها منسوجاً بالذهب مكللاً بالدرّ والياقوت وقال المامون حين رآه قائل الله ابا نواس كانه ابصر هذا حيث يقول في صفة الخمر

كان صغرى وكبرى من فواقعها حصا در على ارض من الذهب

واعدّ بدار الطيخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة واربعين بغلا مدّة عام كامل ثلث مرّات في كل يوم وفنى الحطب لليشّد واوقدوا الجريد يصبّون عليه الزيت واوعز الى النواينة باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصر الملك بمدينة المامون لحضور الوليمة فكانت الحراقات المعدّة لذلك ثلاثين الفا اجازوا الناس فيها اخريات نهارهم وكثير من هذا وامثاله (وكذلك) عرس المامون بن ذى النون بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حيان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من

البدواة عاجزين عن ذلك جملة لفقدان اسبابه والقائمين على صنایعه فى غضاظنتهم وسذاظنتهم یدکر ان الحجاج اولم فى اختان ولده فاستحضر بعض الدهاقین یسأله عن ولایم الفرس وقال له اخبرنى باعظم صنیع شهدته فقال نعم ایها الامیر شهدت بعض مراربة كسرى قد صنع لاهل فارس صنیعا احضر فيه صحافى الذهب على اخونه الفضة اربعا على كل واحد وبحمله اربع وصایف وبجلس علیه اربع من الناس فاذا طعموا انبعوا اربعتهم المایدة بصحافها ووصایفها فقال الحجاج یا غلام انحر الجزور واطعم الناس وعلم انه لا یستقل بهذه الابهة وكذلك كانت (ومن هذا الباب) اعطیة بنى امیة وجوانبهم فانما كان اكثرها كابل اخذا بمذاحب العرب وبدأوتهم ثم كانت الجوايز فى دولة بنى العباس والعبيدیین ومن بعدهم ما علمت من احوال المال وتنحوت الثیاب واعداد الخیل بهراکبها وهكذا كان شأن كتامة مع الاغالبة بافريقية وبنى طغج بمصر وشأن لمتونة مع ملوك الطوائف بالاندلس والیوحیدین كذلك وشأن زنانة مع الموحیدین وحلم جراً تنتقل الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى امیة وبنى العباس وانتقلت حضارة بنى امیة بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحیدین وزنانة لهذا العهد وانتقلت حضارة

بنى العباس الى الديلم ثم الى الترك الساجوقية ثم الى الترك بمصر موالى بنى ايوب والى التتار بالعراقين وعلى قدر عظم الدولة يكون شأنها فى الحصار اذ امور الحصار من توابع الترف والترف من توابع الثروة والنعمة والثروة والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه اهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كلد فاعتبره وتفهمه تحده سجيحا فى العمران والدول والله وارث الارض ومن عليها

فصل فى ان الترف يزيد الدولة فى اولها قوة الى قوتها

والسبب فى ذلك ان القبيل اذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية فكثر العصابة واستكثروا ايضا من الموالى والصنائع وربيث اجيالهم فى جو ذلك النعيم والرغد فازدادوا بهم عددا الى عددهم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصابات حينئذ بكثرة العدد فاذا ذهب الجيل الاول والثانى واخذت الدولة فى الهرم لم يستقل اولئك الصنائع والموالى بانفسهم فى تأسيس الدولة وتمهيد ملكها لانهم ليس لهم من الامر شئ انما كانوا عيالا على اهلها ومعونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة (واعتبر) هذا بما وقع فى الدولة العربية فى الاسلام كان عدد

العرب كلها قلناه لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين ألفا أو ما بقاربها من مضر وقحطان ولما بلغ الشرف مبالغته في الدولة وتوفر نموهم بتوفر النعمة واستكثر الخلفاء من الموالى والصنایع بلغ ذلك العدد الى اضعافه (يقال) ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعمائة الف ولا يبعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحا اذ اعتبرت حاميتهم في الثغور الدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجند الحاملين سرير الملك والموالى والمصطنعين وقال المسعودى احصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة ايام المامون للانفاق عليهم وكانوا ثلاثين الفا بين ذكران واناث فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مايتى سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذى حصل للدولة وربى فيه اجيالهم ولا فعدد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريبا منه والله الخلاق العليم

فصل فى اطوار الدولة وكيف تختلف احوال اهلها فى
البداءة باختلاف الاطوار

اعلم ان الدولة تستقل فى اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكسب القايمون بها فى كل طور خلقا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله فى الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذى هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو

فى الغالب خمسة (الاول) طور الظفر وغلّب المدافع والمهاتع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من ايدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة فى هذا الطور اسوة قومه فى اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشئ لان ذلك هو مقتضى العصبية التى وقع بها الغلب وهى لم تزل بعد بحالها (الطور الثانى) طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكنهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة فى هذا الطور معنياً باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنائع والاستكثار من ذلك لجدة انوف اهل عصبته وعشيرته القاسمين له فى نسيبه الضاربين فى الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر ويصدّهم عن موارده ويردّهم على اعقابهم ان يخلصوا اليه حتى يقرّ الامر فى نصابه ويفرد اهل بيته بما يبنى من مجده فيعانى من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون فى طلب الامر واشدّ لانّ الاولين دافعوا الاجانب فكان ظهراؤهم على مدافعتهم اهل العصبية باجمعهم وهذا يدافع الاقارب ولا يظاهره على مدافعتهم الا الاقلّ من الابعاد فيركب صعباً من الامر (الطور الثالث) طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الآثام وبعد الصيت فيستفرغ وسعه فى

الجبابة وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها وتشديد الهانى الحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة والهباكل المرتفعة واجازة الوفود من اشراف الامم ووجوه القبائل وبث المعروف فى اهله هذا مع التوسعة على صنايعه وحاشيته فى احوالهم بالمال والجاه واعتراض (1) جنوده وادرار ارزاقهم وانصافهم فى اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر اثر ذلك عليهم فى ملاسهم وزيتهم وشكتهم ايام الرينة فيباهى بهم الدول المسالمة وبرهب الدول المجاورة وهذا الطور آخر اطوار الاستبداد من اصحاب الدول لانهم فى هذه الاطوار كلها مستقلون بارايهم بانون لعزمهم موضحون الطرق لمن بعدهم (الطور الرابع) طور القنوع والهسالية ويكون صاحب الدولة فى هذا قانعا بما بنا اولوه سلما لانظاره من الملوك واقتاله مقلدا للماضين من سلطنة يتبع آثارهم حذو النعل بالنعل وبقتفى طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان فى الخروج عن تقليدهم فساد امره وانهم ابصر بها بنوا من مجده (الطور الخامس) طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة فى هذا الطور متلغا لما جمع اولوه فى سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانتها وفى مجالسها واصطناع اخدان السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظييات الامور التى لا يستقلون

(1) Man A. et B. اعراض.

بحملها ولا يعرفون ما يابون وما يذرون منها مستفسدا لكبار
الاولياء من قومه وصنایع سلفه حتى يضطغوا عليه ويتخذوا
عن نصرته مضیعا من جنده بما انفق اعطيانهم فی شہوانه
وحجب عنهم وجه مباشرته وتفقده فيكون مخربا لها كان
سلفه يوتسون وهادما لما كانوا يبنون وفي هذا الطور يحصل
فی الدولة طبیعة الهرم ويستولى علیها المرض المزمن
الذى لا يكاد يخاض منه ولا يكون لها معه برء الى ان
تقرض كما نبیته فی الاحوال التى نسردها والله خير الرازيين
فصل فی ان اثار الدولة كلها على نسبة قوتها فی اصلها

والسبب فی ذلك ان الآثار انما تحدث عن القوة التى
بها كانت اولا وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك سبانی
الدولة وهياكلها العظيمة فانما يكون على نسبة قوة الدولة
فی اصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الايدى على
العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب
كثيرة الممالك والرعابا كان الفعلة كثيرين جدا وحشروا من
آفاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا
نرى الى مصانع قوم عاد ويهود وما قصه القرآن عنها وانظر
بالمشاهدة ايوان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى انه اعترم
الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاد عنه وشرع فيه ثم ادركه

العجز وقصة استشارته يحيى بن خالد فى شأنه معروفة فانظر كيف تقدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء فى السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بنى امية بقرطبة والقطرة التى على واديه وكذلك بناء الحنايا لجلب الماء الى قرطاجنة فى القناة الراكبة عليها وآثار شرشال بالغرب والاهرام ببصر وكثير من هذه الآثار المائلة للعيان تعلم منه اختلاف الدول فى القوة والضعف : واعلم ان تلك الافعال للاقدمين انها كانت بالهندام وباجتماع النعلة وكثرة الايدى عليها فبذلك شددت تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما نتوهمه العامة ان ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا فى اطرافها واقطارها فليس بين البشر فى ذلك كبير بون كما نجد بين الهياكل والآثار ولقد ولع القصاص بذلك وتغالوا فيه وسطروا عن عاد وثمود والعمالة والكنعانيين فى ذلك اخبارا عريضة فى الكذب من اغربها ما يحكون من عوج بن عناق رجل من العمالة (1) الذين قاتلهم بنو اسرائيل فى الشام زعموا انه كان لطوله يتناول السمك من البحر وبشويه فى الشمس ويزبدون الى جملهم باحوال البشر الجهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا ان

(1) Man.A et B. الكنعانيين.

للشمس حرارة وانها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون ان
الحَرّ هو الضوُّ وان الضوُّ فيما قرب من الارض اكثر لانعكاس
الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتتضاعف الحرارة
هنا لاجل ذلك واذا جاوزت مطارج الاشعة المنعكسه
فلا حرّ هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجارى السحب
وانما الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة انما هو جسم بسيط
مضى لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكره
من العمالقة او من الكنعانيين الذين كانوا فريسة بنى اسرائيل
عند فتحهم الشام واطوال بنى اسرائيل وجناتهم لذلك
العهد قريب من هياكلنا تشهد لذلك ابواب بيت
المقدس فانها وان خربت وجددت لم تزل المحافظة على
اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج
وبين اهل عصره بهذا المقدار وانما مشار غلطهم في هذا
انهم استعظموا آثار الاسم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع
والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة
فصرفوه الى قوة الاجسام وشدتها بعظم هياكلها وليس
الامر كذلك (وقد) زعم المسعودى ونقله من الفلاسفة
مزعما لا مستند له الا التحكم وهو ان الطبيعة التى هى جبلة
الاجسام لما براء الله الخلق كانت فى تمام الكثرة ونهاية
القوة والكمال فكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال

تلك الطبيعة فان طرء الموت انما هو بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية شأنه تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل يتناقص لتقصان المادّة الى ان بلغ هذه الحال التي هو عليها ثم لا نزال يتناقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا رأى لا وجد له الا التحكم كما تراه وليس له علّة طبيعية ولا سبب برهانيّ ونحن نشاهد مساكن الاولين ابوابهم وطرقيهم فيما احدثوه من البنيان والهيكل والديار والمساكن كديار نمود المنجونة في الصلد من الصخر بيوتا صغارا وابوابا صنيعة وقد اشار النبي صلى الله عليه الى انها ديارهم ونهى عن استعمال مياهم وطرح ما عجن به واحرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق ما قررناه ومن آثار الدول ايضا حالها في العراصة والولايم كما ذكرناه في ولاية بوران وصنيع الحجاج وابن ذي النون وقد مرّ ذلك كله (ومن) آمارها ايضا عطايا الدول وانها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو اشرفت على الهمم فان الهمم التي لايل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبيهم للناس والهمم لا نزال مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعتبر ذلك بجوانب ابن ذي يزن لو قد فرس كيف

اعطاهم من ارطال الذهب والفضة والاعبد والوصايف عشرة
عشرا ومن كرش الغنير واحدة واضعف ذلك بعشرة امثاله
لعبد المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمين خاصة تحت
استبداد فارس وانما حمله على ذلك همة نفسه بما كان
لقومه التابعة من الملك في الارض والغلب على الامم في
العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيين بافريقية ايضا
اذا اجازوا الوفد من امراء زناتة الوافدين عليهم فانما يعطونهم
المال احمالا والكساء تخوتا مهلوة والحمالان جنائب (1)
عديدة (وفى) تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة
(وكذلك) كان عطاء البرامكة وجوايزهم ونفقاتهم وكانوا اذا
اكسبوا معدما فانما هو الملك والولاية والنعمة اخر الدهر
لا العطاء الذى يستنفده يوم او بعض يوم واخبارهم فى
ذلك كثيرة مسطورة وهى كلها على نسبة الدول جارية
(وهذا) جوهر الصقلي الكاتب قايد جيش العبيديين لها
ارتحل الى فتح مصر استعد من القيروان بالف حمل من
المال ولا تنتهى اليوم دولة الى مثل هذا (وكذلك) وجد
بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى
بيت المال ببغداد ايام المامون من جميع الواحى ونقلته
من كتاب جراب الدولة (غلات) السواد سبعة وعشرون

(1) Man. A. et B. حنائب

الف الف درهم مكررة مرتين وسبعماية الف درهم وثمانون
 الف درهم (ابواب) المال بالسواد اربعة عشر الف الف درهم
 مرتين وثمان مائة الف درهم مرة ومن الحلل النجرائية مايتا
 حلة (1) ومن طين الختم مايتان واربعون رطلا (كسكر)
 احد عشر الف الف درهم مرتين وستماية الف درهم مرة
 كور دجلة) عشرون الف الف درهم مرتين وثمان مائة الف
 درهم مرة (الاهواز) خمسة وعشرون الف الف درهم مرة ومن
 السكر ثلاثون الف رطل (فارس) سبعة وعشرون الف الف
 درهم مرتين ومن ماء الورد ثلثون الف قارورة ومن الزبيب (2)
 الاسود عشرون الف رطل (كرمان) اربعة آلاف الف درهم
 مرتين ومايتا الف درهم مرة ومن المتاع البياضي خمسمائة
 نوب ومن التمر عشرون الف رطل ومن الكمون الف رطل
 (مكران) اربعماية الف درهم مرة (السند) وما يليه احد عشر
 الف الف درهم وخمسمائة الف درهم مرة ومن العود الهندي
 مائة وخمسون رطلا (سجستان) اربعة آلاف الف درهم مرتين
 ومن الشياح المعتبة ثلثماية ثوب ومن الفايند عشرون الف
 رطل (خراسان) ثمانية وعشرون الف الف درهم مرتين ومن
 نقر الفضة الفا نقرة (3) ومن البراذين اربعة آلاف دابة ومن

(1) Le m. A. et le m. B. ajoutent ثنتان (2) Man. A. et B ajoutent ثنان

(2) Man. A. et B. الزيت.

الريقق الف راس ومن الثياب سبعة وعشرون الف ثوب
ومن الاهليج ثلاثة آلاف رطل (جرجان) اثنا عشر الف الف
درهم مرتين ومن الابريسم الف شقة (قوس) الف الف درهم
مرتين وخمسمائة الف ومن نقر الفتنة الف (طبرستان)
والرويان ونهاوند ستة آلاف الف درهم مرتين وثلاثماية الف
ومن الفرش الطبرية ستمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ثمنان
ومن الثياب خمسمائة ثوب ومن المناديل ثلاثماية ومن
الجمامات ثلاثماية (الري) اثنا عشر الف الف درهم مرتين
ومن العسل عشرون الف رطل (همدان) احد عشر الف
الف درهم مرتين وثمانماية الف درهم مرة ومن رب
الرومانين الف رطل ومن العسل اثنا عشر الف رطل (مابين)
البصرة والكوفة عشرة آلاف الف درهم وسبعماية الف درهم
(ماسيدان) والربان اربعة آلاف الف درهم مرتين (شهرزور)
ستة آلاف الف درهم مرتين (الموصل) وما اليها اربعة
وعشرون الف الف درهم مرتين ومن العسل الابيض
عشرون الف رطل (اذربيجان) اربعة آلاف الف درهم
مرتين (الجزيرة) وما يليها من اعمال الفرات اربعة وثلاثون
الف الف درهم مرتين (الكرج) ثلاثماية الف درهم مرة
(كيلان) خمسة آلاف الف درهم مرتين ومن الرقيق الف
راس ومن العسل اثنا عشر الف زق ومن البراة عشرة ومن

الأكسية عشرون (أرمينية) ثلاثة عشر ألف درهم مرتين
ومن البسط المحفورة عشرون ومن الرقم خمسمائة وثمانون
رطلا ومن المايح (١) السورماهى عشرة آلاف رطل ومن الطريح
عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ثنتان ومن البزاة
ثلاثون (قنسرين) أربعمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار
ومن الزبيب ألف حمل (دمشق) أربعمائة ألف دينار وعشرون
ألف دينار (الأردن) ستة وتسعون ألف دينار (فلسطين) ثلثمائة
ألف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل
مصر) ألفا ألف دينار اثنان مرتين وتسعمائة ألف دينار
وعشرون ألف دينار (برقة) ألف ألف درهم مرتين (أفريقية)
ثلاثة عشر ألف ألف درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون
(اليمن) ثلثمائة ألف دينار وسبعون ألف دينار سوى المتاع
(الحجاز) ثلثمائة ألف دينار (وأما الأندلس) فالذى ذكره
الثقات من مؤرخيها أن الناصر عبد الرحمن ثامن ملوك
بنى أمية المتلقب بلقب الخلافة تركت في بيوت أمواله
عند الوفاة خمسة آلاف ألف دينار مكررة مرتين يكون جملتها
بالتقاطر خمسمائة قطار (ورأيت) في بعض تواريخ الرشيد أن
المحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف قطار من
دنانير الذهب وخمسمائة قطار في كل سنة (وأما دولة

(١) Man. A. المايح. man. D. المسايح.

العبيديين) فرايت في تاريخ ابن خلكان عند ما ذكر
 لأفضل أمير الجيوش بن بدر الجمالي الهستبد على خلفائهم
 بمصر انه لما قتل وجد في خزانته ستمائة الف الف
 دينار مكررة مرتين ومائتان وخمسون اردبا من الدراهم وما
 يناسب ذلك من ذخاير الفصوص واللآلى والاقهشة والامتعة
 والمراكب والحمولة (واما) هذه الدول الحادثة التي ادركناها
 فاعظمها دولة الترك بمصر وكان استفحالها ايام الناصر
 محمد بن قلاوون منهم وغلب عليه لاول دولته الاميران
 بيبرس وسلار ثم خلعه بيبرس واستبد بكرسيه وسلار
 رديف له فلما انتزع الناصر الملك من يده ونكب بعد
 مدة رديفه سلار واستصفي ذخيره فوفقت على جريدة
 احصايتها ومنها نقلت من الياقوت البرهماني والبالخش
 اربعة ارطال ونصف ومن الزمرد تسعة عشر رطلا ومن فصوص
 الماس وعين الهر ثلثمائة قطعة كبار ومن الفصوص المختلفة
 رطلان ومن اللؤلؤ المدور من زنة مثقال الى وزن حبة الف
 ومائة وخمسون حبة ومن الذهب العين الف الف دينار
 مكررة مرتين واربعماية الف مرة وفسقية مملوءة بالذهب
 صبيبا واكياس مملوءة ذهبا استخرجت من بين حايطين
 ولم يعلم عدتها ومن الدراهم الفا الف اثنان مكررة مرتين
 واحد وسبعون الفا ومن الحلى المصاغ اربعة قناطير الى ما

يناسب ذلك من الاقهشة والامتعة والمراكب والظهر والغلال
والسايمة والمهاليك والجواري والعقار (وبعدها) دولة بنى
مرين بالمغرب الاقصى ووقفت على جريدة فى خزانة
ملوكهم بخط صاحب المال عندهم حسون بن البواق ان
مخلف السلطان ابى سعيد بيت ماله سبعماية قنطار
ونيف من دنائير الذهب وفى موجوده مما سوى ذلك ما
يناسبه وكان السلطان ابى الحسن ابنه من بعده اكثر من
ذلك (ولما) استولى على تلمسان وجد فى ذخاير سلطانها
ابى تاشفين من ملوك بنى عبد الواد ثلثماية قنطار ونيف
من الذهب ما بين مسكوك ومصوغ الى ما يناسب ذلك
مما سواه (واما) ملوك افريقية المرحدين فادركت السلطان
ابا بكر تاسع ملوكهم وقد نكب قايدة وانا بىك عساكره
محمد بن الحكيم فاستغنى منه اربعين قنطارا من دنائير
الذهب ومد من الفصوص واللالى ونهب من فرش بيوته
فريب من ذلك الى ما يناسب ذلك من ساير المتهلكات
(وحضرت) بمصر ايام الملك الظاهر ابى سعيد برقوق وقد
نكب استدارة الامير محمود وصادره فاخبرنى منولى
مصادرتة ان مبلغ ما استغنى منه من الذهب الف الف
دينار مكررة مرتين وستماية الف الف دينار مرة واما ما سوى
ذلك من الاقهشة والمراكب والانعام والغلال والظهر فعلى

نسبة ذلك (فاعتبر) ذلك في نسبة الدول بعضها الى بعض ولا تنكرون ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شئ من امثاله فتضيق حوصلتك عن ملتقط الممكنات فكثير من الخواص اذا سمعوا امثال هذه الاخبار عن الدول السالفة بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود والعمران متفاوتة ومن ادركت منها رتبة سفلى او وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بنى العباس وبنى امية والعبيديين وقايسنا الصحيح من ذلك والذى لا نشك فيه بالذى نشاهده من هذه الدول التى هى اقل بالنسبة اليها وجدنا بينها بونا وهو لما بينها من التفاوت فى اصل قوتها وعمران ممالكها فالآثار كلها جارية على نسبة الاصل فى القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال فى غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستفيض والتواتر وفيها المعايين والمشاهد من آثار البناء وغيره فنخذ (1) من الاحوال المنقولة مراتب الدول فى قوتها او ضعفها وعظامتها وصغرها واعتبر ذلك بما نقصد عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك انه ورد على المغرب لعهد السلطان ابنى عنان من ملوك بنى مرين رجل من مشيخة

(1) يتخذ D. فحد. A. et B. Man. (1)

طنجة بعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض واكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند وباتى من احواله بما يستغرب السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج للسفرا حصى اهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة اشهر تدفع لهم من عطايه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر يرمى بها شكاير الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ايوانه وامثال هذه الحكايات فتساجى الناس في الدولة بتكذيبه ولقيت انا يوسف في بعض الايام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وارىته انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول

بما انك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك ان وزيراً اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس فلما ادرك وعقل سأل عن الاحمان التي كان يغتذى بها فاذا قال له ابوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم فيصفها له ابوه بشياتها ونعوتها فيقول يا ابت تراها مثل الفار فينكر عليه فيقول اين الغنم من الفار وكذا في لحم البقر والابل اذ لم يعاين في محبسه الا الفار فيحسبها كلها ابناء جنس للفار وهذا كثيرا ما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قدّمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهيمنا على نفسه ومميزاً بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شئ فلا يفرض حداً بين الواقعات وانما مرادنا الامكان بحسب المادّة التي للشئ فاذا نظرنا اصل الشئ وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم في (1) نسبة ذلك على احواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زد لي علماً

(1) Man. C. et D. من.

فصل فى استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالى والمصطنعين

اعلم ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم
عصابته وظهر اوه على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته
ومنهم يتقد اعمال مملكته ووزارة دولته وجباية امواله لانهم
اعوانه على الغلب وشركاؤه فى الامر ومساهموا فى ساير
مهتماته هذا ما دام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور
الثانى وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجد ودافعهم عنه
بالراح صاروا فى حقيقة الامر من بعض اعدايد واحتاج فى
مدافعتهم عن الامر وصدهم عن المشاركة الى اولياء اخرين
من غير جلدنهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون
اقرب عليه من سايرهم واختص به قربا واصطناعا واولى
ايشارا وجاها لما انهم يستيتون دونه فى مدافعة قومه عن
الامر الذى كان لهم والرتبة التى القوها فى مشاركتهم
فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمة
والايشار ويقسم لهم ما للكثير من قومه ويقدهم جليل الاعمال
والولايات من الوزارة والقيادة والجبابة وما يختص به نفسه
ويكون خالصة له دون قومه من القاب المملكة لانهم
حينئذ اولياء الاقربون ونصحاؤه المخلصون وذلك حينئذ

مؤذن باحتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد
العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب اهل
الدولة حيثئذ من الامتهان وعداوة السلطان فبسطغون عليه
وبترتصمون به الدواير وبعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع
في برها من هذا الداء لانه ما مضى يتأكد في الاعقاب
الى ان يذهب رسمها واعتبر ذاك في دولة بنى امية
كيف كانوا يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم برجال
العرب مثل عمرو بن سعد بن ابي وقاص وعبيد الله بن
زياد بن ابي سفيان والحجاج ابن يوسف والمهلب بن
ابي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابى هبيرة وموسى
ابن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي مرسى الاشعري ونصر بن
سيار وامثالهم من رجالات العرب فلما صارت الدولة للانفراد
بالمجد وكبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة
للعجم والصنائع من البرامكة وبنى سهل بن نوبخت
وبنى طاهر ثم بنى بويه وموالى الترك مثل بغا ووصيف
وانامش وباكيك وابن طولون وابنائهم وغير هؤلاء من
موالى العجم فتصير الدولة لغير من مهدها والعز لغير من
اجتلبه سنة الله في عباده

فصل فى احوال الموالى والمصطنعين فى الدول

علم ان المصطنعين فى الدول يتفاوتون فى الدولة بتفاوت قديهم وحديثهم فى الالتحام بصاحبها والسبب فى ذلك ان المقصود فى العصبية من الدافعة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر فى ذوى الارحام والقربى والتخاذل فى الاجانب والبعدا كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق او بالحلف تتنزل منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبيعيا فانما هو وهى والمعنى كان به الالتحام انما هو العشرة والمرافقة وطول الممارسة والصحبة بالمربا والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعمة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس واعتبر فى الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تتنزل هذه المنزلة وتؤكد اللحمة وان لم يكن نسباً فثمرات النسب موجودة فان كانت الولاية بين القبيل وبين اوليائهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقتها اوشج وعقايدھا اصح ونسبھا اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة فى حالهم فلا يتميز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فينزلون منهم منزلة ذوى قرباهم واهل ارحامهم واذا اصطنعوه بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد

عن الهوى ولاهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرئاسة والملك من تميز الرتب وتفاوتها فتتيز حالاتهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم اضعف والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثانى ان الاصطناع قبل الهلك يبعد اهله عن الدولة بطول الزمن ويخفى شأن تلك اللحمة ويظن بها فى الاكثر النسب فيقوى حال العصبية واما بعد الملك فيقرب العهد وبستوى فى معرفته الاكثر فتتبين اللحمة وتتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة الى الولاية التى كانت قبل الدولة واعتبر ذلك فى الدول والرياسات تجده فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرئاسة والملك لمصطنعه تجده اسد التحام به واقرب قرابة اليه ويتنزل منه منزلة ابناءه واخوانه وذوى رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الهلك والرئاسة لمصطنعه لا يكون له من القرابة واللحمة ما للاولين وهذا مشاهد بالعيان حتى ان الدولة فى آخر امرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناء المصطنعون قبل الدولة لقراب العهد حينئذ بساؤليتهم واشراف (1) الدولة على الانقراض فيكونون منسحقين فى مهاوى الضعة وانما يحمل

(1) Man. C. et D. مشاركة.

صاحب الدولة على اصطناعهم والعدل اليهم عن اوليائهم
 لاقدمين وصنائعها الاولين ما يعثريهم في انفسهم من العزة
 على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظرة بما ينظره قبيله
 واهل نسبه لتاكّد اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمربى
 والاتصال بأبائه وسلفى قومه والانتظام مع كبراء اهل بيته
 فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فيناظرهم بسببها
 صاحب الدولة وبعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد
 استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا يبلغون رتب المجد
 ويبقون على حالهم من الخارجيّة وهكذا شأن الدول في
 اواخرها واكثر ما يطلق اسم الصنائع والاولياء على الاولين
 واما هؤلاء المحدثون فخدم واعوان والده ولّى المؤمنين

فصل فيما يعرض فى الدول من حجب السلطان والاستبداد عليه

اذا استقر الملك فى نصاب معين ومنبت واحد من القبيل
 القابضين بالدولة وانفردوا به ودفعوا ساير القبيل عنه وتداوله
 بنوهم واحد بعد واحد بحسب الترشيع فربما حدث التغلب
 على المنصب من وزراءهم وحاشيتهم وسببه فى الاكثر
 ولاية صبي صغير او مضعف من اهل المنبت (١) يترشح
 للولاية بعد ابيه او يترشح ذويه وخوله ويونس منه العجز

(١) Man. D. البيت.

عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء ابيه او حاشيته ومواليه او قبيله وبورى بحفظ امره عليه حتى يونس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيجب الصبي عن الناس ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله ويسميّه في مراعيها متى امكنه ونسيه النظر في الامور السلطانية حتى يستبدّ عليه وهو بما عوده يعتقد ان حظّ السلطان من الملك انها هو جلوس السرير واعطاء الصفقة وخطاب التمويل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحلّ والعقد والامر والنهي ومباشرة الاحوال الهلوكية وتفقدتها من النظر في الجيش والبال والثغور انما هو للوزير وبسلم له في ذلك الى ان تستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويتحوّل الملك اليه ويورثه عشيرته وابناءه من بعده كما وقع لبنى بويد والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالمشرق وللمنصور ابن ابي عامر بالاندلس وقد يتفطن ذلك المحجور المغلب لسانه فيحاول على الخروج من ربة الحجر والاستبداد ويرجع الهلك الى نصابه ويضرب على يد المتغلب عليه اما بقتل او بدفع عن الرتبة فقط لا ان ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا اخذت في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف ونشأة ابناء الملك منغمسين في نعيمه قد

نسوا عهد الرجولية والفوا اخلاق الدايات ولاظار وربوا عليها
فلا ينزعون الى رئاسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انها
همهم في (١) القنوع بالابهة والفتن في اللذات وانواع الترف وهذا
التغلب يكون للموالى والمصطنعين عند استبداد عشير الملك
على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضرورى
كما قدمناه وهذان مرضان لا برء للدولة منها الا فى الاقل
النادر والله يوتى ملكه من يشاء

فصل فى ان المتغلبين دلى السلطان لا يشاركونه فى اللقب الخاص بالملك

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه منذ اول الدولة
بعصبية قومه وعصبية التي استتبعتهم حتى استحکمت
له ولقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها
انحفظ رسم الدولة وبقاوها وهذا المتغلب وان كان صاحب
عصبية من قبيل الملك او الموالى والصنائع فعصبية مندرجة
فى عصبية اهل الملك وتابعة لها وليس لها صبغة فى الملك
وهو لا يحاول باستبداده انتزاع الملك ظاهرا واتما يحاول انتزاع
نهرانه من الامر والنهى والحل والعقد والابرار والنقض يوهم
بذلك اهل الدولة انه متصرف عن سلطانه منفذ فى

(١) Man. A. et B. جههم القنوع.

ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات
الملك وشاراته والقباه جهده ويبعد نفسه عن الشبهة
بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر فى استبداده
ذلك بالحجاب الذى يضربه السلطان واولوه على انفسهم
من القبيل مذ اول الدولة ومغالط عنه بالنيابة ولو تعرض
لشئ من ذلك لنفسه غلبه اهل العصبية وقبيل الملك
وحاولوا الاستيثار به دونه لانه لم يستحكم له صبغة فى
ذلك تحملهم على التسليم له والانقياد فيهلك لاول وهلة
وقد وقع مثل هذا لعبد الرحمن بن المنصور بن ابي عامر
حين سما الى مشاركة هشام واهل بيته فى لقب الخلافة ولم
يقع بما قنع ابوه واخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم
التابعة فطلب من هشام خليفته ان يعهد له بالخلافة فنقم
ذلك عليه بنو مروان وسائر قريش وبايعوا لابن عم
الخليفة هشام ابن محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا
عليهم وكان فى ذلك خراب دولة العاصريين وهلاك
المويد خليفتهم واستبدل منه بسواه من اعياص الدولة الى
آخرها واختلت مراسم ملكهم والله خير الوارثين

فصل فى حقيقة الملك واصنافه

الملك منصب طبيعى للانسان لانا قد بينا ان البشر

لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضروراتهم وإذا اجتبعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته ياخذها لما فى الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويهانه الاخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية فى ذلك فيقع التنازع المفضى الى المقاتلة وهى تودى الى الهرج وسفك الدماء وازهاب النفوس المفضى ذلك الى انقطاع وهو مما خصه الله ربى تعالى بالمحافظة فاستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك الفاهر المتحكم ولا بد فى ذلك من العصبية لما قدمناه من ان المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصبية وهذا الملك كما تراه منصب شريف يتوجه نحوه الطلبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شئ من ذلك الا بالعصبية كما مر والعصبية متفاوتة وكل عصبية فلها تحكم وتعلب على من يليها من قومها وعشيرتها وليس الهلك لكل عصبية وإنما الملك على الحقيقة لمن يستعد الرعاية وبجبي الاموال ويبعث البعث ويحمى الثغور ولا يكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الهلك وحقيقته فى المشهور فحين قصرت به

عصبتيته عن بعضها مثل حماية الثغور وجباية الاموال او بعث
البعوث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير
من ملوك البربر في دولة الاغالبة بالقيروان وملوك العجم
صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصبتيته ايضا من
لاستعلاء على جميع العصبيات والضرب على ساير الايدى
وكان فوقه حكم غيره فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته
وهؤلاء مثل امراء النواحي وروساء الجهات الذين تجمعهم
دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدول المتسعة النطاق
اعنى يوجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يدينون
بطاعة الدولة التى جمعهم مثل صنهاجة مع العبيديين
وزناتة مع الامويين تارة والعبيديين اخرى ومثل ملوك
العجم في دولة بنى العباس ومثل امراء البربر وملوكهم مع
الافرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوائف من الثرس مع
الاسكندر وقومد اليونانيين وكثير من هؤلاء فاعتبره تجده والله
القاهر فوق عباده

فصل فى ان ارفاف الحدّ مضّر بالملك ومفسد له
فى الاكثر

اعلم ان مصلحة الرعية فى السلطان ليست فى ذاته وجسمه
من حسن شكله او ملاحه وجهه او عظم جثمانه او اتساع

علمه او جودة خطه او ثقب ذهنه انما مصلحتهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافيّة وهى نسبة بين منتسبين فحقيقة السلطان انه المالك للرعيّة القايم بامورهم عليهم فالسلطان من له رعيّة والرعيّة من لها سلطان والصفة التى له من حيث اضافته اليهم هى التى تسمى الملكة وهى كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها بمكان من الجودة حصل المقصود من السلطان على اتم الوجه فانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصالحة لهم فان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضررا عليهم وهلاكاً لهم وبعود حسن الملكة الى الرفق فان اليك اذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقياً عن عورات الناس وتعدد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا بها وفسدت بصايرهم واخلاقهم وربما خذلوه فى مواطن الحرب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النيات وربّما اجتمعوا قتله لذلك فتفسد الدولة وبخرب السياج وان دام امره عليهم وقهره فسدت العصبيّة بما قلناه اولا ففسد السياج من اصله بالعجز عن الحماية واذا كان رفيقا بهم متجاوزا عن سيئاتهم استناموا اليه ولاذوا به واشربوا محبته واستهانوا دونه فى محاربة اعدائه فاستقام الامر من كل جانب (واما) توابع

حسن الملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التحبب الى الرعية وإعلم انه قل ما تكون ملكة الرفق فيهن يكون يقظا شديد الذكاء من الناس فاكثر ما يوجد الرفق في الغفل او المتغفل واقل ما في اليقظ انه يكتفى الرعية فوق طاقتهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم وإطلاعهم على عواقب الامور في مبادئها بالهبة فيهلكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سيروا على سير اضعفكم (ومن) هذا الباب اشترط الشارع في الحاكم قلة الذكاء وماخذه من قصّة زياد بن ابي سفيان لما عزله عمر عن العراق وقال عزلتني يا امير المؤمنين العجز ام لخيانة فقال له عمر لم اعزلك لواحدة منهما ولكن كرهت ان احمل فضل عقلك على الناس فاخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرط الذكاء والكيس مثل زياد ابن ابي سفيان وعمر بن العاصي لما يتبع ذلك من التعسف وسوء الهلكة وحمل الوجود على ما ليس في طبيعته كما ياتي في آخر هذا الكتاب والله خير المالكين وتقرر من هذا ان الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر كما ان البلادة افراط في لجهود والظرفان مذمومان من كل صفة انسانية والمحمود هو التوسط كما في

الكرم مع التذير والبخل وكما فى الشجاعة مع الهوج والجبين
وغير ذلك من الصفات الانسانية وبهذا يوصف الشديد الكيس
بصفات الشيطان فيقال شيطان ومُشَيِّطٌ وامثال ذلك والله
يخلق ما يشاء

فصل فى معنى الخلافة والامامة

لها كانت حقيقة الملك انه الاجتهاع الضرورى للبشر ومقتضاه
التغلب والقهر للذان هما من آثار الغضب والحيوانية كانت
احكام صاحبه فى الغالب جائرة عن الحق محقة بمن
تحت يده من الخلق فى احوال دنياهم لحمله اياهم فى
الغالب على ما ليس فى طوقهم من اغراضه وشهوانه ويختلف
ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر
طاعته لذلك وتجئ الهيبة المفضية الى الهرج والقتل
فوجب ان يرجع فى ذلك الى قوانين سياسية مفروضة
يسلمها الكافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس
وغيرهم من الامم واذا خلت الدولة من (1) مثل هذه السياسة
لم يستتب امرها ولا يتم استيلاؤها سنة الله فى الذين خلوا
من قبل فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر
الدولة وبصايرها كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من
الله سبحانه وتعالى بشارع يقرها ويشرعها كانت سياسة دينية

(1) Man A. اختلقت B. اخلت الدولة فى.

نافعة فى الحياة الدنيا والآخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفناء والله تعالى يقول افحسبتم انما خلقتكم عبثا فالمقصود بهم انما هو دينهم الهضى بهم الى السعادة فى آخرتهم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض فجاءت الشرايع تحملهم على ذلك فى جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى فى الهلك الذى هو طبيعى للاجتماع الانسانى فاجرتة على منهج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشرع فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية فى مرعاها فجور وعدوان ومذموم عنده كما هو فى مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه بمقتضى السياسة واحكامها من غير نظر الشرع فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور لان الشارع اعلم بهصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من اسور آخرتهم واعمال البشر كلها عايذة عليهم فى معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هى اعمالكم نرد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرايع حمل الكافة على الاحكام الشرعية فى احوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل

الشريعة وهم الانبياء ومن قام مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك طبعى هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسة هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلى فى جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الاخرية والدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهى فى الحقيقة نيابة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيها نوره عليك من بعد والله الحكيم العليم

فصل فى اختلاف الامة فى حكم الخلافة وشروطها

واذ قد بينّا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعة فى حفظ الدين وسياسة الدنيا به ويسمى خلافة وامامة والقايم به خليفة واماما وسمّاه المتأخرون سلطانا حين فشا النعْد فى واضطروا بالتباعد وفقدان شروط المنصب الى عقد البيعة لكل متغلب فاما تسميته اماما فتشبيها بامام الصلاة فى انبائه والاقتداء به ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبى فى امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف فى تسميته خليفة الله فاجازه

بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للادبيين في قوله تعالى اناى جاعل فى الارض خليفة وقوله جعلكم خلائف الارض ومنع الجمهور منه لان معنى الآية ليس عليه وقد نهى ابو بكر لما دعى به وقال لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله وكان الاستخلاف انما هو فى حق الغائب واما الحاضر فلا (ثم) ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه من الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعة ابى بكر رضى الله عنه وتسليم النظر اليه فى امورهم وكذا فى كل عصر بعد ذلك ولم يترك الناس فوضى فى عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوب العقل وان الاجماع الذى وقع فانما هو قضاء بحكم العقل فيد قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم متفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فما لم يكن الحاكم الوازع افضى ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذى لحظ الحكماء فى وجوب النبوات فى البشر وقد نبهنا على فسادها وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشر من

الله تسلم له الكافة تسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان
الوازع قد يكون بسطوة الهلك وقهر الشوكة ولو لم يكن شرع
كما فى امم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب او لم تبلغه
الدعوة او نقول يكفى فى رفع التنازع معرفة كل واحد بتحرير
الظلم عليه بحكم العقل فادعاهم ان ارتفاع النزاع انما يكون
بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما
يكون بنصب الامام يكون بوجود الروساء اهل الشوكة او
بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينتهض دليلهم العقلى
المبنى على هذه المقدمة فدلّ على ان مدرّك وجوبه انما
هو بالشرع وهو الاجماع الذى قدّمناه وقد شدّ بعض الناس
فقال بعدم وجوب هذا المنصب رأساً لا بالعقل ولا بالشرع
منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب
عند هؤلاء امضاء احكام الشرع فاذا تواطأت الامة على العدل
وتنفيذ احكام الله لم تحتج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء
محبوبون بالاجماع والذى حملهم على هذا الذهب انما هو
الفرار عن الملك ومذاهب من الاستطالة والتغلب والاستمتاع
بالدنيا لما راوا الشريعة ممّثلة بدم ذلك والنعى على اهل
ومرغبة فى رفضه (واعلم) ان الشرع لم يذم الهلك لذاته
ولا حظر القيام به وانما ذم الهفاسد الناشئة عنه من القهر
والظلم والتمتع بالذات ولا شك فى ان هذه مفسد محظورة

وهى من توابعه كما اننى على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذبت عنه واوجب بازايها الثواب وهى كلها من توابع الملك فاذن انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من المكلفين وليس مراده تركهما بالكليّة لداعية الضرورة اليهما وانما الهراء تصرفها على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله عليهما الملك الذى لم يكن لغيرها وهما من انبياء الله واكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا المنصب لا يغيكم شيئا فانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبية والشوكة والعصبية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك ولو لم ينصب امام وهو عين ما فررت عنه واذا تقرّر ان هذا المنصب واجب بالاجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل الحل والعقد فيتعين عليهم نصبه وتجب على الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله والرسول واولى الامر منكم ولا يجوز عقد هذا المنصب لانيين معا وعليه جمهور العلماء وقوفا مع ظواهر الاحاديث التى دلت على ذلك فى صحيح مسلم فى كتاب الامارة منه وذهب اخرون الى ان ذلك انما هو فى البلد الواحد او فى حال نقاربهما

واما عند التباعد وقصور الامام عن البلد الشاسع فيجوز
نصب اخر هنالك للقيام بالمصالح ومن المشاهير الذين
نقل عنهم ذلك الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى شيخ المتكلمين
ومال اليه امام الحرمين فى كتاب الارشاد وربما يظهر من
آراء الاندلسيين والمغاربة الجنوح الى ذلك فقد كان العلماء
بالاندلس متواقرين وبابعاو لبنى امية ولقبوا الناصر عبد الرحمن
منهم وابناءه بامير المؤمنين التى هى سمة الخلافة كما ياتى
وكذا الموحدون بعدهم بالمغرب وقد رد بعضهم ذلك
بالاجماع وهو غير ظاهر اذ لو كان هناك اجماع لم يخالفه
الاستاذ ابو اسحق ولا امام الحرمين فهم اتعد بهرقة الاجماع
نعم رد على الامام الهازرى والنووى وقوا مع طواهر الاحاديث
كما قلناه وربما احتج لذلك بعض المتأخرين بدليل التهانع
الذى فى التنزيل وهو قوله تعالى لو كان فيها آلهة الا الله
لفسدنا ولا ينعض الاستدلال على ذلك بالاية الكريمة لان
دلائها عقلية تبها الله عليها ليحصل لنا التوحيد الذى امرنا
باعتقاده بدليل عقلى فيكون ارسخ ومطلوبنا فى باب
الامامة الضع من نصب امامين وهو شرعى تكليفى فلا يتم
الاستدلال بها الا ان يقررها شرعية بزيادة مقدمة اخرى
وهى ان التعدد ينشاء عنه الفساد ونحن ممنوعون مها يجبر اليه
وبصير الاستدلال حينئذ شرعى والله اعلم (واما) شروط هذا

المنصب فهي أربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء مما يؤثر في الرأي (1) والعمل واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي فاما اشتراط العلم فظاهر لانه اما يكون منفذا لاحكام الله اذا كان عالما وما لم يعلمها لا يصح تقديسه لها ولا يكفي من العلم الا ان يكون مجتهدا لان التقليد نقص والاسامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان اولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفي انتفايها بالبدع الاعتقادية خدو واما الكفاية فهو ان يكون جريئا على اقامة الحدود واقتحام الحروب بصيرا بها كفيلا بحمل الناس عليها عارفا بالعصية واحوال الدهاء قويا على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وسياسة الدنيا وتدبير اله صالح واما سلامة الحواس والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر فقده من الاعضاء في العمل كفقد اليدين والرجلين والاثنيين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط كفقدان احدى

(1) Man. B et C. A. الرأي.

هذه الاعضاء فتشترط السلامة منه شرط كمال (وبالتحق) بفقدان الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض اعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاققة فينتقل النظر في حال هذا المستولى فان جرى على حكم الدين والعدل وحמיד السياسة جاز اقراره ولا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى ينفذ فعل الخليفة (واما) النسب القرشي فلاجتماع الصحابة يوم السفينة على ذلك واحسجت قريش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة وقالوا متا امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش وiban النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم ونتجاوز عن مسيكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فتحجوا الانصار ورجعوا عن قولهم متا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في قريش وامثال هذه الادلة كثير الا انه لها ضعف امر قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والنعيم وبها انفقتهم الدولة في ساير اقطار الارض عجزوا لذلك عن حيل الخلافة وتغلب عليهم

الاعاحم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفى اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشي ذو زبيبة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التشيل والفرض للمبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومثل قول عمر لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا لوليت له او لما داخلتنى فيه الظنة وهو ايضا لا يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضا فمولى القوم منهم وعصبية السواء حاصلة بسالم من قريش وهي الفايذة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى شروطها كأنها مفقودة في ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من الولاء المفيد للعصبية كما نذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراءه غير محتاج اليه اذا الفايذة في النسب انما هي العصبية وهي حاصلة من الولاء وكان ذلك حرصا من عمر على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا تاحقه به لايمة ولا عليه فيه عهدة (ومن) القاييلين بنفى اشتراط القرشية القاضي ابو بكر الباقلاني لما ادركت عليه عصبية قريش من الشلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك العجم على الخلفاء فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لرأى الخوارج لما رأى عليه حال

الخلفاء لعهدہ وبقي الجمهور على القول باشتراطها وصحة
الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين
ويرد عليهم سقوط شرط الكفاية التي بها يقوى على امره
لانه اذا ذهبت الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية
واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم
والدين وسقط اعتبار شروط هذا النصب وهو خلاف الاجماع
(ولنتكلم الآن في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب
في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها
من مقاصد وحكم تشتمل عليها ونشرع لاجلها ونحسن اذا
بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد
الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى
الله عليه وسلم كما هو المشهور وان كانت تلك الوصلة
موجودة والتبرك بها حاصل لكن التبرك ليس من المقاصد
الشرعية كما علمت فلا بد اذن من مصالحة في اشتراط
النسب هي المقصودة في مشروعيته واذا سبرنا وقسمنا لم
نجدها الا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة
ويرتفع الخلان والفرقة بوجودها لصاحب النصب فتسكن
اليه الامة واهلها وينتظم حبل الالفة فيها وذلك ان قريشا
كانوا انفس مضر واصلهم واهل الغلب منهم وكان لهم على
ساير مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان ساير العرب

يعرفون لهم ذلك ويستكينون لغلبهم فلو قد جعل الامر فى سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردهم عن الخلاف ولا يحلمهم على الكره فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع النزاع والشقاق بينهم لتحصل الاحمية والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر فى قريش لانهم قادرون على سوق الناس بعضا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيلون حينئذ بدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشى فى هذا المنصب وهم اهل العصبية القوية ليكون ابلغ فى انتظام الملة واتفاق (1) الجماعة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذعن لهم ساير العرب وانقادت الامم سواهم الى احكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع فى ايام الفتوحات واستمر بعدها فى الدولتين الى ان اضمحل امر الخلافة وتلاشت عصبية العرب وبعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفتن لذلك من احوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق فى كتاب السير وغيره واذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو

(1) Man.A. et B. اتفاق.

لرفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلما ان الشارع لا يخص الاحكام بجيل ولا عصر ولا امة علمنا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فاشتربنا فى القايم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولى عصبية قوية غالبية على من معها بعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعم ذلك فى الاقطار والآفاق كما كان فى القرشية اذ الدعوة الاسلامية التى كانت لهم عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا ساير الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله فى الخلافة لم يعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نايبا عنه فى القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويرجعهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر من لا قدرة له عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب فى شأن النساء واتهن فى كثير من الاحكام الشرعية جعلن نعا للرجال ولم يدخلن فى الخطاب بالوضع واتما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شئ وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا فى العبادات التى كل واحد فيها قايم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر

أمة أو جيل إلا من غلب عليهم وقل إن يكون الأمر الشرعي مخالفاً للأمر الوجودي والله تعالى أعلم

فصل في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة

اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخائف والساف على اتباع على وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعاً متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القيام بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز للنبي اغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين إمام لهم ويكون معصوماً من الكبار والصغار وإن علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله عليه بنصوص ينقلونها ويولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه وبعيد عن ناويلانهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم إلى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم نطرد هذه الولاية إلا في علي وللهذا قال له عمر أصبحت مولى كل مؤمن ومومنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم اقضاكم على ولا معنى للإمامة إلا القضاء بأحكام الله وهو المراد بأولي الأمر الواجبة طاعتهم من الله

بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم والهراد احكم والقضا ولهذا كان حكما فى قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يبايعنى على روجه وهو وصى وولى هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا على (ومن) الخفى عندهم بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة براءة فى الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولا ابا بكر ثم اوحى اليه ليبلغه رجل عنكم او من قومك فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم على وايضا فلم يعرف انه قدم احدا على على واما ابو بكر وعمر فقد قدم عليهما فى غزائين اسامة بن زيد مرة وعهرو بن العاص اخرى وهذه كلها عندهم ادلة شاهدة بتعيين على للاخلافه دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم (ثم) منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين على وتشخيصه وكذلك ينتقل منه الى من بعده وهؤلاء الامامية ويتبرون من الشيخين حين لم يقدموا عليا ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص وبغضون فى امامتهما ولا نلتفت الى نقل القدر فيهما من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم (ومنهم) من يقول ان هذه الادلة انها اقتضت تعيين على بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يصنعوا الوصف موضعده وهؤلاء هم الزيدية ولا يتبرون من

الشيخين ولا يغمصون في امامتهما مع قولهم بان عليا افضل
منهما لكتهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الافضل (ثم
اختلفت) هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي (فمنهم)
من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد
على ما نذكر بعد وهؤلاء يسمون الامامية نسبة الى مقالتهم
باشترط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل مذاهبهم
(ومنهم) من ساقها الى ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيعة
وبشرط ان يكون الامام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا
ويخرج داعيا الى امامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب
الذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان
ناظر اخاه محمد الباقر على اشتراط الخروج في الامام
فيلزمه الباقر ان لا يكون ابوجها زيد العابد بن اماما لانه لم
يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعى عليه
مذاهب المعتزلة واخذة اياها عن اصل بن عطا ولما ناظر
الامامية زيدا في امامة الشيخين وراوه يقول بامامتهم ما
ولا يتبرأ منهما رفضوه ولم يجعلوه من الايمة وبذلك سمو
رافضة (ومنهم) من ساقها بعد علي او ابنه السبطين على
اختلافهم في ذلك الى اخيهما محمد بن الحنفية ثم الى
ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاة وبين هذه
الطوائف اختلافات تركناها اختصارا (وفيهم) طوائف يسمون

الغلاة تجاوزوا حدود العقل والايهان فى القول بالاىية هولاء
الايية اما على انه بشر أنصف بصفات الالوهية وان كاله
حل فى ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذاهب
النصارى فى عيسى عليه الصلاة والسلام ولقد حرق على
رضى الله عنه بالنار من ذهب الى ذلك فيه منهم وسخط
محمد بن الحنفية المختار بن ابي عبيد لها بلغه مثل
ذلك عنه فصرح بلغه والبراءة منه وكذلك فعل جعفر
الصادق بمن بلغه مثل ذلك عنه (ومنهم) من يقول ان
كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقل روحه الى امام
اخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالناسخ (ومن هولاء
الغلاة) من يقف عند واحد من الايية لا يتجاوز الى غيره
بحسب من تعين لذلك عندهم وهولاء الواقفية فبعضهم
يقول هو حتى لم يمت الا انه غايب عن اعين الناس
ويسندشهدون لذلك بقضية الخضر قيل مثل ذلك فى
على رضى الله عنه وانه فى السحاب والرعد صوته والبرق
سوطه وقالوا مثله فى محمد ابن الحنفية وانه فى جبل
رضوى من ارض الحجاز قال شاعرهم كثير

الا ان الايية من قريش	ولاة الحق اربعة سوا
على والفلاند من بنييه	هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايهان وبتر	وسبط غيبته كبرياء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الجيش يقدمه الولا
تغيب لا يرى فيهم زمانا	برضوى عنده غسل وما

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثنى عشرية منهم يزعمون ان الثانى عشر من ايتهم وهو محمد بن الحسن العسكرى وبلقبونه الهمدى دخل فى سرداب بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيهلك الارض عدلا يشيرون بذلك الى الحديث الواقع فى كتاب الترمذى فى المهدى وهم الى الآن ينتظرونه ويسوّونه المنتظر لذلك ويقفون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قربوا مركبا فيهفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفصّون ويرجون الامر الى الليلة القابلة وهم على ذلك لهذا العهد (وبعض) هؤلاء الواقعية يقول ان الامام الذى مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بها وقع فى القرآن الكريم من قصة اهل الكهف والذى مرّ على قرية وقتيل بنى اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التى امرؤا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التى وقعت فى طريق المعجزة فلا يصح الاستشهاد بها فى غير موضعها وكان من هؤلاء السيد الحميرى ومن شعرة فى ذلك

اذا ما المرء شاب له فذال
فقد ذهب بسنائه واودى
فليس بعائد ما فأت منه
الى يوم يؤب الناس فيه
ادبى بان ذلك ديس حق
كذلك الله اخسر عن اناس
وعلمه الموانط بالحضاب
فقم يا صاح نيك على الشباب
الى احد الى يوم الايناب
الى دنياهم قبل الحساب
وما انا فى الشور بدى ارتياب
حيوا من بعد درس فى الشراب

وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة ابنة الشيعة فانهم لا يقولون بها
ويبطلون احتجاجانهم عليها (فاما الكيسانية) فساقوا الامامة
من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهؤلاء
الهاشمية ثم انترقوا فمنهم من ساقها بعده الى اخيه على
ثم الى ابنه الحسن بن على واخرون زعموا ان ابا هاشم
لما مات بارض الشراة منصرفا من الشام اوصى الى محمد
بن على بن عبد الله ابن عباس واوصى محمد الى ابنه
ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله بن
الحارثية الملقب بالسقاح واوصى هو الى اخيه عبد الله
ابى جعفر الملقب بالينصور وانتقلت في ولده بالنص
والعهد واحد بعد واحد الى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية
القايمين بدولة بنى العباس وكان منهم ابو مسلم وسليمان
بن كثير وابو سلمة الخلال وغيرهم من سبعة العباسية ورثها
يعتقدون ذلك بان حقيهم في هذا الامر يصل اليهم من
العباس لانه كان حيا عند الوفاة وهو اولى بالوراثة بعصبة
العموية (1) (واما الزيدية) فساقوا الامامة على مذاهم فيها وانها
باختيار ابي الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة على ثم
ابن الحسن ثم اخيه الحسين ثم ابنه على زين العابدين ثم
ثم ابنه زيد بن على وهو صاحب هذا المذهب وخرج

(1) Man. C. بعضه D. بعضه العموية.

بالكوفة داعيا الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية
 بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل
 بالحوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن
 بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالسجاز
 وتلقب بالمهدي وجاءت عساكر المنصور فهزم وقتل وعهد
 بالامر الى اخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن
 على فزحف اليهم المنصور في عساكره او قواده فهزم
 وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق قد اخبرهم بذلك
 كله وهي معدودة في كراماته وذهب اخرون منهم الى ان
 الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن
 القاسم بن علي بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي
 فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسيق الى
 المعتصم فحبسه ومات في محبسه وقال اخرون من
 الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذي
 حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور ونقلوا
 الامامة في عقبه واليه انسب داعي الزنج كما نذكره في
 اخبارهم وقال اخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن
 عبد الله اخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات هنالك
 وقام بامر ابنه ادريس بن ادريس واختط مدينة فاس وكان
 من بعده عقبه ملوكا بالمغرب الى ان انقرضوا كما نذكر في

اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم
 الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن
 محمد بن اسمعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن السبط
 واخوه محمد بن زيد (ثم) قام بهذه الدعوة في الديلم
 الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن ابن
 علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر اخو زيد بن علي
 فكانت لبنية في طبرستان دولة وتوصل الديلم من سببهم
 الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد كما نذكر في
 اخبارهم (واما الامامية) فساقوا الامامة من علي الوصي الى
 ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه
 علي زين العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه
 جعفر الصادق ومن هنا افرقوا فرقتين فرقة ساقوها الى ابنه
 موسى الكاظم وهم الاثنى عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر
 من الاية وقولهم بغيبته الى آخر الزمن كما مر (واما
 الاسماعلية) فقالوا بامامة اسمعيل الامام بالنص من ابنه جعفر
 الصادق وفائدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل
 ابنيه انما هي بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى
 صلوات الله عليهما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسمعيل الى
 ابنه محمد المكتوم وهو اول الاية المستورين لان الامام عندهم
 قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعائه ظاهرين اقامة

للحجة على الخلق وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر المصدق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبيد الله المهدي الذي ظهر داعيته أبو عبد الله الشيعي في كتامة وتابعه الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف في أخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة إلى القول بامامة اسمعيل ويسمون أيضا الباطنية نسبة إلى قولهم بالامام الباطن أي الهستور ويسمون أيضا الهلجنة لها في ضمن مقالاتهم من الألحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا إليها الحسن ابن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها إلى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك الطغر بالعراق فانقرضت ومقالات هذا الصباح في دعونه مذكورة في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (وأما الأتني عشرية) وربها خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر لوفاة أخيه الأكبر اسمعيل الامام في حياة أبيهما جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه علي الرضا الذي عهد إليه المأمون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه علي الهادي ثم ابنه الحسن

العسكري ثم ابنه مجد المهدي المنتظر الذي قدمنا ذكره
وفى كل واحد من هذه الهقالات للشيعنة اختلاف كثير لا ان
هذه اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها ومطالعها فعليه بكتب
الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرها ففيها بيان
ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

فصل في انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طبيعية للعصبية ليس وقوعه عنها
باختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من قبل
وان الشرايع والديانات وكل امر يحمل عليه الجمهور فلا بد
فيه من العصبية اذ المطالبة لا تتم الا بها كما قدمناه
فالعصبية ضرورة للملة وبوجودها يتم امر الله منها وفي
الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه ثم وجدنا
الشرايع قد ذم العصبية وندب الى اطراحها وتركها فقال
ان الله اذهب عنكم غيئة الجاهلية وفخرها بالاباء انتم بنو
آدم وادم من تراب وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
ووجدناه ايضا قد ذم الملك واهله ونعى على اهله احوالهم
من الاستمتاع بالخلاف والاسراف في غير القصد والتسكب
عن صراط الله واتما حش على الالفة في الدين وحذر من
الخلاف والفرقة واعلم ان الدنيا واحوالها كلها عند الشرايع

مطية للآخرة ومن فقد الهطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يندب الى تركه اهماله بالكلية او اقتلاعه من اصله وتعطيل القوى التى نشأ عليها بالكلية انما قصده تصريفها فى اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقاً وتتحد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لنفد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان ولاغراض الذميمة فاذا كان الغضب فى الله ولله كان ممدوحاً وهو من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد ابطالها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصاً فى حقه وانما المراد نصريفها فيما ابيح له باشتماله على الصالح ليكون الانسان عبداً متصرفاً طوع الاوامر الالهية وكذا العصبية حيث ذمها الشرع (1) وقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم فانما مراده حيث تكون العصبية على الباطل واحواله كما كانت فى الجاهلية وان (2) يكون لاحد فخر بها او حق على احد لان

(1) Man D السارح

، Ibid الا

ذلك سجان من افعال العقلاء وغير نافع في الآخرة التي هي دار القرار فاما اذا كانت العصبية في الحق واقامة امر الله فامر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرايع اذ لا يتم قوامها الا بالعصبية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه لها فيد من التغلب بالباطل وتصريف اللادميئين طمع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا في غلبه للناس انه لله ويحملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات الله وسلامه عليه رب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى لما علم من نفسه انه بمعزل عن الباطل في النبوة والملك (ولما) لقي معاوية عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عند قدومه الى الشام في ابهة الملك وزبه من العبد والعدو استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية قال يا امير المؤمنين انا في نغر تجاه العدو وبنا الى مباحناهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطئه لها احتج عليه بتقصده من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رفض الملك من اصله لم يقنع هذا الجواب في تلك الكسروية وانتحالها بل كان يحصر على خروجه منها بالجملة وانما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه اهل فارس في ملكهم من ارتكاب

الباطل والبغى وسلوك سبله والغفلة عن الله واجابه معاوية بان القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وإنما قصده بها وجه الله تعالى فسكت وهكذا شأن الصحابة فى رفض الملك واحواله ونسيان عوايده حذرا من التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف ابا بكر رضى الله عنه على الصلاة اذ هى اهم امور الدين وارتضاه الناس للخلافة وهى حمل الكافة على احكام الشريعة ولم يجر للهالك ذكر لما انه مظنة الباطل ونحلة يومئذ لاهل الكفر واعداء الدين فقام بذلك ابو بكر ما شاء الله متبعاً سنن صاحبه وقابل اهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاتبع اثره وقابل الامم فغلبهم واذن للعرب فى انتزاع ما بابديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وانتزعوهم منهم ثم صارت الى عثمان ثم الى على والكل متبرؤن من الملك منكبون عن طريقه واكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من عضاضة الاسلام وبدعوة العرب فقد كانوا ابعد الامم عن احوال الدنيا ونرفها لا من حيث دينهم الذى يدعوهم الى الزهد فى النعيم ولا من حيث بدوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وسطافة الذى القوة فلم تكن امة اسغب (1) عيشا من مضر لما كانوا

بالحجاز فى ارض غير ذى زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياى وحبوبها لبعدها واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتناولون الى خصبها ولقد كانوا كثيرا ما ياكلون العقارب والخنافس ويفخرون باكل العلحز وهو وبر الابل يموهونه بالحجارة فى الدم ويطبخونه وقريب من هذا حال قريش فى مطاعمهم ومساكلهم حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما اكرمهم الله به من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى امم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعد الصديق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزحرت بحار الرفد لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له فى بعض الغزوات ثلثين الفا من الذهب او نحوها فاستولوا من ذلك على ما لا ياخذة الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر رضى الله عنه يقرع ثوبه بالجلد وكان على ما يقول يا صفراء وبا بيضاء غرى غيرى وكان ابو موسى يتجافى عن اكل الدجاج لانه لم يعهد للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخيل مفقودة عندهم بالجملة وانما ياكلون الحنطة بخالها ومكاسيهم مع هذا اتم ما كانت لاحد من اهل العالم (قال) المسعودى فى ايام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة الف دينار والى الف درهم وقيمة

ضباعه بوادى القرى وحنين وغيرهما مائتا الف دينار وخلف
ابلا وخيلا كثيرة (وبلغ) الثمن الواحد من متروك الزبير
بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف الف فرس والف امة
(وكانت) غلة طاحنة من العراق الف دينار كل يوم ومن
ناحية الشراة اكثر من ذلك (وكان) على مربط عبد الرحمن
ابن عوف الف فرس وله الف بعير وعشرة الآف من الغنم
وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربع وثمانين الف (وخلف)
زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير
ما خلف من الاموال والضياع بهاية الف دينار (وبنى) الزبير داره
بالبصرة وكذلك بنى بهجر والكوفة والاسكندرية (وكذلك)
بنى طاحنة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبنها بالجص
والاجر والساج (وبنى) سعد بن ابى وقاص داره بالعقيق
ورفع سكهها واوسع فضاها وجعل على اعلاها شرفات (وبنى)
المقداد داره بالمدينة وجعلها مجتصة الظاهر والباطن (وخلف)
يعلى بن منبة خمسين الف دينار وعقارا وغير ذلك ما قيمته
ثلاثمائة الف درهم انتهى كلام المسعودى فكانت مسكاسب
القوم كما تراه ولم يكن ذلك منعيها عليهم فى دينهم اذ هى
اموال حلال لانها غنابم وفىء ولم يكن تصرفهم فيها باسراف
انها كانوا على قصد فى احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك
بفادح وان كان الاستكثار من الدنيا مذموما فانها يرجع الى ما

اشرنا اليه من الاسراف والخرج به عن القصد واذا كان حالهم قصدا ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك الاستكثار عونا لهم على طريق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغصاة الى نهابتها وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك ضدهم حكم الرفه والاستكثار من الاموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد الدبابة ومذاهب الحق (ولما) وقعت الفتنة بين على ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض ذبوت او لاثار باطل ارا لاشعار حقد كما بتوهمه متوهم او ينزع اليه واحد وانما اختلف اجتهدهم في الحق وخالف كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب عليا فلم يكن معاوية قابلا فيها بقصد الباطل وانما قصد الحق وانحطأ والكل كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستيثار الواحد به ولم يكن لمعاوية ان يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو امر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعره بنوامية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتضاء الحق من اباعهم فاصحوا عليه واستماتوا دونه ولو قد حملهم معاوية على

غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع فسى
افتراق الكلمة التي كان جميعها وتاليفها اهم عليه من امر ليس
وراءه كبير مخالفة (وقد) كان عمر بن عبد العزيز يقول اذا
راى ابا القاسم بن محمد بن ابي بكر لو كان لى من الامر
سئ لوليت الخلفة ولو اراد ان يعهد اليه لفعل لكنه كان
بخشى من بنى امية اهل الحل والعقد كما ذكرناه
فلا يقدر ان يحول الامر عنهم ليلا تقع الفرقة وهذا كله انها
حمل عليه منازع الهلك التي هى مقتضى العصبية
فالهلك اذا حصل وفرضنا ان الواحد انفرد به وصرفه في
مذاهب الحق ووجهه لم يكن فى ذلك تكبر عليه وقد
انفرد سليمان وابوه داود صلوات الله عليهما بملك بنى
اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به
وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية
الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كانوا بنو امية لم
يرضوا تسليم الامر لهن سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه
مع ان ظنهم كان به صالحا ولا يرتاب احد فى ذلك
ولا نظن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد اليه وهو يعتقد ما
كان عليه من الفسق حاش لله لمعاونة من ذلك وكذلك
كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم
فى الملك مذهب اهل البطالة والبغى انما كانوا متحريين

لمقاصد الحق جهدهم الا فى ضرورة تحملهم على بعضها
 مثل خشية افتراق الكلمة الذى هو اهمّ لديهم من كل مقصد
 يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم
 السلف من احوالهم فقد احتجّ مالك فى الهوطا بعبد
 الملك واما مروان فكان من الطبقة الاولى من التابعين
 وفضله معروف ثم تدرّج الامر فى ولده عبد الملك وكانوا
 من الدين بالمكان الذى كانوا عليه وتوسّطهم عمر بن عبد
 العزيز ونزع الى طريقة الخلفاء الاربعة والصحابة جهده ولم
 يهمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك فى اغراضهم
 الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم ممن تحرّى
 القصد فيها واعتماد الحق فى مذاهبها فكان ذلك ممّا
 دعى الناس الى ان نعوا عليهم افعالهم وادالوا بالدعوة العباسية
 منهم وولى رجالها الامر فكانوا من العدالة بهكان وصرفوا
 الملك فى وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو
 الرشيد من بعده وكان منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر
 الى بنيهم فاعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا فى الدنيا
 وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريا فتأذّن الله بحربهم وانتزع
 الامر من ابدى العرب جهلة وامكن سواهم منه والله لا يظلم
 مثقال ذرة ومن تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم
 فى تحرّى الحق من الباطل علم صحّة ما قلناه وقد حكى

المسعودى مثله فى احوال بنى امية عن ابى جعفر المنصور وقد حضر عمومته وذكروا بنى امية (فقال) اما عبد الهالك فكان حيارا لا يبالي بما صنع واما سليمان فكان همه بطنه وفرجه واما عمر فكان اعور بين عميان وكان رجل القوم هشام قال ولم يزل بنو امية ضابطين لها مهد لهم من السلطان يحوطونه وبصونون ما وهب الله لهم منه مع نستهم معالى الامور ورفضهم اذانبها حتى افضى الامر الى ابنايهم المترفين فكانت همهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصى الله جهلا باستدراجهم واما لمكره مع اطراحيهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والسهم الذل ونفى عنهم النعمة (ثم) استحضر عبد الله بن مروان فقص عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل ارضه فارا امام بنى العباس قال اقمتم مليا ثم اناى ملكهم فقعد على الارض وقد بسطت له فرش ذات قيمة فقلت ما منعك عن التعود على ثيابنا قال انى ملكت وحق لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذا رفعه الله ثم قال لى لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم قلت فعل ذلك عبيدنا وانباعنا قال فلم تطوئن الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم فى كتابكم قلت فعل ذلك عبيدنا وانباعنا بجهلهم قال فلم تلبسون الديباج والذهب

والحرير وهو محرم عليكم فى كتابكم قلت ذهب منا الملك
وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك
على الكره منا فاطرق نيكث بيده فى الارض ويقول عبيدنا
وانباعنا واعاجم دخلوا فى ديننا ثم رفع راسه الى وقال ليس
كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله واتيتم ما
عند نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز والبسكم
الذل بذنوبكم وله نعمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خاين ان
يحل بكم العذاب انتم ببلدى فينالنى معكم وانما الضيافة
ثلاث فتزود ما احتجت اليه وارتحل عن ارضى فتعجب المنصور
باطرق فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك
وان الامر كان فى اوله خلافة ووازع كل احد فيها من نفسه
وهو الدين فكانوا يوثرونه على امور دنياهم وان افضت الى
هلاكهم وحدهم دون الكافة (فهذا) عثمان لما حصر فى الدار
جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وامثالهم
يريدون المدافعة عنه فابى ومنع من سل السيوف بين
المسلمين مخافة للفرقة وحفظا للالة التى بها حفظ الكلمة
ولو ادى الى هلاكه (وهذا) على اشار عليه المغيرة لاول ولابنه
باستبقاء الزبير ومعاوية وطاحه على اعمالهم حتى يجتمع
الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من
امره وكان ذلك من سياسة الملك فابى فرارا من الغش

الذى ينافيه الاسلام وغدى عليه المغيرة من الغداة فقال
اشرت عليك بالامس بها اشرت ثم عدت الى نظرى
فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وان الحق فيها رايته
انت فقال على لا والله بل اعلم انك نصحتنى بالامس
وغششنى اليوم ولكن معنى ما اشرت به زايد (1) الحق وهكذا
كانت احوالهم فى اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بنهزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

فقد رايت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معانى الخلافة
من تحرى الدين ومذاهد والجري على منهج الحق ولم يظهر
التغبر الا فى الوازع الذى كان دينا ثم انقلب عصبية وسيفا
وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر
الاول من خلفاء بنى العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم
ذهبت معانى الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكا
بحسب وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت فى
اغراضها من القهر والتحكم فى الشهوات والملاذ وهذا كما
كان الامر لخلف بنى عبد الملك ولهم جاء بعد المعتصم
والمتوكل من بنى العباس واسم الخلافة باقيا فيهم لبقاء عصبية
العرب والخلافة والملك فى الطورين ملتبس بعضها
ببعض ثم ذهب رسم الخلافة وانرها بذهاب عصبية العرب

(1) Man. A. زايد. B. زايد.

وفناء جيلهم وتلاشى احوالهم وبقي الامر ملكا بحثا كما كان
الشان في ملوك العجم بالمشرق يدينون بطاعة الخليفة
نبركا والملك بجميع القابذ ومناحيه لهم وليس للخليفة منه
شئ وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب مثل صنهاجة
مع العبيديين ومغراوة وبنى يفرن ايضا مع خلفاء بنى امية
بالاندلس والعبيديين بالقيروان فقد تبين ان الخلافة قد
وجدت بدون الملك اولا ثم التبت معانيها واختلطت
ثم انفرد الملك حيث افرقت عصبية من عصبية الخلافة
والله مقدّر الليل والنهار

فصل في معنى البيعة

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد
اميره على انه يسلم له النظر في امر نفسه وامور المسلمين
لا ينزعه في شئ من ذلك ويطيعه فيها يكلفه به من الامر
على المنشط والمكروه وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده
حلوا يدهم في يده توكيدا للعهد فاشبه ذلك فعل البايع
والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مضافة
بالايدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو
المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم
بيعة العقبة وعند الشجرة وحيث ما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة
الخلفاء ومنه ايمان البيعة لان الخلفاء كانوا يستخلفون على

هذا العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكراه فيها اغلب ولهذا لما افتى مالك رضى الله عنه بسقوط يمين المكره انكرها الولاد عليه وراوها قاذحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من صحنه الامام رضى الله عنه (واما) البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من نقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل اطلق عليها اسم البيعة النى هي العهد على الطاعة مجازا لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صار حقيقة عرفية استغنى بها عن مصافحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في المصافحة لكل احد من التنزل والابتدال الهافيين للرياسة وصون المنصب الملوكى الا في الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير اهل الدين من رعيتهم فافهم معنى البيعة في العرف فانه اكيد على الانسان معرفته لها يلزمه من حق سلطانده وامامه ولا تكون افعاله عبثا ومجانا واعتبر ذلك من افعاله مع الملوك والد القوى العزيز

فصل فى ولاية العهد

اعلم انا قدّمنا الكلام فى الامامة ومشروعيتها لها فيها من

المصلحة وإن حقيقتها النظر في مصالح الأمة لدينهم
 ودنياهم فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته
 وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولّى
 أمورهم كما كان هو يتولاها ويشقون بنظره لهم في ذلك
 كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع
 بأجماع الأمة على جوازها وانعقادها إذا وقع فعهد أبو بكر إلى
 عمر بمحضر الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة
 عمر رضى الله عنهم أجمعين وكذلك عهد عمر في الشورى
 إلى الستة من بقية العشرة وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين
 ففوّض ذلك بعضهم إلى بعض حتى أفضى إلى عبد
 الرحمن بن عوف فاحتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين
 على عثمان وعلى وأثر عثمان بالبيعة على ذلك لهوافقتة
 أباه على لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما يعن دون اجتهداده
 فاعتقد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والهلاء من الصحابة
 حاضرون الأولى والثانية ولم ينكره واحد منهم فدل على أنهم
 متفقون على صحة هذا العهد عارفون! بمشروعيتة والاحتماع
 حجة كما عرف ولا يتهم الامام في هذا الأمر وإن عهد إلى
 أبيه وابنه لاند مأمون على النظر لهم في حياته فأحرى أن
 لا يتحمل فيها تبعة بعد ميانه خلافا لمن قال بانها سد في
 الولد والوالد ولمن خصص التهمة في الولد دون الوالد فانه

بعيد عن الظّنة في ذلك كله لا سيّما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من اثار مصلحة او توقع مفسدة فتنتفى الظّنة عند ذلك راسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب والذي دعى معاوية الى اثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس وانفاق اهوايهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حينئذ من بنى امية اذ بنو امية يومئذ لا يرضون سواه وهم عصابة قريش واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فاتّره بذلك دون غيره ممن بظنّ انه اولى بها وعدل الى المفضل عن الفاضل حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواء الذي شأنه اهتم عند الشارع ولا بظنّ بمعاوية غير هذا فعدالته وصحابه مانعة ممّا سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكونهم عند دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممّن تاخذونه في الحق هواة وليس معاوية ممّن تاخذة العزة في قبول الحق فانهم كلهم اجلّ من ذلك وعدالتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك محمول على توّعد عن الدخول في شيء من الامور مباحا كان او محظورا كما هو معروف عند ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من

بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرّون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بنى امية والسفّاح والمنصور والمهدى والرشيد من بنى العباس وامثالهم ممّن عرفت عدالتهم وحسن رايهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايثار ابنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة فى ذلك فشأنهم غير شأن اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل احد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكّلوا كل احد مهن يسمو الى ذلك الى وازعه واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الدينى قد ضعف واحتيج الى الوازع السلطانى والعصبانى فلو قد عاهد الى غير من ترتضيه العصابة لردّت ذلك العهد وانتقض امره سريعا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف سال رجل عليا رضى الله عنه ما بال الناس اختلفوا عليك ولم يختلفوا على ابنى بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا واليين على مثلى وانا اليوم والى على مثلك يشير الى وازع الدين افلا ترى الى المامون لما عاهد الى على بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضى كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا لعنه ابراهيم بن المهدى وظهر من

الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدّد الثوّار والخوارج ما كاد ان يصطلم الامر حتى باذر المامون من خراسان الى بغداد ورّد امرهم لمعاهدة فلا بدّ من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبايل والعصبيّات وتختلف باختلافها المصالح ولكل منها حكم يخصّه لطفاً من الله بعباده واما ان يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الالبناء فليس من الهقاصد الدينيّة اذ هو امر من الله يختصّ به من يشاء فينبغي ان نحسن النية فيه ما امكن خوفاً من العتب بالمناصب الدينيّة والملك لله يؤنّب من يشاء من عباده (وعرض) هنا امور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها فالاولى منها ما حدث في يزيد من الفسق ايام خلافته فايّاك ان تظنّ بعباوية رضى الله عنه انه علم ذلك من يزيد فانه اعدل عن ذلك وافضل بل قد كان يعذله ايام حيانه في سماع الغناء ونهاه عنه وهو اقلّ من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصحابة يومئذ في شأنه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من اجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ومن انبجها في ذلك ومنهم من اباه لما فيه من اثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد يومئذ هي عصبيّة بنى

امية وجمهور اهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية
مضر اجمع فهي اعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم
فاقصروا عن يزيد بسبب ذلك واقاموا على الدعاء بهدايته
او الراحة منه وهذا كان شأن جمهور المسلمين والكل مجتهدون
ولا تكبير على احد من الفريقين فهقاصدهم في البر وتحري
الحق معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم والثاني هو شأن العهد
من النبي صلى الله عليه وسلم وما يدعيه الشيعة من وصيته
لعلي رضي الله عنه وهو امر لم يصح ولا نقله احد من ائمة
النفل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس
اكتب الوصية وان عمر منع من ذلك فدليل واضح على
انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل
في العهد فقال ان اعهد فقد عهد من هو خير مني يعني
ابا بكر وان انكرت فقد تركت من هو خير مني يعني النبي
صلى الله عليه وسلم والصحابة حاضرون موافقون له على
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم بعهد وكذلك قول علي
للعباس رضي الله عنهما حين دعاه الى الدخول على النبي
صلى الله عليه وسلم يسالانه عن شأنهما في العهد فابى
على من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطعم فيها آخر
الدهر وهذا دليل على ان عليا علم انه لم يوص ولا عهد
لاحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من

أركان الأيمان كما يزعمون وليس كذلك وإنما هي من
 المصالح العامة المفوضة إلى نظر الخلق ولو كانت من أركان
 الأيمان لكان شأنها شأن الصلاة ولكن يستخلف فيها كما
 استخلف أبا بكر في الصلاة ولكن يشتهر كما اشتهر أمر
 الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة أبي بكر بقياسها على
 الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لديننا أفلا نرضاه لديننا دليل على أن الوصية به لم تقع ويدل
 ذلك أيضاً على أن أمر الإمامة والعهد بها لم يكن مهتماً
 كما هو اليوم وشأن العصبية المراعاة في الاجتماع والانفراق
 في مجاري العادة لم يكن يومئذ بذلك الاعتبار لأن أمر
 الدين والاسلام كان كله بخوارق العادة من تأليف القلوب
 عليه واستئمان الناس دونه وذلك من أجل الأحوال التي
 كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لنصرهم ونردّد
 خبر السماء بينهم ونجدّد خطاب الله في كل حادثة يبلى
 عليهم فلم يحتج إلى مراعاة العصبية لها شمل الناس من
 صيغة الانقياد والاذعان وما يستفهم من نتائج هذه المعجزات
 الخارقة والأحوال الإلهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجبوا
 لها ودهشوا من نتائجها فكان أمر الخلافة والملك والعهد
 والعصبية وسائر هذه الأنواع مندرجا في ذلك العباب كما
 وقع فلها انحسر ذلك الهدد بذهاب تلك المعجزات

ثم بفناء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصبغة قليلا قليلا وذهبت آثار الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر امر العصبية ومجاري العوايد فيها ينشاء عنها من المصالح والمفاسد واصبحت الخلافة والملك والعهد بهما من المهمات الاكيدة كما زعموه ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الالهية ازمان الخلفاء بعض الشيء بما دعت الضرورة اليه في الحماية (1) والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضى الله عنه ثم صارت اليوم من اهم الامور للالفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن الفرقة والتخاذل ومنشاء الاجتماع والتوافق الكفيل بقايد الشريعة واحكامها والامر الثالث شأن الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين واعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشاء عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعتمدة والمجتهدون اذا اختلفوا عن الادلة فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ولم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تتعين باجماع فيبقى الكل على احتيال الاصابة

ولا يتعين المخطئ منها والتأنيب مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وكل مجتهد مصيب فاحرى بنفى الخطاء والتأنيب وغاية الخلاف الذى بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادى فى مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذى وقع من ذلك فى الاسلام انما هى واقعة على مع معاوية ومع الزبير وطاحنة وعائشة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك (واما واقعة على) فان الناس عند مقتل عثمان كانوا مقترفين فى الامصار فلم يشهدوا بيعته على والذين شهدوا فمنهم من بايع (1) ومنهم من نوقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر واسامة بن زيد والهيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وفدامة من مظعون وابى سعيد الخدرى وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وامثالهم من اكابر الصحابة والذين كانوا فى الامصار عدلوا عن بيعته ايضا الى الطلب بدم عثمان ونزكوا الامر فوضى حتى تكون شورى بين المسلمين فيمن يولونه ووطنوا بعلى هوادة فى السكوت عن نصر عثمان من قاتليه لا فى المهادنة (2) عليه فحاش لله ولقد كان معاوية اذا صرح بهلامته انما

(1) Man. A. et B. تابع

(2) Man. A. المهادنة. B. المحالة.

يوجهها عليه في سكوتة فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى على ان بيعته قد انعقدت ولزمت من تأخر عنها باجماع (1) من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وارجاء الامر في المطالبة بدم عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيتمكن حينئذ من ذلك ورأى الآخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل والعقد بالافاق ولم يحضر الا القليل ولا تكون البيعة الا باتفاق اهل الحل والعقد ولا تلزم لعقد من تولاه من غيرهم او من القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون اولاً بدم عثمان ثم يجنبعون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمرو بن العاص وآم المؤمنين عايشة والزبير وابنه عبد الله وطاحنة وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن جديع ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين تخلفوا عن بيعة على بالمدينة كما ذكرنا الا ان اهل العصر الثاني ممن بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين اجمعين ونصوب رأيهم فيما ذهب اليه وتعيين الخطاء في جهة معاوية ومن كان على رأيهم وخصوصاً طاحنة والزبير لانتقاضهما على على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التأنيب عن كل واحد من الفريقين كالشأن في المجنهمدين

(1) Man. C. et D. باجتماع.

وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثانى على احد قولى
اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضى الله
عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال والذى نفسى بيده
لا يموتن احد من هؤلاء وقلبه نقى الا ادخله الله الجنة يشير
الى الفريقين نقله الطبرى وغيره فلا يقعن عندك ريب
فى عدالة احد منهم ولا قدح بشئ من ذلك فهم من علمت
وافعالهم واقوالهم انما هى عن المستندات وعدالتهم مفروغ
منها عند اهل السنة لا قولاً للمعتزلة فيمن قائل عليا لم
يلتفت اليه احد من اهل الحق ولا عرج عليه واذا نظرت
بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين فى الاختلاف فى
شان عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت انها كانت
فتنة ابتلى بها الامة بينا المسلمون قد اذهب الله عدوهم
وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم بالبصرة
والكوفة والشام ومصر وكان اكثر العرب قد نزلوا هذه
الامصار حفاة لم يستكثروا من صحبة النبى صلى الله عليه
وسلم ولا هذبهم سيره وآدابه ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان
فيهم فى الجاهلية من الجفاء والعصبية والتفاخر والبعد عن
سكنية الايمان واذا بهم عند استفحال الدولة قد اصبحوا فى
ملكة المهاجرين والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل
واهل الحجاز ويشرب السابقين الاولين الى الايمان فاستنكفوا

من ذلك وغصوا به لها يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم
 وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وائل
 وعبد القيس من ربيعة وقبائل كندة ولازد من اليمن وقبائل
 نميم وقيس من مضر وامثالهم فصاروا الى الغنى من قريش
 والنفقة عليهم والتمريض فى طاعتهم والتعلل فى ذلك
 بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن فيهم بالعجز عن
 السرية والعدول فى القسم عن السوية (1) وفشت القالة (2)
 بذلك وانتهت الى اهل المدينة وهم من علمت فاعظموه
 وابلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف الخبر بعث
 ابن عمر ومحمد بن مسلمة واسامة بن زيد وامثالهم فلم ينكروا
 على الامراء شيئا ولا راوا عليهم طعنا وادوا ذلك كما
 علموه فلم ينقطع الطعن من اهل الامصار وما زالت الشناعات
 تكثر والاشاعات تنمو ورمى الوليد ابن عقبة وهو على
 الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم وحده عثمان
 وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار بسالون عزل العمال
 وشكوا الى على وعائشة والزبير وطاحه وعزل لهم عثمان
 بعض العمال فلم ينقطع بذلك السنهم بل وفد سعيد بن
 العاص وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه
 معزولا ثم انتقل الخلاف بين عثمان ومن معه من

(1) Man. A. et B. التسوية

(2) Man A. et B. القابلة.

الصحابة بالمدينة ونقموا عليه امتناعه من العزل فابى
 الا ان يكون عن جرحة ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من
 افعاله وهو متهتك بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجمّع
 قوم من الغوغا وجاءوا الى المدينة يظهرون طلب النصفة من
 عثمان وهم يضمرون خلاف ذلك من قتله وفيهم من
 البصرة والكوفة ومصر وقام معهم فى ذلك على وعائشة
 والزبير وطاحه وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان
 الى رائهم فيها وعزل لهم عامل مصر وانصرفوا قليلا ثم
 رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون انهم لقوه فى يد
 حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك
 فقالوا مكّنا من مروان فهو كاتبك فحلف مروان فقال
 عثمان ليس فى الحكم اكثر من هذا فحاصروه بداره ثم
 بيتوه على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب الفتنة
 فلكل من هولاء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتئين بامر الدين
 ولا يضيعون شيئا من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا
 والله مطلع على احوالهم وعالم بهم ونحن لا نظنّ بهم الا خيرا
 لما شهدت به احوالهم ومقالات الصادق فيهم (واما الحسين)
 فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره ودعت
 شيعة اهل البيت بالكوفة الحسين ان ياتيهم فيقوموا بامر
 فراى الحسين ان الخروج على يزيد متعيّن من اجل فسقه

لا سيّما على من له القدرة على ذلك وظلتها من نفسه
 باهليته وشوكته فاما الاهلية فكانت كما ظنّ وزيادة واما
 الشوكة فغاط يرحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت في
 قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف
 انما كانت في بنى امية تعرف ذلك لهم قريش وسائر
 الناس ولا ينكرونه وانما نسي ذلك اول الاسلام لما شغل
 الناس من الذهول بالخورق وامر الوحي وتردّد الملائكة لئصر
 المسلمين فاغفلوا امور عوايدهم وذهبت عصبية الجاهلية
 ومنازعها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية
 والدفاع يستفّع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين
 فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر النبوة والخورق
 المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوايد فعادت العصبية
 كما كانت ولعن كانت واصبحت مضر اطوع لبنى امية
 من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فتبين لذلك
 غلط الحسين الا انه في امر دنياوي لا يضره الغلط فيه
 واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه
 القدرة على ذلك ولقد عدله ابن عباس وابن الزبير وابن
 عمر وابن الحنفية اخوه وغيرهم في مسيره الى الكوفة وعلموا
 غلطه في ذلك ولم يرجع عتّا هو بسبيله لما اراده الله (واما)
 غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد

بالشام والعراق ومن التابعين لهم فراوا ان الخروج على يزيد وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يبايعوا الحسين ولا انكروا عليه ولا ائتموه لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتأنيهم هؤلاء لمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وقد كان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاء على فضله وحقه ويقول سألوا جابر بن عبد الله وابا سعيد وانس بن مالك وسهل بن سعد وزيد بن ارقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله هو عن اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على صواب اجتهاد ويكون ذلك كما يحذ الشافعي والمالكي الحنفى على شرب النبيذ واعلم ان الامر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن اجتهادهم وانما انفرد بقتاله يزيد واصحابه ولا نقول ان يزيد وان كان فاسقا ولم يجز هؤلاء الخروج عليه فافعله عندهم نافذة صحيحة واعلم انه انما ينفذ من افعال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة من شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود فى مسئلتنا فلا

يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعلاته المؤكدة
لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد
والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد
غلط القاضى ابو بكر بن العربى المالكى فى هذا فقال فى
كتابه المسمى بالقواصم والعواصم ما معناه ان الحسين قتل
بشرع جده وهو غلط حملة عليه الغفلة عن اشتراط الامام
العاقل فى قتال اهل الآراء (واما ابن الزبير) فانه رآى فى
خروجه ما رآه الحسين وظنّ كما ظنّ وغلطه فى امر
الشوكة اعظم لان بنى اسد لا يقاومون بنى امية فى جاهلية
ولا اسلام والقول بتعيين الخطاء فى جهة مخالفه كما كان
فى جهة معاونة مع على لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك
قضى لنا به ولم نجده هاهنا واما يزيد فعين خطاؤه فسقه
وعبد الهلك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة
وناهيك فى عدائه احتجاج مالك بفعله وعدول ابن
عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معد بالسجاز
مع ان الكثير من الصحابة كانوا يرون ان بيعة ابن الزبير
لم تنعقد لانه لم يحضرها اهل الحل والعقد كبيعة مروان
وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون محولون
على الحق فى الظاهر وان لم يتعين فى جهة منهما والقتل
الذى نزل به بعد تقرير ما قررناه يجرى على قواعد الفقه

وقوانينه مع انه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحرّيه الحق هذا هو الذى ينبغى ان يحمل عليه افعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة القدح فمن الذى يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرنى ثم الذى يلونهم مرتين او ثلاثا ثم يفسوا الكذب فجعل الخيرية وهو العدالة مختصة بالعصر الاول والذى يليه فايك ان تعود نفسك او لسانك التعرض لاحد منهم ولا يوسوس قلبك بالريب فى شئ منها وقع منهم والنس لهم مذاهب الحق وطرفه ما استطعت فهم اولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قتلوا ولا قتلوا الا فى سبيل جهاد واطهار حق واعتقد مع ذلك ان اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقندى كل احد بمن يختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكم الله فى خلقه واكوانه

فصل فى الخطط الدينية الخلافية

لما تبين ان حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع فى حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف فى الامرين اما فى الدين فبمقتضى التكليف الشرعية الذى هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها واما سياسة الدنيا فهبقتضى

رعايته مصالحهم في العمران البشري وقد قدّمنا ان هذا العمران ضروري للبشر وان رعاية مصالحه كذلك لئلا يفسد ان اجملت وقدّمنا ان الملك وسطوته كاف في حصول هذه المصالح نعم انها تكون اكمل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه اعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينفرد اذا كان في غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة وموظايف تابعة تتعين خططا وتتوزع على رجال الدولة ومطالب فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه بسلطانه (واما) المنصب الخلفي وان كان الملك يندرج تحت بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص بخطط ومراتب لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين (فلنذكر) الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الهلوكية السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والتضاء والفتيا والجهاد والحسبة كلها مندرج تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة وكانها لام الكبير ولاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها وداخلة فيها لعموم نظر الخلافة ونصرفها في سائر احوال الملة الدينية والديوية وتنفيذ احكام الشرع فيها الى العموم (فاما امامة الصلاة) فهي ارفع هذه الخطط

كلها وارفع من الملك بخصوصه المدرج معها تحت الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن ابي بكر رضى الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا افلا نرضاه لديننا فلولا ان الصلاة ارفع من السياسة لما صح القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية معدة للصلوات المشهودة (1) واخرى دونها مختصة بقوم او محلة وليست للصلوات العامة (واما) المساجد العظيمة فامرها راجع الى الخليفة او الى من يفوض اليه من سلطان او وزير او قاض فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعديد والخسوفين والاستسقاء ونعين ذلك انما هو من طريق الاولى والاستحسان ولثلا يفتات (2) الرعايا عليه بشئ من النظر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده واجبا (واما) المساجد المختصة بقوم او محلة فامرها راجع الى الجيران ولا يحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام هذه الولاية وشروطها والمولى فيها معروفة في كتب الفقه وبسبوط في كتب الاحكام السلطانية للماوردى وغيره فلا

(1) Man. A. et B. المشهورة.

(2) Man. D. يتفاوت.

نطول بذكره (وقد) كان الخلفاء الاولون لا يقلّدونها غيرهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء فى المسجد عند الايذان بالصلاة وترصدهم بذلك فى اوقانها يشهد لك ذلك بمباشرتهم لها وانهم لم يكونوا يستخلفون فيها وكذا كان حال الدولة الاموية من بعدهم استيثارا بها واستعظاما لرتبتها (يحكى) عن عبد الملك انه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة بابى لا عن ثلاثة صاحب الطعام فانه يفسد بالتأخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبريد فان فى تأخيره فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترقع عن مساواة الناس فى دينهم وديانهم استنابوا فى الصلاة وكانوا يستأثرون بها فى الاحيان وفى الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنويهها فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبيديين صدر دولتهم (واما الفتيا) فلما خليفة تصفح اهل العلم والتدريس ورد الفتيا الى من هو اهل لها واعانتة على ذلك ومنع من ليس باهل لها وزجره لانها من مصالح المسلمين فى اديانهم فتجب عليه مراعاتها لئلا يتعرض لذلك من ليس له باهل فيضلل الناس وللمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبثه والجلوس لذلك فى المساجد فان كانت من المساجد العظام التى للسلطان الولاية عليها والنظر فى ايمتها كما مر

فلا بدّ من استيذانه في ذلك وإن كانت من مساجد
العامة فلا يتوقف ذلك على إذن على أنه ينبغي أن يكون
لكل أحد من المفتيين والمدّرسين زاجر من نفسه يمنعه
من التصدّي لما ليس له باهل فيضّل به المستهدى وينزل
به المسترشد وفي الأثر اجراءكم على الفتوى اجراءكم على
جرائيم جهنم فللسلطان فيهم لذلك من النظر ما توجيه
الهصاحبة من اجازة او ردّ (واما القضاء) فهو من الوظائف
الداخلية تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس
في الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع الا انه بالاحكام
الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من
وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها وكان الخلفاء في صدر
الاسلام يباشرونه بانفسهم ولا يجعلون القضاء في شىء الى
سواهم وأول من دفعه الى غيره وفوض فيه عمر رضى الله
عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى
ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب
المشهور الذى قدور عليه احكام القضاء وهى مستوفاة فيه
(اما بعد) فان القضاء فريضة محكمة وستة متبعة فافهم اذا
ادلى اليك فانه لا ينفع بكلم بحق لا نفاذ له واس بين
الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع
شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على

من ادعى والمبين على من انكر والصالح جايز بين المسلمين
الا صلاحا احل حراما او حرم حلالا ولا يمنحك قضاء قضيته
امس فراجعته اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان
يرجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من
التمادي في الباطل الفهم فيما تالاجح في صدرت مما
ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرى الامثال والاشباه وقس
الامور بنظايرها واجعل لمن ادعى حقا غايبا او بينة امداد
بنتهي اليه فان احضر بينة اخذت له بحقه والا استحللت
القضية عليه فان ذلك انفى للشك واجلى للعمى
المسلمون عدول بعضهم في بعض لا مجلودا في حد او
مجبزا عليه شهادة زور او ظنينا (1) في ولاء او نسب فان الله
سبحانه عفى عن الايمان ودرأ بالبينات واياك والقلق
والضجر والتأق بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن
الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى
كتاب عمر واتما كانوا يفلدون القضاء لغيرهم وان كان مما
يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشغالها من
الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن
ذلك مما يقوم به غيرهم لعظيم العناية به فاستخفوا امر
القضاء في الوقعات بين الناس واستخلفوا فيد من يقوم به

(1) Man. A. et C. ظنيا. D. صنيئا.

تخفيفا عن انفسهم وكانوا مع ذلك انها يقلّدونه اهل عصبيتهم بالنسب او الولاة ولا يقلّدونه لمن بعد عنهم في ذلك واتما احكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية لان القاضى انما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك امور اخرى على التدرّج بحسب اشتغال الخلفاء والهلوكت بالسياسة الكبرى واستقرّ منصب القضاء آخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في اموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين واهل السفه وفى وصايا المسلمين واوليائهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء على راي من يراه والنظر فى مصالح الطرقات والابنية وتصقح الشهود والامناء والثواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من نعلقات وظيفته وتوابع ولايته (وقد) كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضى النظر فى المظالم وهى وظيفة ممتازة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رتبة يجمع المظالم من الخصمين ويزجر المتعدى وكان يهضى ما عجز القضاة او غيرهم عن امضائه ويكون نظره فى البيئات والتعزير واعتماد الامارات والقرابين وتأخير الحكم

الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصالح واستحلاف
الشهود وذلك اوسع من نظر القاضى وكان الخلفاء الاولون
يباشرونها بانفسهم الى ايام المهتدى من بنى العباس وربما
كانوا يجعلونها لقضائهم كما فعل على رضى الله عنه مع
قاضيه ابى ادريس الخولانى وكما فعله المامون ليحيى ابن
اكرم والمعقصر لابن ابى داود وربما كانوا يجعلون للقاضى
قيادة الجهاد فى عساكر الصوافى وكان يحيى ابن
اكرم يخرج ايام المامون بالصايفة الى ارض الروم
وكذا منذر بن سعيد قاضى عبد الرحمن الناصر من
بنى امية بالاندلس وكانت تولية هذه الوظائف
انما تكون للخلفاء او من يجعلون ذلك له من وزير
مفوض او سلطان متغلب (وكان) ايضا النظر فى الجرائم
واقامة الحدود مختصا فى الدولة العباسية والاموية بالاندلس
والبيدية بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهى
وظيفة اخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية فى تلك
الدول يوسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلا فيجعل للتهمة
فى الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل
نبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة فى محلها ويحكم فى
القود والقصاص ويقيم التعزير والتاديب فى حق من لم
ينته الى الجريمة ثم تنوسى شأن هاتين الوظيفتين فى الدول

التي تنوسى فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجع الى السلطان كان له تفويض من الخليفة او لم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منهما وظيفة التهم على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يستعين ونصب لذلك فى هذه الدول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالى وتارة باسم الشرطة وبقي قسم التعازير واقامة الحدود فى الجرائم الثابتة شرعا فجمع للقاضى مع ما تقدم وصار ذلك من نوابع وظيفته وولايته واستقر الامر لهذا العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن اهل عصبية الدولة لان الامر لما كان خلافة دينية وهذه الخطوة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم بالحلف او الرق او بالاصطناع من يوثق بكفايته وغنايه فيما يدفع اليه ولما انقرض شأن الخلافة وظهرها وصار الامر كله ملكا وساطانا صارت هذه الخطط الدينية بعيدة عنه بعض الشئ لانها ليست من القاب الملك ولا مراسمه ثم خرج الامر جملة عن العرب وصار الملك لسواهم من امم الترك والبربر فازدادت هذه الخطط الخلافية بعدا عنهم بنحائها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشريعة دينهم والنبي صلى الله عليه وسلم منهم واحكامه

وشرايعه نحلّتهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك
 أنّما يولونها جانباً من التعظيم لما دانوا بالملّة فقط فصاروا
 يقلّدونها من غير عصابتهم مِمّن كان تأهّل لها في دول
 الخلفاء السالفة وكان أولئك المتأهلون بما اخذهم ترف
 الدول منذ مئتين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشونتها
 والتبسوا بالحضارة في عوايد ترفهم ودعّتهم وقلة الممانعة عن
 انفسهم وصارت هذه الخطط في الدول الملوكة من بعد
 الخلفاء مختصة بهذا الصنف من الهستضعفين في اهل
 الامصار ونزل اهلها عن مراتب العزّ لفقد الاهلية بانسابهم
 وما هم عليه من الحضارة فاحقهم من الاحتقار ما يلحق
 الحضر المنغمسين في الترف والدعة البعدا عن عصبية
 الملك الذين هم عبال على الحامية وصار اعتبارهم في
 الدولة من اجل قيامها بالملّة واخذها باحكام الشريعة لها
 انهم الحاملون للاحكام المقتون بها ولم يكن ايتارهم في
 الدولة حينئذ اكراما لذوانهم وانما هو لما يتلصّح من التجلّ
 بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم
 يكن لهم فيها من الحلّ والعقد شيء وان حضوره فحضور
 رسمي لا حقيقة وراءه اذ حقيقة الحلّ والعقد أنّما هو لاهل
 القدرة عليه فمن لا قدرة له عليه فلا حلّ ولا عقد لديه اللهم
 اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقى الفتاوى منهم فنعم والله

الموفق (وربها) يظنّ بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الهلوك فيما فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة عن الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كها ظنه وحكم الملك والسلطان انما يجرى على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا عن السياسة وطبيعة العمران في هولاء لا تقتضى لهم بشئ من ذلك لان الشورى والحل والعقد انها يكون لصاحب عصبية يقتدر بها على حل او عقد او فعل او تركت واما من لاعصبية له ولا بملك من امر نفسه شيئا ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فإى مدخل له فى الشورى او اى معنى يدعو الى اعتباره فيها اللهم شوره فيما يعلمه من الاحكام فموجودة فى الاستفتاء خاصة واما شوره فى السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من تبرعات الهلوك والامراء الشاهدة لهم بجميل الاعتقاد فى الدين وتعظيم من ينسب اليه باى جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان الفقهاء فى الاغلب لهذا العهد وما احتق به انما حملوا الشريعة اقوالا فى كيفية الاعمال فى العبادات وكيفية القضاء فى المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكرامهم ولا يتصفون

ألا بالآقل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضي الله عنهم
 وأهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة انصافا بها
 وتحقيقا (1) بهذاهبا فمن حملها انصافا وتحقيقا (2) دون
 نقل فهو من الوارئين مثل اهل رسالة القشيري ومن اجتمع
 له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء
 التابعين والسلف ولائمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء
 على اثرهم وإذا انفرد واحد من الامة باحد الامرين فالعابد
 احق بالورائة من الفقيه الذي ليس بعابد لان العابد ورث
 صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرث شيئا انما هو صاحب
 اقوال ينصها علينا في كميّات العمل وهؤلاء اكثر فقهاء
 عصرنا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم (العدالة)
 وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن موارد تصريفه وحقيقة هذه
 الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم
 وعليهم تحملا عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتابا في
 السجلات يحفظ به حقوق الناس واملاكهم وديونهم وسائر
 معاملاتهم وانما قلنا عن اذن القاضي لان الناس قد اختلطوا
 وخفي التعديل والجرح الا على القاضي فكانه انما ياذن
 لمن ثبت عنده عدالته ليحفظ على الناس امورهم ومعاملاتهم
 وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من

(1) Man. C. تحقّقا.

(2) Man. تحقّقا.

الجرح ثم القيام بكتاب السجلات والعقود من جهة رعايتها وانتظام فصولها ومن جهة الأحكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ إلى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج إليه من المران على ذلك والممارسة لد اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القايمون به كآتهم مختصون بالعدالة وليس كذلك وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه وإذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة عمّت الفائدة بهم في تعديل من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتباه الاحوال واضطرار القضاة الى الفصل بين المتنازعين بالبيّنات الموثوقة فيعملون غالبا في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في سائر الامصار دكاكين ومصاطب يختصون بالجلوس فيها ليتعاهدهم اصحاب المعاملات للاشهاد وتقييده بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركا بين هذه الوظيفة التي يتبيّن مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي اخست الجرح وقد يتواردان وبفترقان والله سبحانه اعلم بالحسبة والسكة) اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على
القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلا له فينتعين
فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات
ويعزّز ويؤدّب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة
في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع
الحمّالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم
على اهل المباني المتعينة للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من
ضررها على السابلة والضرب على ايدي العّلمين بالمكاتب
وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلّمين ولا يتوقّف
حكمه على تنازع او استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل
الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له ايضا الحكم في
الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في الهياش
وغيرها وفي المكاييل والموازين وله ايضا حمل الهماطليين
على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة
ولا نفاذ حكم وكأنها احكام ينزّه عنها القضاء لعمومها وسهولة
اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها
على ذلك ان تكون خادمة له نصب القضاء وقد كانت
في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب
والامويين بالاندلس داخلة في عموم ولاية القاضي يولى فيها
باختياره ثم لها انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار

نظرة عامة في أمور السياسة فاندرجت في وظائف الملك وانفردت بالولاية (واما السكة) فهي النظر في النقود المتعامل بها بين المسلمين وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص ان كانت يتعامل بها عددا وما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجداء والخلوص ترسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد آتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فتوضع على الدنار او الدرهم بعد ان يقدر ويضرب عليه بالمطرقه حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف اهل القطر (1) ومذهب الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وإنما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا اتفق اهل افق او قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها وسموه اماما وعيارا يعتبرون به نقودهم ويستقدونها بهماثلته فان نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فتندرج تحت الخلافة ولقد كانت تدخل في عموم ولاية القضاء ثم انفردت لهذا العهد بالولاية كما وقع في الحسبة (هذا) آخر الكلام في الوظائف الاخلاقية وبقيت منها وظائف

ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والخراج صارت سلطانية نتكلم عليها فى مكانها بعد ووظيفة الجهاد بطلت بطلانه الا فى قليل من الدول يمارسونه ويدرجون احكامه فى غالب السلطانيات وكذا نقابة الانساب التى يتوصل بها الى الخلافة او الحق فى بيت المال وقد بطلت لدثور الخلافة ورسومها وبالجملة فقد اندرجت (1) رسوم الخلافة ووظايفها فى رسوم الملك والسياسة فى ساير الدول لهذا العهد والله مصروف الامور بحكمه

فصل فى اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة

وهو محدث منذ عهد الخلفاء وذلك انه لما بويغ ابو بكر رضى الله عنه كان الصحابة وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك فلما بويغ لعمر رضى الله عنه بعهدته اليه كانوا يدعونه خليفة رسول الله وكانهم استثقلوا هذا اللقب لطوله وكثرة اضافاته وانه يتزيد فيما بعد دايبا الى ان ينتهى الى الهجنة ويذهب منه التمييز بتعدد المضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب الى سواه مما يناسبه ويدعى

(1) Man. A. et B. اندرست.

به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فعيل من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم امير مكة وامير الحجاز وكان الصحابة ايضا يدعون سعد ابن ابى وقاص امير المسلمين لامارته على جيش القادسية وهو معظم المسلمين يومئذ وانفق ان بعض الصحابة نادى عمر رضى الله عنه باسم امير المومنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال اول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة وقيل بربد حاء بالفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول اين امير المومنين وسميها اصحابه فاستحسنوه وقالوا اصبحت والله اسمه انه امير المومنين حقاً فدعوه بد وذهب لقباً له فى الناس وتوارثه الخلفاء من بعده سهبة لا يشاركون فيها احد سواهم ساير دولة بنى امية (ثم) ان الشيعة خصّوا علياً رضى الله عنه باسم الامام نعتاً له بالامامة التى هى ائمة الخلافة وتعريضاً بمذهبهم فى انه احق بامامة الصلاة من ابى بكر كما هو مذهبهم وبدعتهم فخصّوه بهذا اللقب ولمن يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكان كلهم يسمى بالامام ما داموا يدعون لهم فى الخفاء حتى اذا يستولون على الدولة يحولون اللقب فيمن بعده الى امير المومنين كما فعله شيعة بنى العباس فانهم ما زالوا

يدعون ايتهم بالامام الى ابراهيم الذى جهروا بالدعا له
وعقدوا الرايات للحرب على امره فلما هلك دعى اخوه
السفاح بامير المؤمنين وكذا الرافضة بافريقية ما زالوا يدعون
الابنة من ولد اسمعيل بالامام حتى انتهى الامر لعبيد الله
المهدى وكانوا ايضا يدعونه بالامام ولابنه ابى القسم من
بعده فلما استوثق لهما الامر دعوا من بعدهما امير المؤمنين
وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يدعون ادريس بالامام وابنه
ادريس الاصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا
اللقب بامير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز
والشام والعراق الموطن التى هى ديار العرب ومراكز الدولة
واصل الملة والفتح وازداد لذلك فى عنفوان الدولة وبذخها لقب
اخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض لها فى امير المؤمنين
من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجابا
لاسماهم الاعلام عن امتنانها فى السنة السوقة وصونا لها عن
الابتدال فنلقبوا بالسفاح والمنصور والهادى والمهدى والرشيد
الى آخر الدولة واقتفى اثرهم فى ذلك العبيديون بافريقية
ومصر وتجافى بنو امية عن ذلك اما بالمشرق قبلهم فجربا مع
الغضاظة والسذاجة لان العروبة ومنازعها لم تفارق حينئذ
ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة واما
بالاندلس فتقليدا لسلفهم مع ما عملوه من انفسهم من

القصور عن ذلك بالقصور عن الخلافة التي استأثر بها بنو العباس ثم بالعجز عن ملك الحجاز أصل العرب والهامة والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبيّة وانهم أنما منعوا بامارة القاصية انفسهم من مهالك بنى العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الآخر منهم وهو الناصر بن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط لأول الماية الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستبداد الموالى وعيشتهم فى الخلفاء بالعزل ولاستبدال والقتل والسهل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافريقية وتسسى بامير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهباً لقن عنه ولم يكن لابائه وسلف قومه واستهزّ الحال على ذلك الى ان انقرضت عصبيّة العرب اجمع وذهب رسم الخلافة وتغلّب الموالى من العجم على بنى العباس والصنابع على العبيديين بالقاهرة وصنهاجة على امر افريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس على امر بنى امية واقتسموه وافترق امر الاسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والشرق فى الاختصاص بالالقاب بعد ان نسّموا جميعاً باسم السلطان فاما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصّونهم بالقاب تشريفيّة يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعصدد

الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبهاء الملك وذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيديّون ايضا يختصّون بها امراء صنهاجة فلما استبدّوا على الخلفاء قنعوا بهذه الالقباب وتجاؤا عن القاب الخلافة ادبا معها وعدولا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدّين كما قلناه قبل ونزع المتأخرون من اعاجم المشرق حتى قوى استبدادهم على الملك وعلا كعبهم فى الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة الى استحالة الالقباب الخاصة بالهلك مثل الناصر والمنصور زيادة الى القاب كانوا يختصّون بها قبل هذا الانتحال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاء والاصطناع بما اضافوها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين اسد الدين نور الدين (واما ملوك الطوائف بالاندلس) فاقسموا القاب الخلافة وتوزّعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتد والهظفر وامثالها كما قال ابن شرف بنعى عليهم ذلك

مها يزهدنى فى ارض اندلس اسماء معتبد فيها ومعتصد
القاب مهلكة فى غير موضعها كالهريكي انتفاخا صورة لاسد

وقد مرّ ذكرها (واما صنهاجة) فاقترضوا على الالقباب التي كان خلفاء العبيديّين يلقبونها بها للتنويه مثل نصير الدولة

وسيف الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما ادالوا من
دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعد الشقة بينهم وبين
الخلافة ونسوا عهدا فنسوا هذه الألقاب واقتصروا على اسم
السلطان وكذا شأن مغراوة بالمغرب لم يستحلوا شيئا من هذه
الألقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاظة
(ولما) محى اسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من
قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك
العدوتين وكان من اهل الخير والاقتداء نزعته همتته الى
الدخول في طاعة الخليفة تكميلا لمراسم دينه فخاطب
المستظهر العباسي واوفد عليه ببيعتة عبد الله بن العربي
وابنه القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطلبان توليته اباد
على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخليفة لد
على المغرب واستشعار زتهم في لبوسه ورايته وخاطبه فيه
بامير المسلمين تشريفا له واختصاصا فاتخذها لقبا ويقال انه
كان دعى له بامير المسلمين من قبل ادبا مع رتبة الخلافة
لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتحال الدين واتباع
السنّة (وجاء المهدي) على اثرهم داعيا الى الحق اخذوا
بمذاهب الاشعرية ناعيا على اهل المغرب عدولهم عنها الى
نقل السلف في ترك التأويل لطواهر الشريعة وما يؤل اليه
ذلك كما هو معروف من مذهب الاشعرية وسهى اتباعه

الموحددين تعريضا بذلك الكبير وكان يرى رأى اهل البيت
 فى الامام المعصوم وانه لا بد منه فى كل زمان يحفظ بوجوده
 نظام هذا العالم فسمى بالامام أولا لما قلناه من مذهب
 الشيعة فى القاب خلفائهم واردف بالمعصوم اشارة الى مذهبه
 فى عصمة الامام وتنزهه عنده اتباعه عن امير المومنين اخذا
 بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولها فيها من مشاركة الاغهار
 والولدان من اعقاب اهل الخلافة يومئذ بالمشرق والمغرب
 ثم انتحل عبد المومن ولى عهده اللقب بامير المومنين وجرى
 عليه من بعده خلفاء بنى عبد المومن وآل ابى حفص بافريقية
 من بعدهم استيثارا به عن سواهم لما دعى اليه شيخهم
 المهدي من ذلك وانه صاحب الامر واولياؤه من بعده
 كذلك دون كل احد لانتفاء عصبية قريش وتلاشيها فكان
 ذلك دأبهم (ولها) انتقض الامر بالمغرب وانتزعه زناتة
 ذهب اولوهم مذاهب البداوة والسذاجة واتباع لتونة فى
 انتحال اللقب بامير المسلمين ادبا مع رتبة الخلافة التى
 كانوا على طاعتها لبنى عبد المومن اولا ولبنى ابى حفص
 من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم الى اللقب بامير المومنين
 وانتحلوه لهذا العهد استبلاغا فى منازع الهلك وتتهيسها
 لمذاهبه وسهاته والله غالب على امره

فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود

اعلم ان الملة لا بد من قايم بها عند غيبة النبي يحملهم على احكامها وشرايعها ويكون كالخليفة فيهم للنبي فيما جاءهم به من التكليف والنوع الانساني ايضا بما تقدم من ضرورة السياسة فيه للاجتماع البشرى لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويزعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا وكرها اتخذت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القايمين بها اليهما معا (واما) ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا الا في الهدافة فقط فصار القايم بامر الدين فيها لا يعنيه شئ من سياسة الملك وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولامر غير ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية بها فيها من الطلب للملك بالطبع كما قدمناه لا لانهم مكلفون بالغلب على الامم كلها في الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة دينهم في خاصتهم ولذلك بقى بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليهما نحو اربعماية سنة لا يعتنون بشئ من امر الملك اتما همهم اقامة دينهم فقط وكان القايم به

بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة لموسى صلوات الله عليه يقيم لم امر الصلوات والقربان ويشترطون فيده ان يكون من ذرية هارون صلوات الله عليه لان ذلك كان له ولبنيه بالوحي ثم اختاروا لاقامه السياسة التى هى للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتولون احكامهم العامة والكوهن اعظم رتبة منهم فى الدين وابعده عن شغب الاحكام واتصل فيهم ذلك الى ان استحسنت طبيعة العصبية وتمتصت الشوكة فغلبوا الكنعانيين على الارض التى اورثهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله وسلامه عليه فحاربتهم امم الفلستين والكنعانيين والارمن (1) واذوم وعمون ومواب ورياستهم فى ذلك راجعه الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحو اربعماية سنة ولم يكن لهم صولة الملك وحجر بنو اسرائيل من مغالبة الامم فطلبوا على لسان شمويل من انبيائهم ان ياذن الله لهم فى تمليك رجل عليهم فملك عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك فلسطين ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهما واستفحل ملكه وامتد الى الحجاز ثم الى اطراف اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاسباط من بعد

سليمان عليه السلام بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت احدهما بنواحي نابلس للاسباط العشرة وكرسى ملكهم صمصطية وقد خربت من لدن تحت نصر والاخرى بالقدس لبنى يهوذا وبنى يامين ثم غلبهم بخت نصر ملك بابل على ما كان بايديهم من الملك اول الاسباط العشرة في صمصطية ثم ثانيا بنى يهوذا بيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وحرب مسجدهم واحرق توراتهم وامات دينهم ونقلهم الى اصبهان وبلاد العراق الى ان ردهم بعض ملوك الكينية من الفرس الى بيت المقدس بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد واقاموا امر دينهم على الرسم للكهنوتية (1) فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر وبنو يونان على الفرس وصار اليهود في ملكتهم ثم فشل امر اليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام بملكهم الكهنوتية (2) الذين كانوا فيهم من بنى حشمناي وفانلوا يونان حتى انقرض امرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت امرهم ثم زحفوا الى بيت المقدس وبها بنو هيردوس اصهار مسى حشمناي وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة وافحشوا في القتل والهدم والتحريق وخربوا بيت المقدس

(1) الكهنة Man. C. et D.

(2) الكهنة Man. C. et D.

واجلوهـم عنها الى رومة وما وراءها وهو الخراب الثانى
 للمسجد ويسميه اليهود الجلوة الكبرى فلم يقيم لهم بعدها
 ملك لفقدان العصبة منهم وبقوا بعد ذلك فى ملكة
 الروم ومن بعدهم يقيم لهم امر دينهم الرئيس المسمى بالكوهن
 (وكان المسيح) صلوات الله وسلامه عليه لما جاءهم بما جاء
 به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على
 يده الخوارق العجيبة من ابراء المعنوة واحياء الموتى واجتمع
 عليه كثير من الناس وآمنوا به واكثرهم الحواريون اصحابه
 وكانوا اثنى عشر وبعث منهم رسلا الى الآفاق داعين الى
 ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفى مدة
 هيردوس ملك اليهود التى انتزع الملك من بنى حشمانى
 اصهاره فحسده اليهود وكذبوه وكاتب هيردوس ملكهم
 ملك القياصرة اوغسطس بغريده به فاذن لهم فى قتله ووقع
 ما تلاه القران من امره واقترب الحواريون شيعا ودخل اكثرهم
 الى بلاد الروم داعين الى دين النصرانية (وكان) بطرس كبيرهم
 فنزل برومة دار ملك القياصرة (ثم) كتبوا الانجيل الذى
 انزل على عيسى صلوات الله عليه فى نسخ اربع على
 اختلاف رواياتهم فكتب متا انجيله فى بيت المقدس
 بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطينى
 وكتب لوقا منهم انجيله باللطينى لبعض اكابر الروم وكتب

يوحنا بن زبدي انجيله برومة وكتب بطرس انجيله بالطيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها وحيا صرفا بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحوارتين وغالبها مواعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا (واجتمع) الحوارتون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الهة النصرانية وصيروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر بريا يومين وكتاب الهقايين لابن كربين ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتاب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يوشع بن شارخ وزير سليمان عليه السلام ومن شريعة عيسى عليه السلام المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب القتاليقون سبع رسايل وثامنها الابركسيس في قصص الرسل وكتاب اقليمنطس وفيه الاحكام وكتاب ابوغالبسيس (1) وفيه روبا يوحنا بن زبدي

(1) Man. A, B, C. انوغالمسيس.

(واختلف) شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والنفي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها فاستمروا عليها (وكان) صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه بسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من امم النصرانية ويسمونه الاسقف اى نايب البطرك ويسمون الامام الذى يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذى حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع (وكان) بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بها دين النصرانية الى ان قتله نيرون خامس القياصرة ثم قام بخلافته في كرسي رومة اربوس (وكان) مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرك وهو اول البطارقة فيها وجعل معه اثني عشر قسما على انه اذا مات البطرك يكون واحد من الاثني عشر مكانه ويختار من الهومنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطارقة الى القسوس (ثم) لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا بنيقية ايام قسطنطين لتحرير الحق في الدين واتفق ثلثماية وثمانية عشر من اساقفتهم على رأى واحد في الدين فكتبوه وسموه

الامانة وجعلوه اصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبوه ان البطرك
القايم بالدين لا يرجع فى تعيينه الى اجتهاد الاقسة كما
قرره حنايا تلميذ مرقس وابطل ذلك الراى وانما يقدم عن
ملاء واختيار من ائمة المومنين وروسائهم فبقى الامر ثم اختلفوا
بعد ذلك فى قواعد الدين وكانت لهم مجتمعات فى تقريره
ولم يختلفوا فى هذه القاعدة فبقى الامر فيها على ذلك واتصل
فيهم نيابة الاساقفة عن البطاركة وكان الاساقفة يدعون البطرك
بالاب تعظيما له فصار الاقسة يدعون الاسقف فيما ناب عن
البطرك بالاب ايضا تعظيما له فاشتبه الاسم فى اعصار متطاولة
يقال اخرها بطركية هرقل باسكندرية فارادوا ان يميزوا البطرك
عن الاسقف فى التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابو الآباء وظهر هذا
الاسم اول ظهوره بهصر على ما زعم جرجس بن العبيد فى تاريخه
ثم نقلوه الى صاحب الكرسى الاعظم عندهم وهو كرسى رومة لانه
كرسى بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمة عليه الى الآن (ثم)
اختلف النصارى فى دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه فى المسيح
وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على
صاحبه فاختلف الحال فى العصور فى ظهور فرقة دون فرقة الى
ان استقرت لهم ثلاث طوائف هى فرقههم ولا يلتفتون الى غيرها
وهم الهكسية واليعقوبية والنسطورية ولم نر ان نسخم اوراق
الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهى على الجبهة معروفة وكلها

كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال إنما هو الاسلام او الجزية او القتل (ثم) اختصت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة لليوم المسمى بالبابا على رأى الهاكية ورومة للافرنجة وملكهم قايم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بهصر على رأى اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرائهم والحبشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم اساقفة ينيون عنه فى اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومة لهذا العهد ولا نسمي اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بباءين موحدين من اسفل والنطق بها مفتحة والثانية مشددة من مذاهب البابا عند الافرنجة انه يحضهم على الانقياد لهاك واحد يرجعون اليه فى اختلافهم واجتماعهم تخرجوا من افنراق الكلمة وتحركى به العصبية التى لا فوقها منهم لتكون بده عالية على جميعهم وبسبونه الانبرطور وحرفه الوسط بين الدال والطاء المعجمتين وببائمه بوضع الباج على راسه للتبركت فيسمى التتوج واعلم معنى لفظة الانبرطور هذا ما اخص ما اوردناه من شرح هذين الاسمين اللذان هما البابا والكومن والاد بضل من بشاء وبهدى من بشاء

